



# مجلة الحوار المتوسطي

مجلة محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية والفكرية، يصدرها  
مختبر البحوث والدراسات الإستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي  
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس - الجزائر

العدد 03 - 04  
مارس 2011 - 2012

رقم ISSN: 1112-945X

مارس  
2011  
2012

مجلة الحوار المتوسطي

N° 03  
04

DIALOGUE MEDITERRANÉEN

Mars  
2011  
2012

# الحوار المتوسطي

مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية والفكرية

يصدرها مخبر البحوث والدراسات الإستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي

جامعة جيلالي الياباس سيدي بلعباس - الجزائر



العدد 3 - 4

مارس 2011 - 2012

ردمد : 1112-945X

الإيداع القانوني : 4402 - 2009

# الحوار المتوسطي

## مدير المجلة :

أ. د. حنفي حلايلي

## رئيس التحرير :

د. عبد القادر صحرابي

## هيئة التحرير :

د. إبراهيم لونيسي

د. أحيدة بن براهيم

د. سمعوري بلعياض

د. بن نغو بلعياض

د. شهاب محمد صمير

د. محمد بلوك

## الهيئة الإستشارية :

- |  |                                      |
|--|--------------------------------------|
| أد- عبد الحميد حاجب (جامعة للمسان)                   | أد- إبراهيم المصداوي (تونس)          |
| د- رياض بويدي (جامعة قسنطينة)                        | أد- عبد الكريم بوضغفان (جامعة أدرار) |
| أد- دعو قديري (جامعة وهران)                          | أد- صالح فركوس (جامعة قلقة)          |
| أد- عبد العزيز لهرج (جامعة الجزائر)                  | أد- صابحي محمد (جامعة وهران)         |
| أد- أحيدة صحرابي (جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة) |                                      |

## قواعد النشر بالمجلة

- ترحب المجلة بمشاركة الكتاب و الأساتذة و الباحثين .  
و تقبل للنشر الدراسات و المقالات المتعلقة وقفا للقواعد التالية :
1. أن يكون محتوى العمل المقترح للنشر أصيلا لم يسبق نشره، و أن لا يتعدى حجمه 15 صفحة و ألا يقل عن 8 صفحات.
  2. أن يتبع العمل المقترح للنشر الأصول العلمية المتعارف عليها عالميا، و خاصة ما يتعلق بالتوثيق و إثبات الحواشي و المراجع و الحواظ و الوثائق.
  3. ترسل الأعمال المقترحة للنشر في نسختين ورقيتين و نسخة إلكترونية على قرص مدمج، و لا تترد أصولا لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
  4. تخضع الأعمال المقترحة للنشر في المجلة للجنة علمية متخصصة لتحكم في مصداقيتها و جودتها بقرير سرية.
  5. في بعض الحالات، تعاد البحوث لأصحابها لإجراء تعديلات عليها بطلب من اللجنة العلمية التي تسهر على العدد المقترح.
  6. نشر المقالات باللغات الفرنسية و الإسبانية و الإنجليزية و العربية.

**المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها  
و لا تعكس رأي المجلة.**

ترسل المقالات باسم مدير المجلة :

علمية العلوم الإنسانية و الاجتماعية - جامعة سيدي بلعباس - الجزائر  
مخبر البحوث و الدراسات الإستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي  
البريد الإلكتروني: [hanifi\\_andalous@yahoo.fr](mailto:hanifi_andalous@yahoo.fr)

صفحة الويب: [www-LEO.univ-sba.dz](http://www-LEO.univ-sba.dz)

## مجلة الحوار المتوسطي

عنوان المجلة : الحوار المتوسطي

مدير المجلة : أ.د. حنيفي هادي

الناشر : غير المحدث والدراسات الإستراتيجية في حضارة المغرب الإسلامي

المخطوطة : حنيفي هادي

الطبع : مارس 2011 - 2012

العدد : 3 - 4

المنشأة : دار الأصول للنشر - سيدي بلعيس

التراقيم الدولي : 1112/945X

الإيداع القانوني : 2009/4402

سأعيش بغم الداء و الأعداء  
كالنمر فوق القمة الشماء  
فأهدم مؤادي ما استطعت فإنه  
سيكون مثل الصخرة الصماء  
فأرموا إلى النار المشاش. والعبوا  
باصبر الأطفال تحت سباتي

## فهرس العدد

قائمة مدير المجلة ..... ص 9

## الدراسات التاريخية والاجتماعية

- أ. درويش خديجة: العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بيليك التيموري بأواخر العهد العثماني من خلال الوثائق ..... ص 9
- د. صحراري عبد القادر: النمو السكاني والعسكري لطريق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني (15-19م) ..... ص 25
- د. حناوي بن عمر: مراكز الانتعاش الثقافي وتخرائن المخطوطات بالمغرب الأوسط ..... ص 31
- أ. دليلا محمد: التوريسكيون، الإعمار التاريخي والديني للنسبة ..... ص 35
- أ. د. دحي فاطمة: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية (1789-1815) ..... ص 63
- د. بوشناق محمد: السياسة الاقتصادية وسداعا في الجزائر من أواخر القرن التاسع عشر حتى 1914 ..... ص 74
- د. قوامي بن بلود: إشكالية التوريسكيين وأجندهم في الذكرى القوية الرابعة ..... ص 84
- أ. د. حلال بن حفيظ: الجزائر والملف التوريسكي خلال العهد العثماني ..... ص 95
- د. بن بورت بن غني: اعتماد الاستشرق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب المغرب الجزائري ..... ص 107
- أ. د. بوشناق فهدية: العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني ..... ص 118
- أ. سبيح العربي: ثورة سيفان الأتومي بلعاج القليلي بلمسوان 1869 ..... ص 145
- د. قنون حيلة: الاستيطان الفرنسي وصناعة أرضي الجزائر من خلال القرن التاسع عشر ..... ص 160
- أ. د. لوني بن براهيم: الكتلة الشراعية عند رجالات الحركة الإسلامية الجزائرية وأعتاقها ..... ص 168
- د. بوهند خالد: قهرسة المخطوطات - تجربة المرأة الحسنية بالرباط ..... ص 186

## الدراسات الفكرية

- د. حيان محمد سمير: الحوزة التومعلي خلف الشمال الأسطوري ..... ص 176
- د. مراهي رايح: العقلي والفقلي عند التكتلين ..... ص 192
- د. دوشيتي علي: الإيكولوجيا: الأسطورة والواقع ..... ص 199
- د. جاكو حسن: موقف الرأي العام العربي من الحكم بالإعدام على القاعدة حيلة  
بوجور 1957-1958 ..... ص 206
- د. فادوي محمد: حرب التحرير وتكون الدولة الجزائرية ..... ص 216



## ملحمة

تلقى معظم الدراسات التاريخية على أن مصطلح التوريست (Toricos)، يستعمل بعد سقوط غرناطة للدلالة على المسلم الذي دخل إلى المسيحية حديثاً (المسيحيون الجدد)، لكن الباحث سيجون طفايت يرى أن الظاهرة برزت سنة 1492م، وذهب الباحث الفرنسية ليفات هرموسيللا (Y. Hermosilla) إلى أن التاريخي التوريستي بدأ مع سقوط غرناطة، وبداية حركة الاسترداد، حيث لوحظ استخدام لفظ مدجن (Mudejares)، بكلمة توريستي في وثائق محاكم التفتيش، التي تعتد التوريستين بالمسيحيين الجدد (Centeno nuevo de moro)، وهذا خلال القرن السادس عشر. وقد حدد المؤرخ الإسباني دي إيبازا (M. de Eibaza)، وجود 405 مراحل للإخلاء الإسباني والاجتماعي للأندلسيين من وجهة نظر القانون الإسباني، هو تشمل المراحل التالية:

- مرحلة للمسيحيين قبل التعمية القسري (1492-1502م).  
- المرحلة التوريستية: والتي اعتبر فيها المسلم منقراً أو مسيحياً ردياً حيث تمنعهم رجال الكنيسة بالمقاطعة (Marras chrétiens).

- مرحلة الطرد النهائي: (1609-1614م)، وهي مرحلة عودة الأندلسيين إلى قبل الإسلام.  
مرج المؤرخون على استخدام مصطلح التوريستين كدلالة تاريخية للمصير، أكثر سلباً من الأندلس أو الغرب، المصيرين الذين تعرض عليهم المصير القسري ما بين (1499-1502)، وبقي أحبارهم حتى عمليات الطرد النهائي (1609م)، وبشر المؤرخ الفرنسي لوي كازينيك (L. Cazulnik)، أن مصطلح التوريست ظهر بهذا المفهوم حوالي سنة 1560م. وتشمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه الجزيرة بعد سقوط غرناطة، الذين أرفقوا على اعتناق الدين المسيحي الكاثوليكي، وسعت إسبانيا إلى فرض العقيدة النصرانية على المسلمين، وهذا ما يفسر تعدد إنشاء محاكم التفتيش وملاحقة التوريستين. ولد باركت الباقية بروما مشاريع ملوك إسبانيا، وهذا من خلال المساعدات الإسبانية التي قدمها إيليا ألكسندر السابع (ALEXANDRE VII) (1492-1583م) - يافقي القرمز والورق في 15 ماي 1492: يدفع الفدية الصليبية - والمعلقة في الدعم المالي والروحي للملكين الكاثوليكين، حينذاك جميع الحلفاء للمسيحية إلى تقديم إسبانيا دفع الفدية لل خمس سنوات وتسمى - (La Cruzada)، وهي عبارة عن مساعدات مالية تقدم إلى خزينة الملكين الكاثوليكين، لتسويل مشاريع أخيلة الصليبية، وتسهيل عملية القضاء على النفوذ الإسلامي بالأندلس، واستتباع طيور المسلمين الغالية والنبيلة، على ملاحقتهم إلى قيام الفريدي في إطار الصراع الدائم بين الملوك والصلب.

بمصادف العام 2009 التقى القويبة الرابعة لعقد عشرات الآلاف من المسلمين من الأندلس بعد عدة طويمة اعبرها كثيرون أول نصفي عرقية في تاريخ الإنسانية. بعد أن عبروا البلاد طيلة تسعة قرون شيدوا خلالها صرحا حضاريا لا تزال معالمه قائمة. ومنذ عام 1502 دخل المسلمون الذين أصبحوا موزيسكيين من ناحية القانون الإسباني، تلقا مطلقا سيدهم، بتشابههم في عدد من مناطق إسبانيا إلى غاية صدور مرسوم جندي في أبريل 1609، أقر بالفرق النهائي بعدما حاشى الكثير منهم من ويلات حاكم القشتيل. ومن الموضوعات المهمة التي استكثرت باهتمام الباحثين والدارسين الأساس موضوع الموزيسكيين وأحوالهم الاجتماعية والثقافية التي عاشوها في بلاد المهجر بعد طردهم من الأندلس إلى أن سلطوها.

إن العاديين ذوي من جهة الحوار المتوسطي للمصنعين لبعض الدراسات الأندلسية الموزيسكية هو دعوة إلى الباحثين في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية للإعتماد على هذا الحقل المعرفي وبماحة التكلم على البؤس الدافئة لتاريخ الأمة الأندلسية.

ولا ننسى أن رفع خرافات دعوات للأسلامة القاسية عاشتها قسطنطين تسببها الله برحمة الواسعة وأسكنها جنة جنة.

## مدير المجلة

## العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق

دويالي خديجة

جامعة تيارت

تكونت الوثائق<sup>1</sup> العثمانية بالجزائر نتيجة تسجيلات مستمرة لأوامر وتعليمات وقرارات كانت تصدر عن حكام الولاية<sup>2</sup> وموظفي البايك<sup>3</sup>، وقد ترتب عن طبيعة تكوين هذه الوثائق تداخل المعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، مما جعل الرجوع إليها أمرا مهما وذا فائدة، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، رغم ما يترتب عن هذا التداخل من صعوبة في استخراج المعلومات وترتيبها، والانتفاع بها في الكتابة التاريخية.

وقد تأكدت أهمية هذه الوثائق بصفة خاصة من كون العهد العثماني بالجزائر تميز عموما بقلة الإنتاج المخطوط مع توفر الوثائق الأرشيفية. وتعد هذه الأخيرة من المصادر الأساسية، ومن الأصول الضرورية في الدراسات التاريخية. وقد تكونت هذه الوثائق من خلال الرسائل<sup>4</sup> الرسمية أو شبه الرسمية، المتمثلة في التقارير<sup>5</sup>. ولقد جاءت هذه الوثائق التي هي موضوع البحث على شكل رسائل حررها مجموعة من موظفي الإدارة العثمانية، والتي رسمت الخطوط العامة للمجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني على مستوى كل مناطقه<sup>6</sup>. إن أهمية هذه الوثائق تكمن في طبيعة المادة التي تحتويها، وتنوع الموضوعات التي تتصل بها، والمجالات التي تنطرق لها. فهي فضلا عن كونها تهتم بالحياة السياسية والمسائل الإدارية والقضايا الشرعية، فإنها أيضا تلمس الحياة الاجتماعية والثقافية.

ومن أجل دراسة مضمون هذه الوثائق وطبيعة مادتها كان لا بد من معالجة كل جوانبها، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن محاولة كهذه سوف تواجهها العديد من العقبات، ومن جللتها تداخل الموضوعات التي تناولتها وتنوعها. بحيث أصبح من الصعب دراسة مجال دون الآخر. كما لم تكمن الصعوبة في تناول هذه المجالات بقدر ما كانت في طريقة التعامل مع المعلومات الواردة فيها، إذ تميزت في الكثير من الأحيان بالاختصار وعدم الدقة، مما كان اضطرارا منا الاستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع لتغطية الخلل أو النقص الموجود فيها، بالرغم من أن هذه الأخيرة تعاني من تكرار المادة التاريخية، وتحتاج إلى التنظيم، وضبط الكثير من المعطيات التاريخية حتى يمكننا صياغة هذه الحقبة بطريقة علمية ودقيقة. وبهذا فدراسة هذه الوثائق تبين الأسس إن التعرف على أحداث تاريخ الجزائر الحديث، وتكوين فكرة صحيحة عن ماضي الجزائر العثمانية، مرتبط برسم صورة واضحة للحياة الاجتماعية أثناء العهد العثماني. وذلك لكون الجانب الاجتماعي من تاريخ الجزائر في هذه الفترة كانت له آثار حاسمة وانعكاسات مباشرة على الأحداث السياسية والنظم الإدارية والحالة الاقتصادية، بحيث لا يمكن التعرض لهذه الجوانب كلها إلا بعد التعرف على الأوضاع

الاجتماعية. فنلاحظ مثلاً أن الوضع الاجتماعي ظل يتحكم في طبيعة العلاقات بين السلطة والرعية، وبين هذه الأخيرة فيما بينها، وبذلك ظل يتأرجح بين الصراع والتنافس أحياناً كثيرة، أو التحالف واتحاد المصالح في أحيان أقل.

وانطلاقاً من كل ما ذكر أعلاه سوف نحط الرحال ونخص دراستنا هذه لرسم الخطوط العريضة وعرض تاريخي لمميزات وخصائص المجتمع في بابلك تيطري أواخر العهد العثماني. وقد يتفق غالبية الباحثين في تاريخ الجزائر العثمانية على أنهم يجدون صعوبة كبيرة في الحصول على المادة الكافية التي تعطينا صورة واضحة حول التوزيع البشري على مستوى المنطقة، وقد يكون السبب الرئيسي في ذلك راجع إلى إتلاف الوثائق التاريخية للمدن والقبائل العربية عند احتلالها من طرف فرنسا. كما أن العهد العثماني لم يتسم في وقته بالاهتمام بتدوين الأحداث لأن العثمانيين أنفسهم اعتمدوا في نظامهم على تسير الجيش والإدارة، وهذه الأخيرة كان همها الوحيد جمع المطالب المخزنية.

فالسفر في تاريخ المنطقة حافل بالمحطات الحاملة لروائع الحضارات الإنسانية، والانتصارات البطولية والأحداث التاريخية. فلقد جعل منها التاريخ وجهته ومستقراً له منذ العصور الإنسانية الأولى لفترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الرومانية. مروراً بالفتوحات الإسلامية وتعاقب الدويلات المختلفة على أرضها، ثم العهد العثماني الذي هو محطتنا. ومن هذا المنطلق كانت مسرحاً تداولت على منصته العديد من الشعوب تركت بصماتها التي تمثل في أيامنا هذه شهادات وذكريات تسمح لنا بالغوص مرة أخرى لاكتشاف أسرارها.

ففي بداية القرن السادس عشر استطاع العثمانيون طرد الأسبان من مدينة الجزائر التي أصبحت فيما بعد مركز السلطة العثمانية أطلق عليها مصطلح "دار السلطان"<sup>7</sup> بقيادة الإخوة خير الدين وعروج وإسحاق الذين بسطوا نفوذهم ونصبوا عروج حاكماً عليها. وفي 1546 م<sup>8</sup> ظهرت الجزائر بتبعيتها للخلافة العثمانية، وسميت المرحلة بحكم البايبراي<sup>9</sup>، وبذلك بدأت معالم الحدود الإقليمية للجزائر تظهر وتستقر تدريجياً، وينمو معها كيانها السياسي المنفصل عن تونس وطرابلس<sup>10</sup>، وخلال القرن السابع عشر بدأت الجزائر تنفصل إدارياً عن الخلافة العثمانية باسطنبول<sup>11</sup>، وبهذا أصبحت للجزائر روابط عديدة مع مختلف البلدان<sup>12</sup>، وسميت المرحلة بعهد الدايات<sup>13</sup>.

ومع بداية سنة 1671 م دخلت الجزائر مرحلة جديدة تميزت بتولي طائفة رياس البحر<sup>14</sup> السلطة، تمثل في وضع نظام جديد يقتضي تعيين حاكم للبلاد يلقب بـ "الداي". وقد التزم الدايات بحفظ الارتباط مع الدولة العثمانية باعتبارها الممثل الشرعي للخلافة الإسلامية، لكنهم سلكوا سياسة مستقلة فيما يتعلق بالشؤون الخاصة للبلاد. وقبل الخوض في هذا العنصر علينا أن نخرج إلى نقطة مهمة وهي تعداد سكان الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي، فلقد تضاربت الآراء حول إحصاء تعدادهم بصورة عامة وعلى مستوى بابلك تيطري على وجه الخصوص، ذلك أن السلطات العثمانية لم تكن تهتم بهذا الإجراء الإداري. ومن بين الذين أعطوا بعض الإحصاءات، نذكر حمدان خوجة الذي حدد تعداد

سكان الجزائر بعشرة ملايين نسمة وبما أن بايلك تيطري كان يشكل 20,5٪ من تعداد الجزائر، فعملية حسابية بسيطة يكون تعداد سكان البايك 1.200.000 نسمة<sup>15</sup>. ويتكون سكان البايك من عنصر أصيل وآخر دخيل. يتوزعون على مستوى المدن والأوطان. ولن نتكلم في هذه الدراسة الاجتماعية عن التكوين الهرمي للمجتمع في بايلك تيطري، ولكن سنحاول رسم الخطوط العريضة، لمختلف العلاقات التي كانت بين السلطة والرعية بإيجابياتها وسلباتها وبالتالي أخذ صورة كاملة حول البنية الاجتماعية التي كان عليها بايلك تيطري أواخر العهد العثماني.

فلقد تميزت العقود الأربعة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر (252-1245هـ / 1790-1830م) بعدم استقرار نظام الحكم، فساد الفساد وعمت الفوضى مختلف قطاعات البلاد، إذ تولى الحكم خلال تلك الفترة ثمانية دايات، اغتيل منهم خمسة. كما شهدت الفترة نفسها عدة اضطرابات داخلية تمثلت في تمرد بعض القبائل والطرق الصوفية<sup>16</sup> على نظام الحكم. وعموما فقد تميز هذا العهد بشبه فوضى سياسية، حيث غابت السلطة المركزية تقريبا عن الساحة، الشيء الذي فسح المجال واسعا لتجاوزات عسكرية وإدارية خيرة، أدت إلى ظهور عدة حركات عصيان<sup>17</sup>. ولم يكن بايلك تيطري بمعزل عن الأحداث التي كانت واقعة في كل أنحاء الجزائر، فقد تأثر بموجة الاضطرابات.

## 2- معاملة السلطة لجماعة المرابطين

لقد لعب المرابطون<sup>18</sup> دورا حاسما وفعالا طيلة الحكم العثماني على الجزائر، لهذا كان على البايات أن يتتهجوا معهم سياسة خاصة تضمن لهم ولاءهم ومساندتهم في بسط حكمهم، وفرض النظام والأمن بين القبائل. ولم يتسن لهم ذلك إلا من خلال تحالفهم مع المرابطين الذين كانت لهم مكائهم وكلمتهم على معظم القبائل. ومن بين الزوايا التي انتشرت في المنطقة نذكر زاوية سيدي عثان، وزاوية سيدي حمامة، وزاوية الوزانة.

وما يلاحظ على هذه السياسة المنتهجة أنها كانت تقليدا متبعا بين معظم البايات على مختلف الفترات، نظرا لما كان لها تأثير واضح ونتائج ايجابية. فالمرابط كان بمثابة حلقة وصل بين الحكام العثمانيين والرعية خاصة على مستوى الأوطان أين شاعت الروح القبلية. لكن هذه العلاقة لم تكن دوما على أحسنها بين السلطة الحاكمة وجماعة المرابطين، فلقد شهد بايلك تيطري على غرار من مناطق الجزائر موجة من الغضب والتذمر بين أوساط هذه الفئة وأنصارها من الرعية التي كانت تطيع بأمرها وتثور بأمرها، مما أدى إلى اندلاع حركات عصيان مسلحة زعزعت الأمن والسلطة في مناطق عديدة على مستوى البايك.

وكانت تتدخل السلطة في تعيين المرابطين وتمكينهم من بسط سلطتهم على المنطقة التي أقرتهم عليها. ومن خلال نصوص بعض الوثائق يتضح جليا أن المرباط كان يتم تعيينه من طرف والي أو الباي شخصيا، ويتم ذلك بإصدار

فرمانات التي كانت تعطي له كافة الصلاحيات على المنطقة التي وكل بالسهر على رعاية وحل مشاكل الرعية القاطنة بها<sup>19</sup>.

ولقد ازدادت سلطة المرابطين اتساعاً نتيجة لعدة عوامل منها؛ أنّ أخكم العثماني على مستوى الأوطان كان يسير بطريقة غير مباشرة، فكانوا يعملون على إقرار السلام، والسهر على تطبيق العهود الموضوعة بين القبائل، والتدخل في النزاعات القائمة بينها، ومحاولة تهدئة الأمور وحلّها بالطريقة التي ترضي الطرفين. ومقابل ذلك كان البايات يتقربون إليهم بشتى الوسائل.

● - الامتيازات السياسية: وتمثلت في بناء الزوايا، التي كانت تتمتع بها تسميه حالياً "بالحصانة السيادية" والأضحية والوقف عليها؛ فلقد حرص خلفاء خير الدين على كسب هذه العناصر الدينية بمنح زواياهم حرمة خاصة وحظراً لملاحقة كلّ من يلتجأ إليها. فكانت هذه الأماكن المقدسة بمثابة حصناً لكلّ من احتسب بها، وطلب الاستجارة من المرابط القائم عليها<sup>20</sup>.

وعموماً ما يمكن استنتاجه هو أنّ العلاقة بين الطرفين كانت مبنية على المصالح المشتركة، فالباي لم يكن زعيماً دينياً أو شيخاً زاوية أو صاحب طريقة، وإنّما كان قائداً حربياً يعتمد نفوذه على خبرته التي أهلهت ليكون حاكماً، فبفعل غياب عامل الزعامة الدينية وقف المرابطون من البايات موقف المساند والمتعاطف، وليس موقف التايع والمطيع. هذا كان عليهم أن يتنهجوا معهم سياسة خاصة من خلالها تمكنوا من كسب ثقتهم، وبالتالي ضمن مساندتهم لهم، ففقدوا بذلك على عدة عوامل يمكن لها أن تزعزع النظام العام وبالتالي الاستقرار في المنطقة.

(3) - مكانة العلماء: بايالك تيطري كغيره من المناطق الأخرى الموجودة في الجزائر كان له علماء الذين عرفوا بعلمهم وتفواهم. ولم يكن كلّ الحكام على سواء في علاقتهم مع العلماء<sup>21</sup>، بالرغم من أنّ ذلك كان يضر بالمصلحة العامة للبلاد، ويعرقل السير الحسن للحركة العلمية والثقافية، والتطور الاقتصادي والاستقرار السياسي، فلقد انقسم الحكام إلى قسمين، قسم سلط على العلماء كلّ أنواع الاضطهاد الفكري والاقتصادي. وقسم آخر أبقى على علاقة طيبة معهم، ذلك لأنه علم بأنّه لا بد من التحالف معهم حتى تسير الأمور بصورتها الطبيعية. ونظراً للحكمة التي كان يتمتع بها العلماء فقد كان يستفاد من خبرتهم في شتى المجالات، بحيث لعبوا دوراً بارزاً في المجال الإداري، إذ كانوا يشاركون في تعيين أو مباركة مشيخة المدينة، التي كانت تعمل على تنظيم الشؤون العامة للسكان<sup>22</sup>.

بالإضافة إلى دورهم التعليمي والتنقيفي، كانوا ينشطون أيضاً ويحركون عندما تحل الأزمات بالبلاد، خاصة الطبيعية منها، كالمجاعات، والأوبئة والفيضانات؛ فيسخرون كلّ الطاقات الموجودة من أجل تقديم المساعدات للضحايا، ويعملون مع أثرياء المدينة ووجهائها على تقديم الدعم المادي للسكان<sup>23</sup>. حتى المجال السياسي شارك فيه العلماء،

فكثيرا ما نجد البايات يستعينون بهم من أجل حل النزاعات القائمة بين العائلات، خاصة، والرعية على العموم؛ كما كانوا يقومون بتعبئة السكان في حالة وجود خطر أجنبي، من أجل أن تكون السلطة والرعية بذا واحدة<sup>24</sup>. لأجل هذا كله كان على البايات أن يتعاملوا مع العلماء بكل احترام وتبجيل، لما كانت لهم من مكانة بين أوساط المجتمع، فهم يعلمون جيدا أنه بدون الحصول على تأييدهم ومساندتهم هم سوف يعرضهم ذلك إلى مشاكل عدّة، قد تؤجل بزوال ملكهم وسلطانهم<sup>25</sup>، فالعقل والحكمة يقولان بأن يستفيد الحاكم من كل الطاقات التي لها تأثير على الرعية.

#### علاقة السلطة مع مختلف القبائل

لقد احتوى بابلوك نبطري كغيره من المناطق الجزائرية تشكيلة بشرية مميزة، لهذا كان لا بد على الحكام مراعاة ذلك من أجل بناء علاقة سليمة بين السلطة والرعية. فكان من الحكام من أدرك ذلك، فعمل بهذه القاعدة، ومنهم من غاب عنه هذا، فعمّجل بنهاية حكمه. ومن ثمة اتخذت سياسة السلطة مع القبائل ثلاث اتجاهات على حسب نوعية العلاقات التي كانت قائمة بين الطرفين. فلقد انتهجت في بعض الأحيان اللبس، محاولة منها كسب ود بعض القبائل وتفاديا للدخول في صراعات على كلّ الجبهات، مما سيعمّجل حتما بنهاية ملكها. وفي أحيان أخرى اتسمت بالحذر مع أخذ التدابير الكفيلة لتفادي الدخول معها في مواجهات عسكرية. ومرات أخرى اتصفت بالعنف فالتحذت صفة شن الحملات التي كانت لأغراض تأديبية أكثر منها سياسية، خاصة مع تلك القبائل المتمردة التي شقت عصا الطاعة، رافضة بذلك دفع ما عليها من مطالب أو لقيامها ببعض الأعمال المنافية للنظام العام.

#### 1- معاملة السلطة للقبائل الخليفة والرعية:

أما عن علاقتها بالقبائل الخليفة فلم ترد في الوثائق أية معلومات يمكن من خلالها رسم صورة واضحة على نوع العلاقة التي كانت تربطها بها، لأنّ محور هذه الوثائق كله كان مركزا على التفصيل في طبيعة العلاقات مع القبائل المتمردة. وقد كانت هناك محاولة للبحث على مادة تاريخية يمكن من خلالها سد هذا الفراغ، وما عثر عليه سوى مجرد عموميات، فحاولنا أن ننسق فيها بينها، حتى ينسجى محورة هذا العنصر، بطريقة يفهم من خلالها نوعية هذه العلاقات. فعندما يكون الكلام على القبائل الخليفة، فنعني بها تلك التي كانت تساند السلطة بطرق شتى سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. ومعنى ذلك أنها كانت تدفع ما عليها من مطالب مع الإبقاء على بعض الامتيازات التي كانت تخصها، بالمقابل كانت تمد البايات بكل ما كان يحتاجون إليه من دعم ومساندة. وهذا بالطبع كان يركز بكل بساطة على نوعية العلاقة التي كانت بين الباي وزعماء هذه القبائل.



فلقد كانت السلطة العثمانية والممثلة في شخص الباي تتعامل مع هذه القبائل عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا يحكم العادة والعرف بتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك إما على نفوذهم الديني، أو لكفاءتهم الحربية، أو لأصالة نسبهم، وقد غلب على هذه العائلات أحيانا الطابع الحربي، وفي أحيان أخرى اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة. وبهذا أصبح التعامل مع هذه القبائل من خلال زعمائها، لأن الزعيم كان يمثل بالنسبة لها ذلك الرمز الذي يؤمن به أفراد القبيلة، فاحترام هذا الرمز والعمل على كسبه بكل الوسائل، يعني ضمان ولاء أفراد القبيلة كلها بحيث عندما يحس هذا الرمز فإن كل أفراد القبيلة يتقدمون له، وكأنهم يتقدمون لكرامتهم التي مست في صميمها. ومن المفروض أن كل حاكم عندما ينصب على إحدى المناطق، يكون شغله الشاغل العمل والسعي على تلبية حاجيات الرعية ومتطلباتها، والبحث عن الوسائل الكفيلة لتحقيق الأمن والاستقرار، الذين بدونها لا يكون الازدهار الاقتصادي ولا نشاط الحركة الثقافية. ولكن ما عرف عن بعض الحكام الذين حكموا البايك أنهم عمموا عكس ذلك، لأنهم لم يستطيعوا تفهم طبيعة البنية الاجتماعية التي كان يتميز بها المجتمع التيطري على غرار المجتمعات الأخرى. كانت قبائل الرعية تتألف من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة لسلطة البايك، والمقيمة بالأوطان، وبين واقع المجتمع الجزائري الذي كانت تتحكم فيه العادات العربية، وتستبد به التقاليد القبلية، وتسود فيه الروح العشائرية في الأوطان. فقد عرفت السلطة كيف تتعامل مع ذوي النفوذ والتأثير والمكانة من الأعيان، والشيوخ" وبذلك عرفت كيفية التعامل مع رعية.

## 2- مساندة السلطة لقبائل المخزن ودورهم في فرض الأمن في البايك:

يعود تكوين قبائل المخزن إلى عهد خير الدين، والذي من خلال تكوينهم حاول أن يجعل له قوات عسكرية ثابتة يستطيع أن يعتمد عليها، والتي كان لها نفوذ على المنطقة<sup>26</sup>، فحينما نتكلم عليهم فإننا نشير مباشرة إلى نطاق الولاء السياسي، فحيث تمتد هذه السلطة ونمارس وظائفها الردعية والجبائية بشكل مباشر وفعال كانت تعرف بالمخزن، وهذا الأخير هو تعبير فعلي ومجازي عن "بيت المال" الذي كانت السلطة السياسية تضع ما تجمع من مطالب مخزية، وجبوس، وإتاوات نقدية وعينية من أولئك الخاضعين لها مباشرة سواء كانوا أفرادا، جماعات، أو قبائل<sup>27</sup>. في حين يرى "فايس" "Vayssette" أن المعنى الحقيقي للمخزن هو "الحكومة"، وأما المخزن فهو "رجل الحكومة".

فقد اعتبرت هذه القبائل الوسيلة الفعالة واليد القوية للحكام العثمانيين، فكان بذلك المحور الأساسي الذي كانت تركز عليه السياسة العثمانية مع باقي سكان الجزائر، تلك السياسة التي كانت تهدف أساسا إلى فرض النفوذ<sup>28</sup>. لهذا كان من الضروري أن يتعامل معها البايات بكل لين وكرم، وذلك لما كانت تمثله بالنسبة لدوام حكمه وبسط سلطانه على كل مناطق البايك. وأما وسائلها في جلب هذه القبائل، فكانت متعددة، إذ حاولت أن تمنح لها عدة امتيازات



مقابل خدماتها المستمرة ونذكر منها، المكافآت والتشجيعات<sup>11</sup>. هذا بغض النظر عما كانوا يتفعون به من الغنائم التي كانوا يتحصلون عليها أثناء مشاركتهم في الحملات العسكرية التي كان يشنها البايات مرفقين بقواتهم التركية على البعض من القبائل المتمردة<sup>12</sup>؛ أيضا إسقاط بعض المطالب المخزنية. فلقد كانت السلطة الحاكمة تقدم بعض الإعفاءات المخزنية والمساعدات المادية.

ومقابل إسقاط هذه المطالب المخزنية (الامتيازات)، كانت السلطة العثمانية والممثلة في شخص أحمد باي تستغل خدماتها من أجل بسط نفوذها على الرعية، سواء كان ذلك من أجل جمع المطالب المخزنية أو معاقبة بعض القبائل التي كانت تشق عصا الطاعة بين الحين والآخر. فلعبت بذلك أدوارا ثلاثة:

الدور العسكري: عندما كان البايات يخرجون لمعاقبة القبائل المتمردة، فإنهم كانوا يدعمون قواتهم العسكرية التركية بفرسان قبائل المخزن والتي كان يطلق عليها تسمية "القوم"<sup>13</sup>. في حين أطلق على القوات التركية مصطلح "العسكر"<sup>14</sup>. ومن بين القبائل التي كانت اليد الضاربة للسلطة على مستوى الجهة الجنوبية لبابلك نبطي نذكر أولاد سيدي عبدالله. أيضا قبيلة الدواير وقبيلة العبيد التي كانت تساهم عند الحاجة بـ 1.200 محارب. هذه القوات كان لها دور كبير في نجاح العمليات العسكرية التي كانت تتم على مستوى مناطق متفرقة من البابلك، وخاصة على مستوى المناطق التي شهدت على بعض حركات التمرد والعصيان.

وكان اعتماد السلطة على هذه القوات المخزنية لأسباب انضحت جلها من خلال قراءة استقرائية لما ورد في رسائله. فكان اعتمادها عليها يعود لمعرفتها بدروب وممرات البابلك، خاصة تلك التي كانت موجودة بين الجبال. فاستغلت بذلك تلك المعرفة وسخرتها لصالحها. فقد جعلتها العين الساهرة والحارسة على بعض المناطق، من أجل الحد من حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل بين الحين والآخر، هذه الأخيرة كانت تشكل مصدر تهديد دائم لنفوذ السلطة مطلقا في ذلك بما كان يسمى بـ "سياسة الخزام الأمني".

ومن خلال هذا العرض التاريخي لعلاقة السلطة مع قبائل المخزن، فيمكن أن نستنتج بأن هذه العلاقة كانت مبنية أساسا على المصلحة المتبادلة، فكل طرف كان يحاول أن يستغل الآخر بالطريقة التي كان يرى فيها دوام وجوده. مما أثر سلبا على نظرة السكان في الأوطان للحكم العثماني. كما أن هذا النوع من العلاقة جعل من واقع الصلة بين قبائل المخزن والرعية، علاقة دافع المطالب بمستلمها. وحتى لا تأخذ هذه الدراسة اتجاها واحدا، فسنحاول فيما يلي تقديم صورة عن الجانب النقيض من تلك العلاقات ليس مع عنصر غريب من المجتمع، بل مع قبائل شكلت مجموعات

سكانية هامة، وتقصّد تلك التي رفعت لواء العصيان والتمرد؛ وما يلاحظ على هذا الموضوع أنّه أخذ أخير الأكبر في الوثائق.

3- مواجهة السلطة للقبائل المتمردة: لقد انتهج البايات في مواجهتهم للقبائل المتمردة<sup>33</sup> سياستين: إحداهما كانت سلمية، في حين اتخذت الثانية طابع الانتقام.

1- الأساليب السلمية: من بين الأساليب التي اتبعها البايات من أجل إخضاع هذه القبائل واستخلاص المطالب المخزنية دون الدخول معها في مواجهات عسكرية ما عرف في تلك الحقبة التاريخية باخملات العادية، هذه الأخيرة كانت عبارة عن قاعدة سياسية توارثها البايات عن مزا الأرملة من الحكم العثماني في الجزائر. وما ميز هذه الخملات أنّها لم تكن تحمل طابع الانتقام والهجوم بل كانت غالباً سلمية.

ولمّا علم البايات أنّهم لن يستطيعوا مواجهة كلّ أجيّبات بمفردهم، جنّحوا إلى استغلال ما عرف عند العرب بـ "العصية" والتي بها "تكون الحماية والمدافعة وكلّ أمر يجتمع عليه، والناس بالطبيعة يحتاجون في كلّ اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بدّ أن يكون متغلباً عليهم بتلك العصية والألم لم تتم"، وإنّ من فقدّها عجز عن جمع ذلك. فهي لا تحصل إلاّ بالتحام النسب أو ما معناه. وبهذا "فإنّ صلة الرحم الطبيعية -غالباً- نعمة ذوي القربى بعضهم على بعض".

ولأنّ عصية النسب لا تكفي وحدها لسيطّر السلطة وفرض الطاعة على كلّ الرعية، عمد البايات إلى اصطناع عصية حصلت له بواسطة "الولاء" و"الخلف". فقد حاولت السلطة كسب ود ومساندة أكبر عدد من العائلات والقبائل، من أجل ضمان الحد الأكبر من الولاء والطاعة، أيضاً لمواجهة الحزب المعارض له؛ فلقد تبين من خلال قراءة استقرائية لبعض الوثائق أنّه كان لبعض الشخصيات المناهضة والمعارضة لسلطته مساندة قوية من بعض القبائل.

كما حاولت السلطات زرع روح النزاع بين القبائل؛ ففي المناطق البايك استطاع شيوخ هذه القبائل ضم مناطق واسعة إلى نفوذهم فقيوت بذلك شوكتهم، حتى خاف منهم البايات، فاهتدوا إلى خلق روح التنافس بينهم والديسائس لهم، فتناحرت بذلك القبائل على الرياسة، فقيوت نزعة التعصب بينهم حتى تقاتلوا؛ إذ شجع البايات على وجه الخصوص التنافس القبلي والصراع العشائري المعتمد على مبدأ الصف وروح العصية في كثير من الجهات. هذا فيما يخص الوسائل السلمية التي استعملتها السلطة في مواجهة القبائل التي وصفتها بالعصيان والتمرد. أمّا في حالة فشل هذه الوسائل فإنّها كانت تلجأ إلى التدخل العسكري، وهذا الموضوع قد أسال حبر الكثير من المهتمين بتاريخ الجزائر العثماني، خاصة الفرنسيين منهم، واتخذوا منه وسيلة للتشجيع به وقذفه بكلّ التهم، غافلين في ذلك كلّ الأمور الإيجابية التي ميزت هذا الحكم.

ولا يشن البايات أية حملة عسكرية دون مراسلة القبائل المعنية بالأمر، من خلالها يتدرونهم ويتوعدونهم بالعقاب الشديد إذا لم يستجيبوا لأوامره؛ وهذه ما ورد في إحدى الوثائق: "أتني لم أغزو أحدا من هؤلاء وما قبلهم إلا بعد الكتب لهم المرة بعد المرة أن يعطوا ما عليهم ويتوبون ويكفون عن الفساد ولم نغز إلا بعد اليأس منهم وظهور عصيانهم وهذا دائما مع كل أحد"<sup>34</sup>.

فمن خلال ما ورد يستنتج أنّ شنه للحملات العسكرية لم يكن إلا بعد تتبع بعض الخطوات، منها الإنذار والتهديد، ثم في حالة العصيان وعدم الدفع تتم عملية التأديب والتي كانت تتم عن طريق التدخل العسكري. ولكي تكون لدينا فكرة بسيطة حول مضمون الرسائل التي كان يبعثها البايات إلى هذه القبائل بهدف إظهارهم بحلول العقاب عليهم إن لم تتم عملية دفع ما عليهم من مستحقات مخزنية، هذه الرسالة التي كتبها إبراهيم آغا إلى أفراد جماعة أولاد علي فبعد المقدمة كتب يقول: "اعلموا فإنّ بعثنا لكم خدامنا الاصباحية لأجل الخلاص وننظر في أمركم فإن خلصتم بالعزم والقوة من غير تأخير في أيام قلائل فذلك المراد وإن تراخيتم فأنتم أدرى بنفوسكم وإلا خلصتم بالعزم فإنكم خدام وعليكم أمان الله ورسوله لا تخافوا شيء وهذا آخر كتاب بيننا وبينكم. كتب عن إذن المعظم الأسعد إبراهيم آغا أيده الله ونصره بمئة أمين"<sup>35</sup>. أواخر جمادى الثاني 1243هـ<sup>36</sup>. وقد تكون هذه الرسالة نموذجا على تلك الرسائل التي كان يبعثها البايات للقبائل التي كانت ترفض دفع المطالب المخزنية.

2- الوسائل العسكرية: في حالة عدم نجاح كلّ هذه الطرق فإنّ السلطة تنتقل إلى التدخل العسكري المباشر ضد القبائل التي وصفت "بالاستقلال". وذلك من أجل سببين هما: رفض القبائل المتنوعة دفع المطالب المخزنية، أو لقيامها بأعمال تخريبية؛ وقبل الخوض في تفاصيل هذه الأحداث، ينبغي تحليل الأسباب المغيبة في رواية السلطة. فعندما يعالج مثل هذا الأمر، فإنّه لا يعثر على معلومات واقية، ذلك أنّه عندما تناول المؤرخون هذا الجانب من الدراسات التاريخية لم يقدموا إلا السرد التاريخي للأحداث دون تحليل الجوانب المؤثرة فيها، هذا ما يجعل من تلك الدراسات ناقصة، كما يجعل المتتبع لهذه الأحداث يتخذ مواقف دون معرفة خصوصيات المجتمع أو السلطة، باعتبارهما شريكين في صنع الحدث التاريخي.

أ- رواية السلطة: فعندما يعرض البايات تفاصيل حملاتهم على بعض القبائل يجب علينا أن نضع نصب أعيننا أنّها تمثل رواية الغالب، إذ أنّ الأطراف المغيبة من طرف السلطة الحاكمة والذين لعبوا دورا كبيرا في سير الأحداث يعتبرون حقل المغيبين والمهمشين. فرواية البايات ترجع الأسباب الرئيسة لمعاينة هذه القبائل إلى:

- رفض هذه القبائل دفع ما عليها من مطالب مخزنية. وهذا ما صرح به في العديد من المرات، مثال ذلك ما ورد في الرسالة المؤرخة في أواخر من صفر سنة 1243هـ/ 1827م فذكر فيها بصريح العبارة: "فرقة عاصية لم يعطوا مطالبهم"<sup>36</sup>.

- إثارة الفتنة والقلق بين أفراد القبائل. مثال ذلك ما ذكر في إحدى الرسائل بشأن بعض الشخصيات التي وصفها بالتمرد والعصيان<sup>37</sup>. أو قيامها بأعمال التخريب والنسب والنهب لأموال الناس<sup>38</sup>. ولهذا فقي نظر السلطة أن هذه الحملات كانت تقوم بناء على إجارة لمستجير، واستجابة لحق مهضوم، أو محافظة على شرف طعن أو هذر. هذا فيما يخص الأسباب الظاهرة من خلال ما كتب في الوثائق. غير أن هذا لا يعني أنها الأسباب الوحيدة التي كانت من وراء هذه الحملات، إذ يمكن استنتاج أسباب أخرى غيبت في تلك التقارير من بينها:

الأسباب النفسية: هناك من البايات من وصفوا بالقسوة الشديدة ضد أعدائهم. فلم تكن تأخذهم الرحمة ولا الشفقة ضدهم كان يحاول زعزعة النظام العام على مستوى البايك، فيكون بذلك انتقامهم شديد، كما يتضح ذلك جليا في استعمال مصطلح "الانتقام" الذي تكرر كثيرا في الوثائق بهذا الشكل: "فانتقمنا منهم"<sup>39</sup>.

الأسباب السياسية: اتخذ البايات من هذه الحملات وسيلة لتحقيق الزعامة المطلقة، وفرض سلطتهم والمحافظة على استمرار حكمهم دون عراقيل. إذ كل نظام ليس قادرا ذاتيا على تأمين وسائل وجوده واستمراره مآله حتم إلى الزوال. كما أن السلطة التي لا تملك الطاقة على استخلاص المطالب المخزنية من أفرادها فإنها تفشل في تحقيق أهدافها<sup>40</sup> فمن بين الأسس التي قام عليها الحكم العثماني في الجزائر، القدرة على تحصيل المطالب المخزنية من الرعية<sup>41</sup>.

الأسباب الاقتصادية: يقاس على ما كان يتحصل عليه البايات مع قواتهم من غنائم بعد نهاية كل معركة، إذ بعد كل "غزوة" كانوا يغتنمون على كميات هائلة من المواشي، هذا طبعاً بناء على ما كانت تقدم من إحصاءات في التقارير الموجهة إلى الحكام<sup>42</sup>، فضلا على الأسلحة والملابس التي لم يرد ذكرها في الرسائل. ونجيبا لفرض اتجاه واحد أي رواية الحاكم على رواية المغلوب، هذه محاولة لوضع عرض لبعض الأسباب التي قد تكون وراء ظاهرة التمرد والعصيان. الأسباب الاجتماعية: تمثلت في أمرين هما:

- الانتماء الطبقي: كان المجتمع الجزائري أثناء الحكم العثماني يتكون من فئتين: الحضر وسكان الأوطان. كما كانت الرعية تنقسم إلى طبقات، وكان ذلك على أساس درجة الثروة، أو درجة العلم، أو المهنة. وإظهار نسبة المتمردين في كل طبقة وبين مجموع أفراد المجتمع وتحديد نوع التمرد الذي كان يرتكبه هؤلاء الأفراد، يبين اختصاص هذه طبقة دون الأخرى بهذه الظاهرة. فسكان الأوطان يندرج في صفوفهم جمع مختلف، ففيهم الفلاح، والأجير، ومالك الأرض

ومستأجرها، وراعي الأغنام وقاطع الأشجار. وكل فئة من هؤلاء تتميز عن غيرها. ومعظم حملات البايات كانت على فئة الرعاة، فهذا الصنف تفوق نسبة التمرد لديه على سائر سكان الأوطان، بل على سائر المهن الأخرى بصفة عامة. ومسبب ذلك أنهم لا يقضون كل أوقاتهم في الأوطان، وإنما يعتمدون على حياة الترحال، فتسود بذلك حياتهم نوع من الحرية مقارنة مع غيرهم، كما أن عملية الترحال المستمرة تجعل من نسبة السيطرة عليهم ضئيلة، فكثيراً ما كان البايات يشكون من هذه القبائل إذ لم يستطيعوا التحكم فيها لسبب تنقلها المستمر.

ب- العامل النفسي: من المعلوم أن لكل فرد ميلاً غريزياً إلى التمدي، والذي يصبح بفعل الظروف الاستثنائية ميلاً إلى العنف، فقيمة المطالب الكثيرة المفروضة عليهم أثقلت كاهلهم، وبذلك يحاولون التخلص منها بشتى الطرق. الأسباب الاقتصادية: تمثلت في أمور ثلاث، قد نكون واحدة منها سبباً في حدوث ظاهرة التمرد والعصيان عند هذه القبائل:

الأمر الأول: إن الأحوال الاقتصادية للأفراد والجماعات في مختلف الأمكنة مع وحدة الزمن لها تأثيرها، والعامل هو ضغط الظروف الاقتصادية المحيطة بها وما تولده في النفوس من الشعور بالحاجة ("ويعبر عليه ضغط الشعور بالحاجة")، هذا الأخير ليس رهيناً بضغط الظروف الاقتصادية السيئة بقدر ما هو مرتبط بتواتر هذا الضغط واستمرار تأثيره على الفرد وجماعته؛ فالبؤس العابر ليس خطيراً خطورة البؤس الدائم المتواتر، لأن استمرار البؤس على الإنسان ينزل الوهن بملكاته الجسدية والنفسية ويسوقها إلى الانحلال. هذا فحركات العصيان بالنسبة لهذه القبائل هي وسيلة تعبير عن المعارضة بشكل مباشر وفوري، ومن خلالها تتحدى اللامبالاة أو الإهمال من جانب السلطة الحاكمة.

الأمر الثاني: يتمثل في أن هذه القبائل لا تملك متوجاً فائضاً عن الحاجة، تدفعه للسلطات الحاكمة، وأن هذه المتوجات لا تسد إلا حاجياتها فقط، لهذا فهي مضطرة إلى التهرب عن دفع هذه المطالب التي كانت ترى أنها تثقل كاهلها.

الأمر الثالث: إن السلطة الحاكمة التي تطالب الرعية بأداء ما عليها من مطالب مخزنية، والتي تعتبرها واجبا، لا يمكن إسقاطه في أي حال من الأحوال، كان يجب عليها أن تؤدي بالمقابل واجباتها ومهام في عملية البناء وال عمران؛ كبناء المدارس، والمستشفيات، وإصلاح الطرقات وتوفير المياه، وبصورة عامة ما يسمى حالياً بـ "الأشغال العمومية". وإذا كانت هذه السلطة تنهون أو تتخاذل عن أداء مسؤولياتها فإن هذا سوف يدفع بالرعية إلى التهرب من دفع ما عليها من مطالب متسائلة في ذلك لماذا عليها أن تدفع للسلطة ما دامت لا تتلقى المقابل من العناية؟

3- الأسباب السياسية: إن الأوضاع الاقتصادية كانت أو اجتماعية تلقي الضوء على حالة الانفعال والغضب السائدة

على فئة من فئات الرعية. وهذه الدراسة تبدو بالغة الأهمية بالنسبة للقائمين على الحكم، إذ نجد أن مهمتهم الأولى

والأساسية تكمن في القضاء على أسباب العناء المادي والمعنوي، وبالتالي على مصادر الحقد والتدمير لديها. وقد دلت أحداث التاريخ وما صاحبها من حركات العصيان التي حدثت أن الرعية كانت دائماً تقيم لإيمانها السياسي رمزاً تحترمه لحد التقديس طيلة الوقت الذي يظل فيه هذا الإيمان، فإذا ما ضعف الإيمان، انقلبت الرعية على الرمز عينه بعض يزداد حدة كلما كان فقد الإيمان أكثر، وكلما طال الوقت الذي فيه الرمز منهارة مفروضا على الوعي العام. فتكون هذه القبائل ترفض الانصياع بدفع ما عليها من مطالب، فهذا يعني أنها أصبحت لا تؤمن "بشرعية" الحكم العثماني عليها، وبذلك فهي تلغي وجود هذه السلطة من أذهانها.

أما عن الوسائل الحربية فتتمثلت في تلك الحملات العسكرية التي كانت تشنها السلطة على مستوى بايلك تيطري على القبائل التي وصفتها بالعصيان، وقد خصصت بها فئة الرعية دون غيرها من فئات المجتمع التيطري ويقصد بذلك "العصيان المادي". هذا الأخير أخذ عدة صور واختلف من حملة إلى أخرى، ولكن ما يمكن استنتاجه هو العامل المشترك بينها، وتمثل في أسباب شن هذه الحملات وارتكزت على دافعين: أما الأول فكان من أجل رفض هذه القبائل دفع ما عليها من مطالب مخزنية. في حين تمثل الثاني في قيامها بأعمال تتناقض والنظام العام.

وأمام هذا الوضع حاولت السلطات، وعلى رأسها الباي الذي كان مسؤولاً على ضبط الأمور الأمنية، والقضاء على كل الثورات التي كانت تحاول تهديد الاستقرار والأمن في المنطقة، لكل هذه الأهداف حاول رسم سياسة من أجل السيطرة وبسط نفوذ السلطة على الرعية خاصة المتمردة منها. ومن بين الأساليب الإدارية والإجراءات العسكرية المتخذة لإقرار هيبة السلطة على المناطق الجبلية نذكر إقرار الحاميات العسكرية التي كانت تتكون من الجنود الأتراك، ووضعها بالمدن الرئيسة. كما جندت بعض القبائل المخزنية على عدة جهات من أجل رصد تحركات هذه القبائل. وعندما كانت هذه الوسائل لا تكفي لبسط نفوذ السلطة فقد استعمل البايات صفة شن الحملات العسكرية - الغزوات - ضد كل من كان يرفض دفع المطالب المخزنية أو لقيامهم بأعمال تخالف النظام العام الذي فرضته السلطة وهذا بناء على ما ذكرته الوثائق. وقد استخدمت السلطة من أجل ذلك فرسان المخزن كسلاح مجرد في أي وقت ضد المناهضين للسلطة والمتمردين على الحكم، مما ترك أثراً سلبياً على نفسية السكان ونظرتهم للوجود العثماني بالبلاد، فأصبحوا لا يستجيبون لأي عمل جماعي، فكان مهمهم الوحيد هو انتظار وتوقع الحملات الانتقامية لفرسان المخزن وما تسببه هذه الأخيرة من قتل وسلب للثروات والمصادرة للأراضي الزراعية<sup>43</sup>.

#### هوامش البحث

- 1- الوثيقة: وهو تسجيل المعلومات وتحريرها حسب طرق علمية متفق عليها. ينظر: إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المنهاج، ط: 1، 1418 هـ/ 1998 م، ص: 131، 132.

2- الأيالة: باللغة التركية "إيالت" نقلا عن العربية "إيالة" بمعنى الحكم والإدارة والسلطان. وتعتبر الأيالة في الخلافة العثمانية أكبر تقسيم إداري. وقد استعملت رسميا سنة 1000 هـ / 1591 م. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، من تأليف مجموعة من الباحثين. مج: 5، كتاب الشعب، القاهرة، ط: 1، ص: 264.

3- البابلوك: عبارة عن تقسيم إداري وجغرافي وضعته السلطة العثمانية، نظرا لشاسعة الرقعة الجغرافية للجزائر، وضرورة حتمية من أجل فرض السيطرة والنفاذ على كل المناطق. أما فيما يخص مجموعة الوثائق العثمانية التي تم التعامل معها فلم يرد هذا المصطلح. ينظر: ملف الوثائق العثمانية رقم: 1641-1642-1643-3204-3205، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر العاصمة.

4- الرسائل: لقد احتلت الرسائل في كل عصر حيزا كبيرا من الاهتمام. ومن العادة أن تقسم الرسائل إلى دويانية وإخوانية. فأما التي تهتم فتتصف ضمن المجموعة الأولى، هذه الأخيرة اختصت بمصالح الأمة وقوام الرعية. وهي بصورة عامة تختص بتصرف شؤون الدولة، وبهذا استطاعت أن تهيمن على كل المجالات، فهي بمثابة المرآة التي انعكست عليها هموم المجتمع. ينظر: محمد طاهر كريم، من أدب الرسائل في المغرب العربي خلال القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 1993، ص: 176.

5- التقارير: مقروء تقرير. وهو عرض المحقائق الخاصة بموضوع معين، أو مشكلة معينة، عرضا تحليليا بطريقة سلسلة مبسطة. ويمثل التقرير خاصية من خصوصيات الوثائق العثمانية. ينظر: نزيه إعلوي، أساسيات في اللغة العربية قواعد وتطبيق، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط: 1، 1420 هـ / 1999 م، ص: 105-106.

6- تنوع المكتبة الوطنية بـ "الحامة"، قسم المخطوطات على كم هائل من الملفات العثمانية، التي بدورها تضم عددا منها من التقارير والرسائل التي يمكن الاستعانة بها من أجل إعادة صياغة تاريخ الجزائر العثماني من خلال مادته الأولية والأصلية. ولقد قم كل من خليفة حاش وفانيون بفهرستها وتوزيعها على شكل ملفات منها ما كان أصلي، ومنها ما كان مصور.

7- دار السلطان: ورد تسميتها في الوثائق العثمانية الرسمية بـ "محروسة الجزائر" أو "دار الجهاد. ينظر: ملف الوثائق العثمانية: رقم: 1642.

8- بالرغم من أن معظم المصادر والمراجع ترجع تاريخ بداية مرحلة حكم البايرباي إلى سنة 1517 م، إلا هذا نوع من الخلط التاريخي في الوقائع والأحداث، إذ أن التاريخ يمثل عملية الاستجداد التي قام بها الإخوة بربروس من أجل



انفاد الجزائر من الغزو الأسباني. في حين مثلت الفترة الممتدة من 1520 م إلى 1546 م مرحلة بسط النفوذ وتثبيت الحكم العثماني في الجزائر، وإخلاق هذه الأخيرة رسمياً بالخلافة العثمانية

9- عهد البايلرباي (950-995 هـ/ 1545-1587 م): إن أول من تلقب بهذا اللقب هو خير الدين عروج. وهو يعني أمير الأمراء. ويعتبر هذا العصر من أزهى عصور الحكم العثماني في الجزائر. ينظر: زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، ص: 488.

10- بتعيين خير الدين بينرباي أصبحت الجزائر إحدى الولايات الثلاث للإمبراطورية العثمانية وأصبح نياير باي الجزائر بمقتضى هذا التعيين حق التصرف المطلق في الجزائر مع الإشراف على إقليمي تونس و طرابلس. لكن هذا الإشراف لم يدم طويلا فقد ألغى العثمانيون نظام البايلرباي سنة 1588 م خوفا من أن يفكر هؤلاء الولاة في الانفصال فأصبحت الجزائر ولاية عادية يعين على رأسها باشا تعينه الأستانة كل ثلاث سنوات. ينظر: البوعبدلي المهدي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة 1984، ص: 87.

11- اسطنبول: "اسلانبول" باللغة التركية، وتعني تحت الإسلام. ينظر: أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ حاضرة فسطاطية. تحقيق: رابح بونار، د مط، د مط، ص: 33. وهي مدينة بالغة التحصين تقع على مضيق البسفور، وتشغل جانبا من شبه جزيرة قب بحر مرمرة. ينظر: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط: 1. 1421 هـ/ 2000 م، ص: 46.

12- ينظر: ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3207-1642.

13- المصطلح الشائع في مجموعة الوثائق الأرشيفية هو "الباشا"، و الباشة بالثناء المربوطة عند الأتراك هو الذي يولي السلطان العثماني قطرا من الأقطار. ينظر: أبوراس الناصري، عجائب الأخبار في لطائف الأسفار فيما جرى بوهراة والاندلس للمسلمين مع الكفار، مخطوط رقم: 3182، قسم المخطوطات، المكتبة الوطنية، الجزائر. ورقة: 27. أما مصطلح "الداي" فلم يرد في مجموعة الوثائق العثمانية. وهي كلمة تركية الأصل، ولها معان عدة كالحال، والرجل متوسط السن، والمدافع، أيضا الرئيس والقائد، وهذا بالنسبة لعامة الناس، أما بالنسبة للإدارة العثمانية فإن اللفظة كانت تطلق على قادة الجيش الذين يمتازون بالشجاعة والقوة بالإضافة إلى رؤساء البحر، اعترافا بكفاءتهم وحرصهم على حماية سيادة الإيالة والدفاع على سواحلها من الهجمات الصليبية. ينظر: حسين خوجة، ذيل بشارت أهل الإيالة بفتوحات آل عثمان، تحقيق وتقديم: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د مط، ص: 25. لدولانلي: من بين ألقاب الباشاوات. وتعني أنه الباشا والداي "الدولانلي". ينظر: ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

14- ينظر: ملف الوثائق العثمانية: رقم: 3190.



15- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 2، 1982، ص: 120.

16- اشتهر في الجزائر ثمان طرق وهي: القادرية، والشاذلية، والخلوتية، والرحمانية، والتيجانية، والعيساوية، والقيسية، والسوسمية، والعمارية. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 3، ص: 251.

17- صالح فرغوس، الحاج أحمد باي قسطنطينة 1826-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 1، ص: 584.

18- ينظر: ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

19- Jean Morisot, L'Aurès ou la mythe de la montagne rebelle, Edition l'Harmattan, Paris, 1992, P : 116.

20- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

21- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3205.

22- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3206.

23- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

24- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3205.

25- من خلال وثيقة نشرها عبد الجليل التميمي في مرجعه "بحوث ووثائق في التاريخ المغربي" وقد أمضاها عثمان خوجة باسم الشعب الجزائري بكل ما كان يحويه من قنات، وكانت من ضمنها فئة العلماء والتي بدونها لا يمكن أن تكون لهذه الوثيقة مصداقية. ينظر: ص: 196.

26- Vayssette, R. C, 1869, P : 42.

سعد الدين إبراهيم وآخرون، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط: 2، أكتوبر 1988، ص: 112.

28- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

29- المصدر نفسه.

30- المصدر نفسه.

31- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3205.

## 32- المصدر نفسه.

33- اختلفت المصادر والمراجع في استعمال المصطلحات التي خصت الوضعية الحقيقية التي كانت عليها هذه القبائل. فهناك من نعتها بالقبائل المتمردة والعاصية، مثال ذلك: صالح بن العنتري، وناصر الدين سعيدوني، وصالح فركوس. في حين وصفتها جلّ المراجع الأجنبية بالثائرة. أمّا الوثائق فتنتعها بـ "العاصية" ومثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم: (19-20-29-30) في التريب العام للمجموعة: "فرقة عاصية" وأمّا المفسدة، فمثال ذلك ما ذكر في إحدى رسائله: "أهل عصيان وفساد". ينظر: الرسالة رقم: (15) في التريب العام للمجموعة. ولكي نتكّن من إيجاد المصطلح الصحيح الذي يكون الأقرب من وضعية هذه القبائل علينا أن نعطي شروحا موجزة لكل ما ورد أعلاه. فالثورة لغة هي: ثار الشيء ثورا وثورانا. ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفرنجي المصري، لسان العرب، مج: 4، دار صادر بيروت، ط: 2، 1384هـ / 1992م، ص: 108. أمّا اصطلاحا: فهو التغيير الجذري والسريع لنظام سياسي بأسره، وهي عملية تغيير سريعة تستلزم العنف في الكثير من الأحيان. أمّا العصيان فهو لغة: مرد، تطاول في المعاصي. ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج: 5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1377هـ / 1985م، ص: 273.

## 34- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

## 35- المصدر نفسه.

## 36- المصدر نفسه.

## 37- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3206.

## 38- المصدر نفسه.

## 39- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 3205.

## 40- حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسُلطة، منشورات دحلب، الجزائر، ص: 56.

## 41- ملف الوثائق العثمانية، رقم: 1642.

## 42- المصدر نفسه.

## 43- المصدر نفسه.

## الدور السياسي والعسكري للطرق الصوفية

في الجزائر خلال العهد العثماني ( 16م - 19م )

د/عبد القادر صحراوي

جاسعة سيدي بلعباس

يحتل التصوف مكانة أساسية في تاريخ الإسلام والمجتمعات الإسلامية، ويعتبر ظاهرة إسلامية أصيلة، بنيت على التقوى واستهدفت تنمية القيم الروحية. وإن التصوف ككل حركة دينية استمد عناصره، ونشأ وتطور في ظل التطورات الشاملة التي مرّ بها تاريخ المسلمين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وكان نتيجة مباشرة له وأصبح مذهباً منظماً أثناء الجزء الأخير من القرن الثالث الهجري، وصار للتصوف أساتذة وتلاميذ وقواعد للسلوك. ولكنهم بذلوا ما في وسعهم من جهد للتوفيق بين تصوفهم وبين القرآن والسنة اللذين اتخذوهما أساساً لجميع أقوالهم وأفعالهم. ومن ثمّ فإذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق، أدركنا أنّه خرج من رحم الدين الإسلامي، ثم انتشر بين الأقطار الإسلامية خلال الفترتين الوسيطة والحديثة. وتعد الجزائر أحد مآلات الأثر التي هيمنت فيها الالتزامات الصوفية خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وهي فترة غنية بالأحداث والتطورات التاريخية.

## -الطرق الصوفية الرئيسية في المشرق والمغرب الإسلامي-

يصعب وضع إحصاء دقيق للطرق الصوفية مشرقاً ومغرباً، ويعتبر المجويزي المتوفى في 654هـ/ 1072م أول من كتب عن الطرق الصوفية التي قسمها إلى اثني عشر أو أكثر، ويكفي أن نذكر مصر التي تجاوز عدد الطرق بها اثنتين وسبعين طريقاً صوفية<sup>(1)</sup>، وأحصى لوي رين "Rinn"<sup>(2)</sup> الطرق الموجودة بالجزائر خلال القرن 19، ونفس الشيء قام به بروسلار "Brosslard"<sup>(3)</sup>، مع العلم أن هناك طرق أصليّة وأخرى فرعية. وهكذا انتشرت الطريقة الصوفية بمصر وتركيا الأوروبية، والنقشبندية بتركيا وبعض مناطق الشرق الأقصى، وميزت السهروردية بلاد فارس، في حين ظهرت الشاذلية في بلاد المغرب، وعمت القادرية كل العالم الإسلامي، وخاصة بالمغرب التي ظهرت بها الطريقة أيضاً<sup>(4)</sup>. وتتميز الطرق الصوفية بالصلية والفرعية بمميزات تبدو وكأنها مختلفة عن بعضها البعض، فالقادرية تميل إلى التصديق والخلواتية للعزلة، والبكندشية للتواضع، والدرقاوية للفقر، والطيبية لتعظيم أحفاد الرسول (ﷺ)، والشيخانية ذات ملامح<sup>(5)</sup>. وغالباً ما يقوم أتباع الطريقة بإطلاق اسم شيخهم على الطريقة الصوفية إذا اعتقدوا فيه القطعية، وتنازعوا

الطرق في مراسيم الاحتفال بالضياف الأقران إلى الطرق، والاعتقاد بالخوارق التي يجرى الشيخ وبعض المريدين مثل الإخبار بالغيبيات وغيرها من الأمور التي يرفضها العقل والشرع الإسلامي.

#### ١- الطرق الشاذلية في الجزائر

نحاول تقديم جرد بسيط للطرق التي عرفتها الجزائر قبل القرن السادس عشر والتي استمرت إلى ما بعد القرن الثامن عشر ومن أهمها ما يلي:

- ✓ **الجنيدية:** تنسب إلى الإمام الجنيد ومنها تنفرع الشاذلية التي تعتبر الأكثر ارتباطاً بها.
- ✓ **السهروودية:** يمثلها أبا نجيب ضياء السهروودي، ولكننا نشير إلى انعدام وجود أتباع لها بالجزائر، رغم أن الكثير من العلماء قد أخذوا عنها.<sup>(١٥)</sup>
- ✓ **القادرية:** يعتبر عبد القادر الجيلاني (٤٧١هـ-٥٥١هـ/ ١٠٧٨م-١١٦٦م)<sup>(١٦)</sup> يمثلها الرئيس، فهو الزاهد والواظ والفقيه الكبير ومفتي بغداد التي توفى بها، وقد أخذ أصول طريقته عن الجنيد، وبرزت طريقته في القرن ٦هـ/ ١٢م، ولعلها أول طريقة من حيث عدد المتبعين إليها، وتتميز بالإصلاح والتوجيه الحسن والتسامح ونشر المعرفة والعلم<sup>(١٧)</sup>، وأصبحت الطريقة القادرية بتقليد كبير وصل إلى درجة الحرفية، وما فتئت تنتشر خلال الفترة التي يعطينها هذا البحث وما بعدها، وانتسب إليها الكثير من المريدين مثل عبد الكريم المغيلي في منطقة التوات، وأولاد سيدي الشيخ في جنوب غرب الجزائر، ومرابطون من مدن الجزائر، وقسطنطين، وبجاية، بل وصل تأثيرها إلى غاية مدينة فاس<sup>(١٨)</sup>، ونشتهر بالعديد من الأوراد كورد حزب الوسيلة وورد الخلعة<sup>(١٩)</sup>.
- ✓ **الشاذلية:** تنسب إلى أبي الحسب الشاذلي المدفون بصعيد مصر، وتتلخص على يد أكبر أتباع سيدي أبي مدين الغوث وهو العلامة عبد السلام بن مشيش، وقد فضل الشاذلي الهجرة إلى المشرق، فلقباً وراء عدد من الأتباع، وعمل في تصوفه إلى الورع والزهد، إلا أن أتباع الشاذلية في الجزائر وغيرها لا يتكفون التمتع بنعم الحياة الدنيا، إتباعها لطريق شيخهم الذي دعا إلى تدريس النفس على فعل الخير، وإعدادها تدريجياً إلى الشريعة الإسلامية بواسطة الذكر الجماعي والفردى. فالشاذلية التي لم تسع إلى المال، لم ترفضه، ذلك أن الإحسان بالفقر أهم من الفقر كما جاء في أصولها<sup>(٢٠)</sup>. هذه الأخيرة التي تركز على التقوى وإتباع السنة قولاً وفعلًا، والإعراض عن الحلق في الإقبال والادب، والرضى بالقسمة الربانية والرجوع إلى الله في السراء والضراء، وتقترب الشاذلية كثيراً من الجنيدية. وعرفت في بلاد المغرب بالمدينة نسبة إلى أبي مدين تنعيب وهو الرابع عشر في سلسلتها، وبعد ذلك نسبت إلى الشاذلي وهو السادس عشر اعترافاً له بتفانيه في خدمتها، وانتشرت هذه الطريقة بشكل كبير بالمنطقة خلال القرن ٩هـ/ ١٥م، ونفرت إلى حوالي عشرين فرعا في المغرب، ولثانية فروع في مصر، وتبرز كل فرع بسلسلته وقطعه، وما ساهم في انتشارها في القرن

10هـ/ 16م رعاية الجازولين لها، ونشير إلى امتدادها إلى بعض الخواصر والمناطق في بلاد المغرب كتلمسان والريف والسوس<sup>(11)</sup>.

✓ الصديقية: تنسب إلى أبي بكر الصديقي، وإن كانت غير معروفة بالجزائر، فإن أبي بكر هو الجد المباشر لسيدى الشيخ الذي ترد إليه القيلة المتمركزة بالجنوب الغربي، والتي امتد نفوذها السياسي والديني إلى كل الصحراء الجزائرية وثاقبلات بالمغرب، ويعتبر سيدي معمر بن سليمان المتوفى في 832هـ/ 1420م أول من رفعت له قبة في الجزائر<sup>(12)</sup>.

✓ النقشبندية: ارتبطت بالشاذلية والقادرية مع نهاية القرن 14م<sup>(13)</sup>.

✓ الخلواتية: يمثل هذه الطريقة السورية الأصل الزاهد إبراهيم الخلاني، وتعد الطريقة الأم للرحابة بالجزائر والحقناوية بمصر<sup>(14)</sup>.

✓ العروسية: نسبت إلى ابن عروس المتوفى في 868هـ/ 1463م. وقد درس التصوف بتونس ومراكش، وعند عودته إلى تونس عاش زاهدا، ولكنه قام بأعمال فرية جلبت له هداوة الفقهاء، رغم عطفه. انتفع به عليه، وإثر وفاته رفع أتباعه مرتبته إلى سيدي محرز حامي تونس لمدة خمسة قرون، ولم تظهر العروسية إلا في القرن 10هـ/ 16م عندما كثر الأولياء في بلاد المغرب<sup>(15)</sup>.

✓ الجازولية: أسسها ابن عبد الله محمد الجازولي بالمغرب الأقصى، الذي سعى إلى إيجاد زوايا للطريقة على طول المنطقة الممتدة من تلمسان إلى السوس، وانضم إلى الطريقة ما بين اثني عشر وثلاثة عشر ألف مريد، الأمر الذي أثر على حاكم مدينة أسفي مقر إقامة الجازولي، هذا الأخير قتل مسموما في 870هـ/ 1465م، وتعتبر الطريقة الجازولية فرع من فروع الشاذلية والتي ساهمت في نشرها في كل بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/ 16م وما بعده<sup>(16)</sup>.

✓ الزروقية: يعد أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس المعروف بأحمد زروق البرنوسي، المتوفى في 899هـ/ 1493م، وهو يحتل الرقم عشرين في سلسلة مؤسسي هذه الطريقة. وتعتبر الزروقية فرع من فروع الشاذلية، ولكنها جمعت بينها وبين القادرية، وظل زروق يحرص دائما على عدم تعارض الطريقة مع الشريعة وتعاليمها، ويرى أن التصوف فردي يميز الخاصة الواعية. وعد أحمد الملياني أحد مريديا، وانتشرت في المغرب والجزائر وطرابلس في القرن 10هـ/ 16م<sup>(17)</sup>.

✓ الشابية: يعود أصل الطريقة إلى الشابة والصيحة وهي بلدة قريبة من مدينة المهدية بتونس، وعرف عرب دريد بتلاميذ الشابية. وتضم القبيلة التي للعمل نفس الاسم مجموعة من الزهاد، أسسوا فيها دولة صوفية

عاصمتها القيروان. أما الطريقة الشاذلية فنسبت إلى أحمد بن غانف الشاذلي في 898هـ/ 1492م بنسب، وخلفه ابنه محمد الشاذلي في 900هـ/ 1495م، ثم ابنه سيدي عرفة الشاذلي في 949هـ/ 1542م وهو مؤسس الدولة الشاذلية في سنة 942هـ/ 1535م في القيروان في النصف الأول من القرن 10هـ/ 16م<sup>18</sup>، وتقوم الطريقة الشاذلية على ثلاثة أسس هي: علم الشريعة أي التصوف بالكتاب والسنة، والأخلاق الصوفية، وعلم التوحيد الذي يفتحي معرفة العبد لربه وتوحيده من أجل معرفة الأخرى، وانتشرت الطريقة خلال القرن 16م في الشرق الجزائري والصوحي تحت رايته قبائل الحتاشنة والزمامشة الذين سيطر بعضهم سيدي عرفة على مدينتي قسنطينة، وتيسة، ومغلقلي الأوراس والزيان، ويمكننا القول أنها انتشرت بين البربر المقيمين بين سهل جردة ومدينة قسنطينة في الشمال، ومدينة توزر التونسية والأوراس في الجنوب. واعتبرت من أهم الحركات الصوفية نظراً لثقلتها الواحات والقرى والمقارنات، كل ذلك سمح لها بإقامة دولة وتكوين جيش قوي.<sup>19</sup>

✓ البكرية: ظهرت في سنة 909هـ/ 1503م على يد سيدي محمد أبو بكر وهو تلميذ زروقي، وعددت فرعا من فروع الشاذلية.

✓ الفراشدية - الزروقية: برزت في سنة 931هـ/ 1524م ونقلت الفرع الجنوبي للشاذلية الفراشدية.

✓ البوسقية أو الفراشدية: ظهرت في نفس الفترة، ونسبت إلى أحمد بن يوسف الشاذلي الفراشدي، الذي يعد من الشخصيات المرموقة، وهذه الطريقة فرع ثانوي وهي للشاذلية. وعلى الرغم من انتسابها إلى الليالي، إلا أن الذي جاء بها رجل صاحب أصحاب الشاذلي وهو أحمد بن عبد الله المزولي الذي قال بنو الليالي<sup>20</sup>، ورغم ظهور الطريقة في حياة الشيخ إلا أنه لم يوافق أتباعه على هذا الأمر واعتبر ذلك مخالفة مستدعة، وقال: "من قال عنا ما لم نقل ينال الله بالعمى والقلّة والموت على غير منه".<sup>21</sup>

✓ العيساوية أو العيساوية: تنسب إلى محمد بن عيسى وظهرت في حوالي 920هـ/ 1528م وتعد فرعا من فروع الحارولية، إلا أن هذه الطريقة لم تأت بشيء جديد في مجال التصوف، اللهم إلا إذا استثنينا بعض الخصائص الرسولية (ص) ومجلس الأربعين صاحبها يستحسن.<sup>22</sup>

✓ القشوحالية: برزت في حوالي 936هـ/ 1530م، ونسبت إلى الشريف محمد بن عبد الرحمن السرحاني وهو تلميذ الليالي، وينبع أفراد الطريقة حلقوس الشاذلية.

✓ البكائية: نسبت إلى عمر بن أحمد البكائي بنو بونكو الماتية في حوالي 960هـ/ 1553م، وارتبطت بالشاذلية، ووجدت أيضا بالشرق والجنوب الجزائري. وتلق هذه الطرق ظهور طرق أخرى مهمة وأخرى أقل أهمية تذكرها فيما يأتي على أن نتعرض لبعض منها لاحقا في هذا البحث، وتضم الأحادية أو الكرزائية وظهرت في

1019 هـ/1610 م. والشبيخة في 1024 هـ/1615 م. والناصرية في 1070 هـ/1669 م. والطنية في 1079 هـ/1678 م.<sup>(32)</sup> وهناك الطريقة الخنصالية في 1114 هـ/1702 م. والخضرية في 1125 هـ/1713 م. والزيرية في 1145 هـ/1733 م. والخيسية في 1167 هـ/1753 م. والنيجانية في 1195 هـ/1781 م. والرحمانية في 1208 هـ/1793 م. وظهرت طرق أخرى في القرنين الثورالين<sup>(34)</sup>. وهكذا نلاحظ أن الطرق الصوفية تدخلت في أمورها، وتنشعت في فروعها، إلا أنها نشأت في حلقوسها وثابتت في ميولها، وجمعها أصل واحد متمثل في الجديدة التي أخذ عنها عبد القادر الجيلاني وبعده أبو الحسن الشاذلي.

### 3- عهد الإطلي والاحتكاك بالعثمانيين

على إثر فشل إدعاء المرابطين للمعجزات، الذي يمكن اعتباره نهاية مرحلة دويلات القبائل في الجزائر، ساهمت الظروف الجديدة في دعم نظام الإخوان الذي هيمن على الوضع العام، وشكل خلفا استثنائيا لقيادة العلوق والجنسج. وعلى عكس الدويلات المرابطية التي طهر قشورها السياسي في لجميع الناس خارج حدود جهة ماء وفشها أيضا في جمع القبائل، فإن الأنظمة الإخوانية المنتشرة والمجموعة للناس، ضاعلت توسعاتها الروحية، ورفعت عدد المتسبين إليها من أجل رضى صفوفها وضمان التماسك الاجتماعي. وبشكل هذا الأمر بداية مرحلة جديدة للتعنة العامة التي تستهدف تحقيق التمام الاجتماعي مستقل، ولم يكن التماهي إلى الطريقة حديثا بحاجة إلى التبشير بها أو اللجوء إلى الكرامات كما كان يفعل المرابطون سابقا، فالعهد السياسي والتاريخي الجديد ملائم للمركز، ولجميع القبائل وتدعيم الروابط تحت قواء جامع ومدعم بتماهي المشاعر العنصرية للعثمانيين. وإن البيار الكونفدرالية المرابطية، وحاس الطرق الصوفية الذي مكر العالم إلا ارمي في نهاية القرن 18 م. ليعبر عن مقاطع رفض جديدة، ويفتح المجال بعد الإحياء أمام أمال جديدة.

ولكن الحركة الصوفية بشكلها الجديد من تنمية إمكانيات سياسية في شكل مظهر احتجاجي قد حصل في بعض الأحيان إلى الثورة. ومن أجل ذلك اندمجت مناطق كاملة في هذه الطرق الجديدة تحت قيادة شيوخ برعين، لكنوا من لجميع الرموز وأطير المجال العام، وممارسة الجهات الأربعة للإيالة، بالإضافة إلى الرياضات، وإحقاق الزوايا المرابطية بمراكز التنوير الجديدة، وتخليص الشيوخ والمرابطين والنزاع القبيلة نحو الأخرى من العلوق. ومن ثم أصبح المرابطون الذين لم تكن سلطتهم تعدى حدود قبيلتهم، تابعين إلى الطرق، ومؤقرين بأوامرها وعاملين لصالحها، وتحول الكثير منهم وخاصة ذوو النسب الشريف كرمز لتقداسة إلى مقدمين للطريقة. وقد لبست الطرق الصوفية، وخاصة الرحمانية

والمدرواية سياسة الاسترجاع، فكان أغلب المقلّمين التابعين للطريقة الرحمانية مثلا ذوي نسب شريف أو مرابطين وشيوخ قبائل سابقين.<sup>(25)</sup>

كما كان المقلّمون أيضا عناصر مرابطة فقدت سيادتها، أو فروع أولياء لم يستعقم الخط والوقت لتحقيق علومهم كشيخ قبائل، ومن ثم كانت صفة المقلّم وسيلة لاسترداد التأثير الصانع أو المأمون على الأنعام، وسعت بعض القبائل المقيمة بالمناطق النائية والفقيرة إلى تلقين أصول الطريقة من أجل تحقيق شهرة أكبر ولتلقى دعم الشعب، بينما انضمت قبائل قاطنة بالقرب من أرض يابلوك إلى الطرق من أجل التحرر من الضغط المفروض عليها من طرفه. وبذلك تكون العناصر المرابطة قد ساهمت نسب أو لآخر في الأزهار المباشر للطريقة الصوفية للسناء، ولعل إدماج المرابطين بناسب مع الذبعية الجامعة والأرطائية للحركة في حد ذاتها، كما تعتبر مسألة التفتح على الجماهير مهمة بالنسبة لشيخ الصوفية الحدد المؤسسين للحركة في شكلها الجديد، إضافة إلى توطينهم لأي رمز جامع وتآثر من أجل تحقيق تأثير أكبر، وإدماج عامة الناس في هذه الحركة. وحاول الإخوان براءة إيصال الحركة إلى فروع عن طريق لغتنا الجماهير من خلال توزيعها إلى مجموعات معارضة معتقدة اعتقادا واسعا في المادى الصوفية، ومستندة للتصحية من أجلها، وفي أقل من ربع قرن، تمكن الإخوان من نسج الكثير من الشبكات الطرقية التي فشلت الإقطاعات الصوفية في تحقيق تمسكها في السابق، مما أدى إلى التأثير على العقول والمجالات الجغرافية بشكل عام. وحتى نعطي فكرة عامة عن تجربة انتشار تأثير الطرق الصوفية، يلزمنا البحث في مدى تأثيرها على الجماهير، وانطلاقا من هذا نلاحظ أن ضعفها وتلاشيها من جهة إلى أخرى، قد حد من تفاؤها وجعله غير متماثل وأظهر تفاوتها واضحا في التأثير. وبغض النظر عن الإحصاء الذي قامت به الإدارة الاستعمارية الفرنسية للحركات الصوفية، يمكننا القول أن ثمة أسباب اجتماعية وثقافية وسياسية مثل محاكاة المراكز الصوفية الغربية، قد أدت إلى كثرة الطرق في يابلوك العرب كالمدرافوة والفرع الجزائري للقادرية عكس يابلوك الشرق. ونفس النجاح حققت الطرق في منطقة القبائل التي يصعب اختراقها وخاصة جرجرة الملائمة أكثر للتصوف التقليدي، والمساواة بشدة للوجود العلاني، أما الصحراء التي عثرت لمدة طويلة عمالا لحركة التشيع الصوفية، فقد اختلقتها النجانية والرحمانية التي يظهر أنها أكثر طريقة من حيث عدد الأنعام.<sup>(26)</sup>

ونظرا لتفشي الإحصائيات الخاصة بالطرق الصوفية وأتباعها لتلك الفترة، والتي تعود إلى القاع الصوفي للتجمعات الطرقية وإلى كثرة أتباعها والتطور السريع لعدددهم، يصعب علينا تحديد العدد الدقيق للمتمسكين إليها. كما لا تحل إحصائيات الإدارة الفرنسية من الشكوك تلك أن هذه التجمعات الطرقية غير نفوذة وترفض الإعلان عن عدد أتباعها أو إنشاء أسرارهم، ومن ثم غالتسببات والأرقام التي أعلن عنها المحققون العسكريون الفرنسيون هي



جاءة عن احتمالات قريبة يجب التعامل معها بكل تحفظ. كما أن بعض الطرق كالأرحانية والقادرية، خاصة المقاومة الوطنية ضد الفرنسيين، مما يجعل أمر تعاونها معهم مستبعدا فيما يتعلق بنسب معلومات سرية عن الطرفين. ونذكر الإحصائيات المشار إليها آنفا أن عدد أتباع الرحانية يقارب الثلاثين ألف شخص منهم حوالي سبعة آلاف بابلك الشرق والبلية بالجزائر. أما أتباع النجارية فيقارب عددهم ثلاثة وعشرين ألف شخص منهم سبعة عشر ألفا بالجزائر، وثلاثمائة فقط بابلك الغرب. في الوقت الذي لم يعد عدد أتباع الخصالية 1234 شخص منهم 82 شخص بابلك الغرب. ويظهر التناقص الصارخ في الإحصائيات المتعلقة بالدقافية التي بلغ عدد أتباعها حوالي 18 ألفا بالجزائر و897 شخص بابلك الغرب الذي يعتبر كما نعلم مقرا لأحدى الزاويتين الأم للجزائر والتي تستلهم قويا من وراثة مباشرة. أما في بابلك الشرق فليس لها أتباع. مع العلم أن المؤسسة الثانية للطريقة توجد به وهي التي تستلهم على الانتفاضات المعادية للفرنسيين في بداية القرن 19 م.<sup>(27)</sup>

ونحن نلاحظ الإشارة إلى أن عقيدة وإدعاء الحركة الطرقية لم تكن على عدد أتباعها، ولكنها تعتمد على أخلاقيتها ودمائيتها، وحيويتها وتنظيمها وبرايتها، وكذلك على الظروف المواتية عاليا لتضاعف هذه الحركات الوطنية ولجميع دول المدن. ويمكن القول بصفة مطلقة أن رؤساء هذه الطرق الإسلامية يصفون بالأخلاق والفصيلة، وهي الأمور التي لا نجدتها عند الأولياء والراغبين غير الأعضاء في الطرق<sup>(28)</sup>. وعن عكس الراغبين الذين تحسرت علاقتهم بالناس عند الانتهاء السلافي. وحددت بقاءه البركة، فإن الإخوان يفعل تأثيرهم السكي. ومعرفتهم الصوفية ورفعتهم، قد ملكوا العقول عن طريق صغها بالذكر الذي يقتضي إعادة اسم الشيخ مرات عديدة في اليوم، مما يربح عند عامة الناس التوافق إلى الأخرى، والحادون بتعظيم الامتيازات الدينية للبركة والوصول إلى الجنة. عادة شخصية التشيخ والانضمام إلى طريقتهم. وحتى أتباع هذه الطرق بالإخوان وليس الموردين كما هو الشأن في الشرق، ويعود ذلك إلى أسباب أخلاقية تتعلق بالكرامة المميزة للأتباع وميولهم المساواتية، ويمكن في هذه الحالة لأبسط الإخوان الذين يتسبون إلى سلاوات أو أصول دينية شرقية، التمكن بفضل طريقتهم من تحقيق سلطة دينية مساوية، وفي بعض الأحيان متفوقة على سلطة الراغبين والأولياء.<sup>(29)</sup>

واستطاع الإخوان بفضل «تأريخهم وهيتهم وتقليدهم» تحويل الزوايا إلى مراكز إدارية حقيقية للدعاية وحسم الناس، وهي المراكز التي لم تنقلب عن احتلال الساحة السياسية ومناخه سلطة البابلك، بل لقد ساهموا في الأزمات الحربية والتضامن مع الجماهير. فعلى انتشار الأمراض في سنة 1770م، قامت الزاوية الرحانية لأجل محي بمنطقة القبائل بتزويد السكان بالحبوب من مقامها ألقا به. وقدمت زاوية منعة الرحانية أيضا البذور إلى الملاحين أثناء

فترات الجفاف<sup>(10)</sup>. ولم تجد فتاوى العلماء الذين اعتبروا التنظيمات الإعرابية بدعة نكراء، ولا غير الأولى، والمراجلين خاصة المقيمين منهم في المدن والنواحيين الصالحين في أمور الدولة، من إحقاق الضرر بحسنة الدفاع وانتشار هذه الجمعيات، أو نحو وإعاقلة هذا المد الطرقي. بل لقد خشيت السلطة وحلفائها هذا المد. وفي 1789م سعى القاضي المالكي الخايج بن بدين القصر الكبير، والمشهور بفضائله ومعارفة الدين إلى استصدار فتوى من مجلس علماء الجزائر تعتبر الطريقة الرحمانية بدعة ويعبده عن أصول السنة النبوية، إلا أن العادي حسان الذي كان يدير قوة هذا العالم، وانتشار شعبته بدار السلطان ومنطقة القبائل، وعوقفا من اندلاع حركة ثورية، أجبر المجلس الخاضع لتأثيره على الاعتراف بسلطة سيدي عبد الرحمن وجعل الفتوى في صالحه<sup>(11)</sup>.

وتحوّلت الجبال الوعرة جردية بعد وفاة الشيخ سنة 1793م إلى مزار كبير يجتمع فيه الأناس بين الفترة والأخرى بأيت إسماعيل. مما أقلق السلطات العثمانية التي خشيت أن يتدغم هذا التجمع الكبير للأناس المعين للحرب، مما جعلها تنكسر في حراسة الإخوان والتجوه إلى الخيلة. وهكذا لاحظ الزائر القادوني من مدينة الجزائر إلى الزاوية الرحمانية بأيت إسماعيل خلوف شيخهم من جنته التي أخرجها عمال الداي الذين أشاعوا أنها موجودة بعاصمة الإيالة فأصيب أولياء الشيخ بالذهول، وفرروا الانتفال جماعة إلى الخامة حيث توجد الخيلة، وهناك لاحظوا بشدهاش كبير أنها لشيخهم. وفسر العامة ذلك بازواجية الشيخ، الذي ظهر بالكتان لارضاء أتباعه من الإخوان، واعتبرت تلك كرامة من كرامات صاحب الطريقة. وقام صيت إخوان مدينة الجزائر في كل مكان، حتى خشيتهم بعض الدول كمصر<sup>(12)</sup>.

وفي ظل هذه الأوضاع التي ميزتها كثرة الحواجز والعوائق، يجدد بنا التعرض لتأثير الحركة الطرقية على العلاقات بين الأتراك العثمانيين والدولة العلوية التي يعتمد سلاطينها على الأفعال الدينية في إثبات شرعيتهم، ويتحدرون من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم يعتبرون العثمانيين أعدائهم، ويهرون مسيحين مرتدين، وليسوا أبغاليا مسلمين<sup>(13)</sup>. فاعتبر الأتراك العثمانيون ذلك العدم اعتراف بهم وإعانة إلى الخليفة بأسطمبول، وبالتالي طغت علاقاتهم متسعة بالعداوة والصراع. وكان طبيعيا أن الملموعين من الطبقة الدينية بالملكية العلوية وخاصة منهم المرابطين والطرق المغربية، ينجأون إلى الإيالة ويستغلون سياسيا، مثلما هو الشأن بالنسبة لدبيلة الذي فر من مولاي الرشيد في 1676م وجأ إلى تلمسان. ويعتقد أن العثمانيين هم الذين حفصوا دولة على الثورة ضد الملوك العلويين، وأن الرافضين من الطرق الجزائرية لسياسات الدايات كالتبجانيين قد لجأوا إلى المغرب الأقصى، ووجدوا منه الدعم لتطويع خركتهم<sup>(14)</sup>. ونستنتج من هذا عدم قدرة المتحاربين على مواجهة الطرق الصوفية، وقبائهم في بعض الأحيان بإدكاه الكراهة بينهم، ولم يمنع ذلك من اعتبار الدرقاوية حصنا مدافعا عن سياسة السلاطين العلويين<sup>(15)</sup>. وأعلن قوة الحركة

الصوفية تكمن في صلاة شيوخها، وظهور العديد من الأعلام المشفوعة الذين سمعت السلطة العثمانية في الجزائر إلى كتب ودعهم، واستغلواهم من أجل استمرار الحكم العثماني.

#### • ثورات الطرق الصوفية وانكسارها على الأتراك

على الرغم من الإحساس المشترك والتضامن والتحالف الذي أشرنا إليه، فقد اندلعت ثورات عديدة ضد الأتراك العثمانيين. وقد شابت ومنازلها وغاياتها، فمنها ما كان دينيا، ومنها ما كان اقتصاديا، بل إن هناك ثورات قادها مغامرون بحثوا عن الجاه والسعة، كما ميزت الثورات بطول مدتها أحيانا وقصرها في أحيان أخرى. إلى جانب صيغ واتساع العمليات الثورية في التباينات الثلاثة. وغالبا ما كانت ثورات الطرق الصوفية متعددة الدوافع والغايات. وذكرنا أن رد فعل الجزائريين تجاه العثمانيين قد بدأ منذ القرن السادس عشر، خاصة عندما حشّ المتجددون مصالح الأمراء والولاة، في حين لم يكن العلماء والرابطون ضد هذا التواجد في بدايته، كما أن التحالف الذي وقع بين العثمانيين ورجال الدين قد أضر بمصالح هؤلاء الأمراء ورجال السياسة من أعيان وأشراف. ونظرا لظروف محلية اضطرت العثمانيين إلى الاعتراف ببعض الكيانات مقابل دفع الضرائب. واعتبرت عملية الانسحاب عن دفعها علامة لرد وثورة، واستغلالات القبائل ومجموعة من العلماء والرابطون من إعفاء ضريبي جراء تحالفها مع العثمانيين، وعلى عكس ذلك عوامل المعارضة معاملة قاسية. ووصلت بالرغبة، وكأني بالعثمانيين قد طلقوا عن الجزائر قواعد الحرب الإسلامية<sup>(36)</sup>.

وقد اندلعت الثورات الدينية مرابطون وطرق صوفية مختلفة مثل الرحمانية والبيجانية، وفيها يلي نتطرق لثورة البيجانيين.

#### • ثورة الطريقة البيجانية

ولفت البيجانية التي كان مركزها في عين ماضي ضد العثمانيين. وتار أبايعها ضد الأتراك مباشرة بعد انتهاء ثورة الدرقاوين، وكانت الثورة البيجانية بزعامة محمد الكبير الإيبي الأكبر للشيخ أحمد البيجاني<sup>(37)</sup>. وتوزع اتباع الطريقة بين الصحراء والمطابرة وانتشرت مراكزهم وزواياهم على طول بلاد المغرب انطلاقا من مدينة فاس إلى تونس، وصولا إلى الأراضي التونسية مرورا بالواحات والقصور. وبسبب الدور الاقتصادي المتميز الذي لعبه البيجانيون في تحكمهم في التجارة مع إفريقيا السوداء، تقرب إليهم المغاربة والتونسيون والمشبختات الصحرانية، وحازت القرب منهم وكتب ثقة شيوخهم<sup>(38)</sup>. وكان أحد البيجاني قد تعرض إلى ضغوطات باي وهران محمد بن عثمان، ولحقته تهديداته للتواصل أسرع الشيخ بالانتقال إلى فاس. واستأذن سلطان المغرب سليمان الذي رحب به وأكرم ضيافته وسمح له استعماله كأداة ضغط ضد الأتراك. وقام الباي محمد الكبير بحملة عسكرية بالجنوب الصحراوي حيث أثار

على قرية عين ماضي ومدينة الأغواط معاقب الطريقة التيجانية سنة 1787م، وأرغم شيوخها على الخضوع إلى سلطة التابليك<sup>(80)</sup>. كما قتل باي التيطري مصطفى بومزراق في الإسبلا، على مقر التيجانية في عين ماضي سنة 1822م<sup>(81)</sup>. وفي سنة 1823م حاصرت قوات الباي مصطفى بومزراق قرية عين ماضي لأكثر من شهر، وانتهى اختصار برنامج صلح بين الطرفين ثم بموجبه تقديم 2000 ريال بوجو، وغرامة سنوية مقدارها 300 ريال بوجو. وحاول أحد التيجاني استئانة القتال في المناطق الغربية مثل بني عامر، وبني شطرنج، والرجبة، والغرابية، والزمامة والدواير، إلا أنها رفضت مبادعته. ولا ريب أن الذي شجع التيجانية في إعلان الثورة على الأتراك هي قبائل بني هاشم، وهكذا رجع الجيش التيجاني للقدر يستأنه مقاتل نحو معسكر سنة 1827م. وجررت معركة بين التيجانيين والجنش العثماني بأرض أولاد دجو بمعسكر. لكن التيجانيين فشلوا في الاستيلاء على معسكر، وفي هذا السياق يصف الزهار حياة التيجانيين المؤسسة على يد الأتراك فيقول: "قطعوا رؤوسهم ورفقوها على اللد لكى يعتبر الناس، ويعتوا برأس الحاج محمد، ومنه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر وأتوا بسفينة وبعض الحاجات التي كانت عليه وجعلوا رأس ولد التيجاني في عمود وضربوه فمات الباب الجديد وعطفوا الرؤوس الأخرى حوله وكثرت ما كان الأتراك يخافونه يعتوا للسلطان محمود الثاني يشربونه بخله"<sup>(82)</sup>.

ولعل القتل الذي نتجت به الطريقة التيجانية في أول معركة لها مع القوات العثمانية يرجع إلى عدم محاباة الناس مع الطريقة بحيث ما حظرت به الطريقة الدرقية، بالإضافة إلى السياسة التركية المبنية على الإزهاط والتسلط ضد القبائل المتعاونة مع التوارق، ولذلك تحول النشاط الطرقي للتيجانية نحو الصحراء وبلاد السودان. وكان الشيخ أحمد التيجاني قائم التنقل بين ما بين "ي" و"تلمسان" وقاس، الأمر الذي أثار مخاوف العثمانيين، الذين اعتقدوا أن التيجانية يدبرون لمؤامرة ضددهم بالتعاون مع السلطان العنوي سليمان، فقام الباي محمد الكبير بغارة على قرية عين ماضي ومدينة الأغواط والجنوب الصحراوي، حيث يكثر غزو الطريقة التيجانية كما ذكرنا آنفاً، وتمكن الباي من إرغام سكان المنطقة على الاعتراف بالسيادة العثمانية ودفع الغرامة المالية المقررة في سنة 1787م<sup>(83)</sup>.

ويحق لنا الآن التساؤل عن آثار وتعكسات هذه الثورات على المجتمع والسلطة العثمانية بالجزائر؟ لا شك أن تعدد هذه الثورات قد أكسب الجزائريين وعيا جماعيا، فعمل انتشار الشعور بظلم الأتراك، شعور أدى إلى قول بعضهم: "تذهب عند التشاري ولا تجاور الترك، فتجمع علينا الجوع والقتل"<sup>(84)</sup>. ومن الواضح أن أغلب هذه الثورات كانت تنطلق إلى الوحدة والتسليم فيما بينها، الأمر الذي حال دون انتشارها انتشارا يغطي كامل الإيالة، ويعمل الرعية لتجاوب معها، فأغلب هذه الثورات تميزت بخاصية الإقليمية والجهوية، مما سهّل للبايات والفاشيات محاصرتها والقضاء عليها. ويلاحظ على هذه الثورات التي ميزت القرن 18م والقرن الذي يليه الاختلاف الجوهري بين زعمائها

واختلاف التزاماتهم الاجتماعية والذهبية. وقد سلك العلويون سياسة التسعيع والبطلان تجاه الثوار، مما مكّنهم من حرمان  
 عن الشعب، وأعادوا إلى هذه السياسة سياسة أخرى يلبس على الأوهام والإغراء وتستعمل قذائف المعزول  
 ثم اندلعت الثورات العرفية في القرن الثامن عشر، والتي سبقتها ثورات أخرى خلال القرنين السابقين بصورة  
 محلية، تعبراً عن رفض السياسة الإصلاحية العثمانية، وتراجع هيبة الجزائر وفقرتها من جراء لحدائل مداخيلها البحرية  
 والتحالف القوي الأوروبية ضدها.

## الهوامش

<sup>1</sup> Rinn (L.), *Marabouts et Khousans : étude sur l'Islam en Algérie*, Alger, A. Jourdan, 1884, p. 158.

<sup>2</sup> Brosselet (Ch.), *Les khousans : de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie*, Imprimerie de A. Bourget, 1952, p. 7.

<sup>3</sup> Coppolani (X.), *Depont (O.), Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, A. Jourdan, 1897, p. 172.

<sup>4</sup> Rinn (L.), *op. cit.*, p. 72.

<sup>5</sup> *Ibid.*, pp. 172-208.

<sup>6</sup> *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition, Paris, 1993, T. X, p. 339.

<sup>7</sup> مهنسي، إبراهيم، "مساهمة القادرية في تأخير الثورات الشعبية"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 4، 2003-2004، ص. 94.

<sup>8</sup> Cour (A.), *Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence à Alger (1509-1830)*, Paris, Bouche ne, 2004, pp. 96-97.

<sup>9</sup> سعيد، محمد، العرفي والطوائف الشيعية في الوطن العربي الحديث، ج 1، دار اسناد والبحوث الإسلامية والاجتماعية، مصر، 1997، ص. 333-334.

<sup>10</sup> سعيد، محمد، أبو القاسم، تاريخ الطوائف الشيعية، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ج 1، 1988، ص. 422.

<sup>11</sup> Cour (A.), *Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc et leurs rivalités avec les Turcs d'Alger*, Paris, 1904, p. 14.

<sup>12</sup> Trumelet (Cl.), *Algérie légendaire*, Paris, éd. Didier et Cie, 1881, pp. 126, 158-159.

<sup>13</sup> بروكتر، كزافييه، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين هريس ومير المصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص. 481.

<sup>14</sup> Rinn (L.), *op. cit.*, p. 210.

<sup>15</sup> سعيد، محمد، تاريخ الطوائف، ص. 337.

<sup>16</sup> Rinn (L.), *op. cit.*, p. 172.

<sup>17</sup> كرم، محمد، مدبر، العرفي الصوفي في الإسلام، ترجمة وعبد القادر صغري، دار النهضة العربية، بيروت، 1997، ص. 347.

18. ابن أبي عياد، محمد، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ص. 184، بلغت محمد "الطريقة الشاذلية في تونس والجزائر (مقدمة ترسيم صدر الحركة خلال القرنين 16 و 17 الميلاديين)"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 114، منشورات مؤسسة المدعي للبحث العلمي والمعلومات، رفوف تونس، يناير 2004، ص. 44.

19. بلغت محمد، المرجع السابق، ص. 42، 43، 44، 47.

20. Rinn (L.), op. cit., pp. 271-272.

21. ابن عسك، دوحه التاتر، ج 12، ضمن الأرشيف العربي، الرباط، 1913، ص. 123.

22. Rinn (L.), op. cit., p. 275 ; Doue (E), Les Aissawa de Tlemcen, Châlons-sur-Marne, imprimerie Martin Frères, 1900, pp. 23-24.

23. Ibid., pp 277, 341 ; تاريخ فلسفة الإسلام في الفترة الإفريقية، ج 1: الشرق الإفريقي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص. 342.

24. ابن أبي أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ش. و. د. عبد الجزائر، 1980، ص. 378.

25. Del'ich (A), « Un diplôme de Mokadem de la confrérie religieuse rahmánya », R.Af., 1876, p. 421.

26. Filali (K), L'Algérie mystique des marabouts fondateurs aux khwân insurgés XV<sup>e</sup>/XIX<sup>e</sup> siècles, Publibud, 2002, 155-156.

27. Archives d'outre mer, Aix-en-Provence, 16 H2.

28. Rinn (L.), Marabouts, ... op.cit., p.73.

29. Hamicheux, Le Tournais, La Kabylie et les coutumes Kabyles, T.I., Alger, 1893, p.104.

30. Ibid., p. 86.

31. Rinn (L.), op.cit., p. 454.

32. De Neveux (E), Les khawass, ordres religieux chez les musulmans d'Algérie, Alger, A.Joudry, 1843, pp- 90-91, 139.

33. Cour (A), op.cit., p. 385.

34. Hammoudi (A), « Une zawia marocaine », A.S.E., Paris, 1980, p.62).

35. Valensi (L), Le Maghreb avant la prise d'Alger, Paris, Flammarion, 1969, p.84.

36. محمد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ص. 280-286.

37. Arraud (L), « Histoire de l'ouali sidi Ahmed etidjini », R. Af., n° 5, 1861, pp. 468-474.

38. Emerit (M), « Mémoires d'Ahmed Bey », R.Af., n° 93, 1949, p. 85.

39. ابن هعقال، أحمد، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم، القاهرة، دار الكتب، 1989، ص. 51-76.

40. Rinn (L.), op. cit., p. 199.

41. الزهاري، مذكرات الخراج أحمد الشريف الزاهد، تحقيق أشرف الله الجزائري، تحقيق أحمد توفيق الشاذلي، الجزائر، ش. و. د. عبد، 1974، ص. 160.

42. ابن هعقال، أحمد، المصدر السابق، ص. 75-76.

التناصري، أبو العباس أحمد، الاستعلاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد التاسري، دار الكتب، الدار البيضاء 1954-1956، ج 2، ص 110-111.

## مراكز الامتاع الثقافي والحرف المخطوطات بالمغرب الأوسط

د/ محمد بن محمد

جامعة وهران

لقد كان لجهود العلماء والمؤرخين من رجالات القرون الماضية انعكاسات واضحة على الحياة الثقافية والفكرية بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط لاسيما الناحية الغربية منه، بسبب المؤثرات الجغرافية والعوامل التاريخية التي تربطه بالخواص الإسلامية للحضارة له. وعلى هذا الأساس كان من الممكن أن يتأثر الإقليم الغربي من حوله وينهض يفكر، وحضارت، ليحسد عمليا بفضل علمه ومؤرخيه ومراكز المخطوطات الموجودة به. استطاعت الناحية الغربية عبر مرور اخطب التاريخية أن تبلغ شأنها كبيرا في مجالات العلم والمعرفة والتراث، وأن دولها عظمى تكونت فيها، كما أنجبت عنها، وأبعدا ملائ شهورهم الأفاق، واعتزت بهم العربية عبر تاريخها الطويل أيما اعتزاز.

### مدينة الراشدية

يطلق على الراشدية اليوم اسم أم عسكر<sup>(1)</sup> أو معسكر، وفي حقيقة الأمر إقليم الراشدية يضم كل من قلعة هواردة<sup>(2)</sup> بوسهل غريس بياقها أم عسكر. ولا زالت بعض آثار الراشدية إلى اليوم متمثلة في اسم قرية تدعى بالراشدية نسبة إليها. وعلى كل قلعة بني راشد تعتبر إحدى فلاح العلم والثقافة والجهاد في الجزائر وشيدت في المنطقة التي تدعى بالوطن الراشدي<sup>(3)</sup>، وعلى هذا كان قلعة بني راشد ثلة من العلماء والصلحاء ما لا يعلمه إلا الله، حتى قيل: "إن كل دعوة في غريس بولي صالح، وكثرت الرحلة إليها، لطلب العلم والمعرفة خلال القرون الفجرية الأولى الثلاثة: 1-12-13 هـ/ 17-18-19 م.

ومما زاد من شهرة قلعة بني راشد هو غناها بعدد من العلماء والفقهاء كما ذكرنا سالفا، حيث كانت لهم اليد الطولى في إغناء تراث حضارتنا العربية الإسلامية والمحافظة عليه في حقب تاريخية مختلفة. بداية بعصر ما قبل التاريخ، فالعصر الوسيط ثم العهد العثماني بالجزائر، نخص من بينهم: الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرقي الغريسي، الشيخ أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن قطال الشلشلي، الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي. الشيخ الطيب بن المختار بن عم الأمير عبد القادر، ومن بينهم كذلك الشيخ أبو راس محمد بن أحمد الراشدي العسكري الذي يعد شيخ مؤرخي الجزائر الحديثة<sup>(4)</sup> والشيخ مصطفى الرماصي.



ولقد حظيت قلعة بني راشد باهتمام المؤرخين خصوصاً بعد أن شيد بها المسلمون قلعة حصينة وهذا للدفاع عنها وعن المناطق المحيطة بها، وقد حل بها بنو راشد، وفي القرن الثاني للهجرة حل بها إدريس الأول، وبكت بها سنة أشهر، وفي نفس الفترة الفداه بنو رستم سدوها غرب. وأقام الزيدون عليها فيما بعد حاكمياً يستخلص ضرائب منعقة غريس التي كانت تعتبر خزينة مالية توفر للملكة الزيدانية ربحاً معتبراً، قدر بحوالي 50 ألف دينار أسباني سنوياً، وكانت قلعة بني راشد قبل تأسيسها أي في أواسط القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، مدينة صغيرة لم يرد ذكرها إلا لعرباندي كتب الرحالة أمثال الإدريسي.

واختيرت قلعة بني راشد موقعها الاستراتيجي تقدم والتي مكنتها قبائل بربرية كثيرة منها: مكناسة، وأربة، وبنو هلال، وبنو حكيم، هوروة...<sup>(٩)</sup>، وبشير ابن خديون إلى قلعة بني راشد قالوا: "ضعضت لحكم يوسف ابن تاشفين مؤسس دولة المرابطين في سنوات 1073-1072م"<sup>(١٠)</sup>، وعلى إثر سقوط غرناطة عام 1492م، واضطهاد الأسبان للمسلمين فتحت المدينة أبوابها وهدموا رجب، لتستقبل مجموعات كثيرة من أهل الأندلس بما فيهم العلماء الفارين من هناك، وهذا مما جعل الإسبان يغزون المدينة حيث تمكن "الدون مارتين" إخضاع سكانها سنة 1٤١2م<sup>(١١)</sup>. ومع مجيء الأتراك زادت أهمية قلعة بني راشد بما فيها أم حسكر الخاليفة، فعرفت إزدعارا عسكياً بفضل تدشينها للأبواب السبعة المعروفة<sup>(١٢)</sup>، وتتحول في عهدهم عاصمة للبلادك الغربي<sup>(١٣)</sup>، حتى فتح وهران سنة 1792م. يقول صاحب تحفة الزائر: "وأصحبهم عليها -أي الأتراك- فشرعوا في بنائها -أم حسكر- بالحجارة، ووسعوا حيطانها، وتأثروا في تشيد دورها على نحو دور الجزائر، وأطلقوا عليها اسمها القديم لم العساكر أي معسكر الجيوش، التي كانت تعرف به من قبلهم، على خلاف اسمها الحالي المعروف باسم "معسكر"<sup>(١٤)</sup>، وجمعوها مركزاً لحاكم تلك النواحي، وكانوا يواصلون الغارات منها إلى سائر الجهات ويختصمون البلاد"<sup>(١٥)</sup>.

كما عرفت قلعة بني راشد إزدعارا اقتصادياً زاد من أهميتها، حيث اعتبرت مصاف الخواصر الكبرى، بفضل سوقها الكبير الذي كانت تعرض فيه كل المتوجات المختلفة، وهذا مما زاد من تعديدها وجعلها أهلة بالسكان، يقول البكري: "كانت قلعة بني راشد -سوقاً لثلاثة قديما يعل بن محمد بن صالح اليربوعي، وكان ابتداء تأسيسه في سنة 338هـ، وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تلمعوت وبلن وشباط بنو واصل وورهران وقصر القلوس، فعمرت وتمنت وحظمت، وهي في سفح جبل أوتلاسي، وهو يجر فيها ذو شعراء غامضة، وقيلها بر سيرة ينبعث من نهر

شرقها، غلبه الأرجاء والبساتين من كلتا جهتيه، وغربي فكان أسفل بساتينها مجمع وادي سيرة ووادي سي وواحي هند وعن المدينة سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق". هذا يعني أن المدائن التجارية بين مختلف جيران قلعة بني راشد كانت جد نشيطة، وهذا ربما دافع إلى إحكام الأتراك السيطرة عليها وتأمرهم بطريق القوافل التجارية التي كانت قائمة آنذاك.

ومما زاد من أهميتها هو تداول مركز العاصمة - عاصمة لبلادك الغرب - من ملاوثة إلى أم عسكر وأخيرا وهران، قد أحدث تغييرا كبيرا على الحالة السياسية والمليحية في المنطقة وفي المدينة على وجه الخصوص، فأصبحت محور اهتمام أصحاب المصالح وملئى لاحتمالك الأتراك، ومقر انقضاه الوفود والقيادة لتخطيط وتنظيم حملات الجهاد لتحرير وهران ولترسي الكبير خاصة، وقد أترك الأتراك العثمانيون لعلا هذا الموقف المريب والخطير في نفس الوقت، فراحوا يتركون معهم أهل المحل والعقد من العلماء ورؤساء القبائل وشيوخ الزوايا الصوفية لاحتواء الروابط خاصة الشافعية والقادرية التي كانت متواجدة بكثرة في المدينة والمنطقة، إلى جانب الدرقاوية والتيجانية والتي تأسست خلافاها المذهبية أمام الغزو الإسباني. وهذا تكمن الأسباب التي دفعت بالباي مصطفى بوشلام إلى اختياره لأم عسكر بإقليم الترشيدي كعاصمة لبلادك الغرب، هو أنها كانت تتميز بما يلي:

لكنها محطة تتحكم في المسلك الطبيعي الذي يشكته وادي الحمام والذي يربط بين الجهات الساحلية والأقاليم الداخلية، كما أنها مركز "جور" مهم على الطريق الوهمي بين قلعة بني راشد وثلثسان، مما جعلها موقعا حيويا لتتواجدات السودان، وستودعا لبلاليع فاس وملنقى لتجارة الغرب الجزائري، ونقرا لوقعا الحصين والمنيح، فهي مقامة على محدبات جبال بني شقران على ارتفاع 640م، بحافة وادي توجيها (تودمان) لو عن مقربة من سهول غريس<sup>(12)</sup>، وهذا ما جعلها آمنة من كل خطر إسرائيلي يملق بها، ويعد عنها التحركات للغربية التي كانت تستهدف ثلثسان وجهات الشلف، وتعد لها هذا الموقع المنيح أن تعرف لدى الأهالي بشارب الربيع<sup>(13)</sup>.

كما تزخر مدينة أم عسكر بالأنجاء الزراعي والمصايف - سهول غريس - كانت تدر مقادير وفيرة من الحبوب، إلى جانب الأصواف والجلود يتواحي للغة بني راشد القرية منها، بالإضافة إلى الأسلحة النارية والصابون والسروج والأخيلة، ولاسيما البرانس والزرابي الفاخرة، وبذلك أصبحت أم عسكر سوق مخصصا ورئيسا لقبائل بني راشد ومخطا للعشائر الكبرى بالناحية كبني عامر والحشم وهانم وبني شقران وعمرهم.

لقد كان هذه الليارات سنداً قوياً في احتفاظ أم عسكر بكنائسها الاقتصادية، ومرتبها الثقافية بعد فتح وهران، وانتقال عاصمة البايك إلى عام 1206 هـ/ 1792 م، وإخراج نخبة من العلماء والفقهاء والمؤرخين أمثال: الشيخ أبو راس الناصر الذي كان النثل الحقيقي في تصوير الأحداث التاريخية التي عاشها وعاصرها، وهذا مرده إلى اهتمام الباي محمد الكبير الذي بلغت أم عسكر في عصره أوج قمتها وعظمتها طوال الفترة الممتدة ما بين 1779 / 1792 م، حيث أقام بها المدارس المساجد ومختلف المرافق العامة التي كان لها انعكاس كبير على العلماء والطلبة معا. ومن مآثر الباي محمد الكبير الثقافية والتعليمية، التي تمتعت بها أم عسكر طوال حكم الأتراك لها، نشير إلى بعضها:

أعاد بناء مسجدها العتيق الذي شيّد عام 1761 م، وهذا بعد هدمه وإعادة توسيع مساحته، وإحداث خمسة أحواض للريشوة به، حيث جلب لها الماء عبر قنوات وسواقي، إلى جانب استبدال محراب المسجد بمحراب آخر تفنن في صنعه، وهو المسمى حالياً بجامع سيدي حسن وفيه أقيمت مبايعة الأمير عبد القادر الثانية. كما بنى الباي محمد الكبير جامعاً بجزر المدرسة المسدية سنة 1207 هـ/ 1793 م. وهو المعروف عند أهالي أم عسكر بجامع العيون البيضاء. وقد أقام به الباي سنة عشر حوضاً للريشوة جلب لها الماء عبر القنوات من أرض تتوسط على ماء كان قد اشترأها لهذا الغرض. كما بنى بها مدرسة كثيرة أحشها بالمسجد، وحتى تؤدي هذه المدرسة دورها الذي وضعت من أجله، فقد رتب لها المدرسين والفقهاء، وخصص لها الأوقاف الكثيرة للإلتحاق عليها، إلى جانب تزويدها بمكتبة غنية بكتابات المخطوطات والكتب النادرة، بذلت من أجل الحصول عليها أموال طائلة.

وحتى يتمكن لهذه المرافق العامة من أن تلعب دوراً هاماً في بعث الحركة الثقافية في المنطقة والقيام برسالتها الحضارية على أكمل وجه، يادر محمد الكبير إلى تحسين أوقاف كثيرة عليها، حيث خصص ربعها للإلتحاق عليها وصيانتها، إلى جانب تشجيعه للعلماء والمؤرخين، ومنعهم عطائاً وهذا تلقى يستولاهم ومكتباتهم الاجتماعية والعلمية في المجتمع الجزائري آنذاك. أما فيما يخص المرافق العامة والتي قصد من ورائها الباي محمد الكبير إعطاء صبغة عالية لمنطقة الراشدية بأم عسكر، نذكر منها الفندق الجديد، والسوق القديمة داخل أسوار المدينة والحمام المعروف بحمام الأدهم، والمقبرة المخصصة لرجال أم عسكر. إلى جانب خبرك وعدة دكاكين تجارية، هذا بالإضافة إلى إقامته العديد من العيون في مختلف أحياء المدينة، وأرباضها كريفسي سيدي علي، وجلب لها الماء الصالح للشرب عبر قنوات وسواقي.

لقد كانت هذه المنشآت الحربية والمؤسسات الدينية والتعليمية التربوية محط إعجاب كثير من الأدباء والعلماء، إذ وصفها المؤرخ المشهور ابن سحنون الرشدي في كتابه: "الشعر الجاني في انساب الشعر النوهري" على أنها من أهم المؤسسات التعليمية الزاهرة في المجال الأدبي والتاريخي والثقافي وأنها مركز إشعاع حضاري في الحضارة العربية الإسلامية عامة. وفي الحضارة المغاربية تحاصداً، كما ذكرها الشاعر الخاج أحمد بن غلال القرومي في إحدى قصائده، التي مدح فيها الباي محمد الكبير أعماله الجليلة ومواقفه الجريئة، كبناء مسجده الكبير ومدرسته العريقة وتوليته بنفسه إدارته بمنطقة الرشدية، ويذكر منها بعض الآيات في هذا المجال حيث يقول:

ألقى العضا وقت رحال ركائلي	بالمسجد النشئ بأمر العسكر
أشحكم التشيد في شرفاته	فراء يحسن كالأرياض المطر
صباحه من مسجد في الأرض قد	حاشى الساء تطاولا في القعر
نحوه مدرسة حدث آثارها	تحية بالعلم الشريف الأشعري

وقد حفلت منطقة أم عسكر في عهد الباي محمد الكبير، بمجموعة كبيرة من الأدباء والعلماء والمؤرخين الذين تولدوا عليها من أماكن متفرقة وأقاليم مختلفة والذين تخرجوا من الرواها وبخاصة الموجودة بالقرب منها: كزاوية الكرط، وزاوية الليطة اللتان تخرج منها علماء أجلاء وفقهاء مجتهدين وأدباء مشجلين وأئمة مهتدين كعلماء حشم ومشايخهم، كما توجه زاوية الشيخ المؤرخ والفقيه العالم أبي راس الناصر العسكري، التي تخرج منها علماء وأئمة مثل: محمد بن علي السنوسي، محمد ابن زرقدة، وإلى جانبها زاوية سيدي قادة بن المختار جد الأمير عبد القادر الحسيني حيث يوجد بها ضريح والده الشيخ محي الدين، وهي لا تزال قائمة حتى اليوم.

وعلى كل فإن منطقة الرشدية قد عرفت انتفاضات متتالية بالنظام العثماني المذكور على سبيل المثال: انتفاضة درقاوة والاضطرابات التي كانت داخل السلطة التركية نفسها. ومن هنا يمكن وصف الحالة السياسية بالمنطقة صوما على أنها جد مضطربة بسبب تلك الفتن والانتفاضات التي كانت تظهر من الحين إلى آخره، والتي يصعب إلقاء لحيها، كما كانت هذه الفتن انعكاسات على عدة علماء من بينهم الشيخ أبي راس الناصر، الذي منته شظايعها، مما أدى بالسلطة التركية إلى عزله من منصب القضاء والفتوى ورسم موالاته لهم.

بعد تجميع ذلك الماضي الحافل، بدلت الراهنية تقدر مكانتها العلمية وتنشط منزلتها الحضارية، فتخلص عصرها وتنقص عدد سكانها وبنت من الممكن وما لاشك فيه أن يتعد عنها تغلبه والعلماء، ومرة ذلك إلى عدة أسباب منها انتشار الآونة الفتاة التي كان لها بالغ الأثر على المجتمع الجزائري، فقد قضت على كثير من العلماء من بينهم شهابنا أبو راس الناصر الذي كان ضحية وباء الطاعون المنتشر في تلك الفترة، إلى جانب قلة دقاوة المشار إليها آنفا التي أدت إلى تخريب وتدمير للمدينة بأكملها.

#### مدرسة مازونة الفقهية

من بين المدارس العلمية الأخرى والتي لا يقل أهمية عن سابقتها مدرسة مازونة الفقهية حيث اشتهرت بعلمائها الجاهلية كأبي راس المازوني وأبي طالب المازوني والشيخ هني المازوني وغيرهم كثير لا يتسع المقام لتذكرهم جميعا. لقد كان لعلماء مازونة وصناعة بطحاء الشلف والأقاليم الغربي عموما، دورا كبيرا في المحافظة على تماسك المجتمع ووحدته في مواجهة أهل الريف والانحراف، وقد حصر وتكلم على يد المازوني النوازي كبار فقهاء القرن العاشر الهجري من أمثال العلامة أحمد بن يحيى الوترشيحي صاحب العيار الذي ترك سيرة حسنة وعلمًا يتطبع به إلى اليوم حيث يرجع الفضل في بروز مدينة مازونة كحاضرة علمية إلى الهجرة الأندلسية التي استقرت بها فأصبحت بها هذه الجالية الموريسكية زراعة وصناعة فأصبحت شبيهة بقراهم وصديهم الأندلسية وكان قد أشرف في عمل سابق لنا أن كل مدينة تظهر بالمغرب الأوسط ناتجة عن استقرار الأندلسيين القارين بدينهم من أسبانيا ومحاكم الفتنش، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نذكر الشجرة الموريسكية إلى مازونة، فيها ظهرت مدرسة مدينة مازونة التي أقامها الشيخ محمد بن الشريف البولدوي، وهي نموذج من نماذج مدارس الجهة الغربية من المغرب الأوسط<sup>(15)</sup>.

فلقد أسس الفقيه محمد بن علي الشارف المازوني مدرسة ثروية تيازونة في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وقام بالتدريس فيها إلى أن تولى بعدهم لحدود إزدهار المدرسة على يد الشيخ أبو طالب محمد بن علي، في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وتخلقه على المدرسة أخوان من أبرز تلامذة المدرسة هما: الشيخ محمد بن هني وشقيقه الشيخ عبد الرحمن بن هني<sup>(16)</sup>.

أما أشهر طلبة هذه المدرسة فهو الفقيه العالم محمد أبو راس الناصر العسكري المولود عام 1150 هـ/ 1737 م بقضاء بني راشد قرب معسكر، استوعب علوم عصره وكان من طلبة مازونة النجباء، توفي عام 1258 هـ/ 17 أبريل

1823 م. ترك ثروة فقهية وعلمية كبيرة وسلسلة طويلة البعض مفقود والبعض مخطوط، فقد خلف وراءه مائة وستة وثلاثين مخطوطة بين قصيرة وطويلة، ولم يطبع منها إلا اثنتان<sup>(17)</sup>.

الأول: فتح الإله وسته في التحدث بفضل ربي ونعمته أو حياة أبي راس الثانية والعلمية، نشره محمد بن عبد الكريم الجزائري رحمه الله بالجزائر عام 1990 م والسيرة في حوالي 185 صفحة من الحجم الكبير، وهي سيرة مميزة تدخل في باب السيرة العلمية، وهي تحفة غنية صادقة عن حواضر وأعلام الجزائر في عصر أبي راس الناصر المعسكري، وهو الذي عاصر قرني المصاعب والكوارث خلال القرنين الثامن عشر وعشرين من القرن التاسع عشر، والكتاب الثاني عجايب الأسفار وقد طبع مترجماً إلى الفرنسية من طرف السيد أرنو. نشر كاملاً عام 1885 م، بعد أن نشره عن سلكات في المجلة الإفريقية.

ومما يبرهن عن أهمية مدرسة مازونة الفقهية ما جاء على لسان أبي راس الناصر لخالد: "سألني الشيخ محمد بن لينة عن وجهتي، فقلت له ذاهب إلى مازونة، قال لما؟ قلت: لقراءة الفقه، فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاحه وما يتعلق به، فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معنى ولغتها في عامي الأول، ثم قرأت للعلامة الفرائضي، وتعلمت حل الشيخ العلامة الناصح محمد بن القندوز المستغلامي<sup>(18)</sup>، الذي تتلمذ عليه محمد بن علي السنوسي المستغلامي بعد أن حفظ قدرًا من الكتاب والفقه على يد كفيته العالة الفاضلة عمته فاطمة في بوفيرات، وكان هذا العالم القد سيدي محمد بن القندوز قمر الألبان لمقتله الذي حسن، مما أدى إلى هجرة السيد السنوسي الكبير الفقيه محمد سيرة محمد بن عبد الوهاب بالغرب، في ليبيا والجزائر ونشاد والصحراء الكبرى. وهي درس ونخرج من مدرسة مازونة كذلك الشيخ عبد بن غلام الله محمد الطريقة الشاذلية ومؤسس الزاوية في جبل عنون بسواحي تيارت، ومنهم محمد بن العالم قاضي منطقة بركان، وأماون بن العالم باش غدل وجدة، بالغرب الأقصى.

وعرفت مازونة بعدد من الفقهاء أمثال موسى بن عيسى صاحب "دباجة الاختصار في مناقب أولياء الله الأخيار"، و"حلية المسافر وآداب وشروط المسافر في ذهابه وإيابه" وهي من الجامعات الفقهية الكبيرة المفقودة، وبه تخرج صاحب الدرر المكنونة في التوازل للذكور وأعلامها أما مدينة الجزائر، فقد اشتهرت بإهداءها وعائلتها عبد الرحمن الشعلاني، وتلميذه أحمد بن عبد الله الجزائري الزاوي (ت 884 هـ / 1480 م) صاحب الفلامية المشهورة في العقائد التي شرحها الشيخ السنوسي (ت 885 هـ / 1486 م).

كما اشتهرت وهران بالعالمين للتصوفين محمد الطواري وتلميذه إبراهيم التازي وأبي العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني (ت 920هـ / 1514م) صاحب الفتوى الشهيرة إلى القوريسكيين من أهلنا بالأندلس و"جامع جوامع الاختصار في البيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان" في تربية الأولاد وتعليمهم وولده أبي عبد الله محمد بن أحمد المغراوي الوهراني المعروف بشقرون الوهراني، صاحب "الجيش الكونين لقتال من كفر عامة المسلمين" وصاحب منظومة في القرامات التي نظمها حسب المحقق البوعندي عام 899هـ / 1494م.

أبو زكرياء يحيى بن موسى (أبي عمران) ابن عيسى بن يحيى أبو زكريا اللغلي المازوني وهو فقيه مالكي من أهل مازونة من أعمال وهران، وفي قضاء بلد، توفي بتلمسان سنة 883هـ / 1478م. له الدرر المكنونة في نوازل مازونة وهي فتاوى ضخمة في ديوانين في فتاوى معاصرة من أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم ومنه استمد الوثنيسي مع نوازل البرزلي وغيرهما. رحل إلى تلمسان حاضرة بني زيان، فأصبح أحد أبرز وجوهها العلمية في الفقه المالكي. تلمذ المازوني على جلة من العلماء وهم:

والده موسى بن يحيى بن عيسى الفقيه الأجل والمدرس المحقق والفاضل الحقيق صاحب كتاب "دباجة الافتخار". كما أخذ المازوني العلم عن ابن مرزوق الخليلي (ت 842هـ / 1438م)، وناسم بن سعيد العقاشي (ت 854هـ / 1450م)، وأبي العباس أحمد بن زاهر المغراوي (ت 845هـ / 1441م).<sup>(19)</sup> وأبو عبد الله القاضي الشريف اشعر عمر الشريف (ت 833هـ / 1428م)، قال أحمد بن يحيى الوثنيسي صاحب المعيار لتلميذ المازوني: "الصدر الأوضح العلامة العلم الفضل ذي الخلال السنية، مني إخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيلنا، ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا سيدي يحيى وهو من العلماء الكبار الذين تناولوا الفتوى، وأصبحوا مرجعية فقهية، ولم يتروكوا بعلمه عند السلطة، وكانت فتاوى المعيار والمازوني دائرة على فقه مالك بن أنس، لأنه المذهب الذي كان يتبعه جميع السكان باستثناء أتباع المذهب الإباضي".<sup>(20)</sup> وهكذا أصبح العلماء والقضاة حسب نوازل المازوني، هم الذين يقومون بالسهر على تنفيذ القانون، وأتى لهم ذلك في مجتمع يسوده الفساد والاضطراب.<sup>(21)</sup>

وقد اشتهرت مدرسة مازونة بالمؤلفات التوازلية التي تعدّ مصدراً أساسياً للدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، يستفيد منها الفقيه، والمفتي، والحاكم، والمؤرخ، والجغرافي... على حد سواء، كما أنه يستفاد من التازلة في رسم الحكم الشرعي على مسألة مستجدة (حديثة)، لأنها في عمومها تحوي فوائد لا تقل أهمية عن الحكم الشرعي

ذاته. فهي تروي ظروفًا سياسية واقتصادية واجتماعية ترتب على آثارها هذا الاستثناء. كما تتصل بظروف بيئة معقدة تتطلب من ينهض إلى إصلاحها وتجديدها، وقد نشب إلى أقطار داهية على أقطار المسلمين فتشعل أمان وهم ولاية الأمر إلى معالجتها قبل استفحالها، ويضاف إلى هذا كله ما يصاحب هذه المسائل التوازلية من سرد تاريخي، وجغرافي، وجزئي، إقليمي وعلمي، مازلت نستفيد منه في كثير من دراساتنا المعاصرة.

#### معرضة للنسب

والحافظ التنسي مشهور، إذ كان من أبرز وأمثل علماء القرن التاسع بالمسار، وله تأليف عديدة من أهمها وأشهرها كتاب "الدر والعقبات في تاريخ ملوك بني زيان" كما اشتهر الإمام التنسي في قضية شائكة لا زال معربا لم ينضب وهي العروفة عند المؤرخين بقضية يهود توات، وكان البطل الذي آثارها الفقيه عبد الكريم اللغلي بالنسب، وقد نسب عنها انقسام علماء بلاد المغرب العربي: تلمسان، فاس وتونس إلى قسمين: قسم آيد القيلي وعلى رأسه مترجما التنسي والإمام السنوسي (صاحب التوحيد)، والقسم الآخر آيد خصمه في القضية، وهو القاضي المصنولي قاضي شطيط عاصمة بلاد توات إذ ذلك، وقد بسط هذه التازلة الإمام أحمد بن يحيى الوترسي في موسوعته الفقهية: "المعيار المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب". كما حظي الإمام التنسي أخيراً بدراسة قيمة ضمنها الأخ الدكتور محمود بوعباد مدير المكتبة الوطنية بالجزائر، أطروحته التي نال بها الدكتوراه، ولم يحل تأليف من تأليف التراجع بالمغرب العربي من إثبات ترجمته، كـ "فهل الديباج" لأحمد بابا التتكني و"الستان" لابن مريم و"دعوة الشاعر" لابن عسكو. أما تأليفه المذكور في فن القراءات فهو متداول عند المقرئين ببلاد المغرب العربي، وبلغنا أنه طبع بالمطبعة الحجرية، إلا أننا لم نطلع عليه، قبل أن نعرض لبعض تأليف المتأخرين أي في القرنين الثاني والثالث عشر تسج عليها العنكبوت حيوطه، وهي في حكم المفقود<sup>22</sup>.

#### خزائن المخطوطات بالمغرب الجزائري

ومن أهم خزائن المخطوطات التي اشتهرت بالمغرب الجزائري، خزنة الباي محمد المصطفى بن زرقة الدحاوي صاحب "الرحلة القمرية في الأخبار الحمديدية"، التي سجل فيها حرب وهران مع الأسبان، حيث قال متحدثا عن الباي محمد بن عثمان المذكور "فكان من سابع فضله أن رُوِّدني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى بطول عمره، ودوام منصبه ما استظهر به حليه ما أنا بضده، فكان كالليل المعين على السفر، الخ...



كما كانت خزنة المؤرخ أبي راس القاصريام عسكر التي قال عنها في حاشيته "تم لي أخشى هذا الباب الأبدع بما  
مدحت به مصرينا التي هي بيت الذاهب الأربعة وهذه مكتوبة في بيت كتبنا في يدها بخط بعض تلامذتنا

قُلْهُ قُبَّةٌ بَعْدَ تَطْيِيرِهَا	وَبَيَّنَّهَا نَدَى حَارِ الْمَاهِي مَنَاجِيهَا
تَقُولُ لِمَنْ يَأْتِي مَا مَنَّتْهَا	تَأْتِي تَحْتَى تَشْتَعِدُّ فَرَسَ خَالِهَا
بُسْتِ بِحَسْبَةِ الْعُلُومِ وَبُيَّتْهَا	لَمْ تَبْرُوحْ لَحْوِي وَفَرَسَ هُوَ غَالِيهَا

ومعه بين التران كذات "خزنة الشيخ عبد القادر بن سعد الشردمي فليق قرية الدبة" كان صاحبها من علماء  
القرن العاشر. حيث نرح هذا الأخير من حاجة على الشيخ محمد بن علي شيخ سعيد قندورة، فلقد كان هذا العالم  
يستكتب اللاجئين الأندلسيين للنسخ، وأنس هذه الخزنة وشحنها بأهميات الكتب. وقد بقيت هذه الخزنة رغم  
وجودها في بادية مقطوعة مختلفة بعض ما تبقى على طعم الأرض والاهل والنهب<sup>24</sup>. عليها أحمد الويس  
وتعليقه كما احتفظت ببعض كتب نسخها اللاجئون الأندلسيون، ومن أهم ما كانت تحفظ به هذه المكتبة وعثر عليه  
منه سنوات كتاب "الدور المكتوبة في توارل ملزونة" المشار إليه أعلا. منقول من نسخة المؤلف وعليه تخطيط للعلامة  
الشيخ أحمد بن يحيى الوشرسي صاحب كتاب العيار، قبل هجرته إلى المغرب، ويمتاز هذا التخطيط الذي نقل من خطه  
أنه ترجم فيه لعاصم الدرر المكتوبة، ترجمة وافية إذ أن كل التراجم الموجودة في "قبل الدياج" و"الاستبان" لم تذكر  
في ترجمته إلا سطورا قليلة كما ذكر الوشرسي أنه تلميذ للمؤلف<sup>25</sup>.

إلى جانب هذه الخزائن هناك خزنة الشيخ البشير عمودي وهي أحد أعرق خزانين المخطوطات بالمغرب  
الجزائري، توارثها صاحبها شيخا عن شيخ، وهي تنقسم في طياتها عددا لا يستهان به من نقائس المخطوطات والنوائف  
النافرة، حيث استفاد منها الشيخ للهدى «البعدي»، والشيخ النعمي، ناهيك عن الباحثين والمؤرخين. وقد كانت  
خزنة جدّه عمر بن دويقة<sup>26</sup>، تحتوي على 400 أو 500 مخطوط نفيس لكنها أحرقت في عهد الاستعمار الفرنسي، ولم  
يسلم منها سوى 06 أو 07 مخطوطات، وبما أن الشيخ كان كاتباً، وناسخاً<sup>27</sup>، وشاعراً إلى جانب اطلاعه الواسع  
وحبه للعلم والعرفان فإن ذلك دفعه إلى بذل الجهود من مال وقيام برحلات وأسفار داخل الوطن وخارجه، مكتنه من  
لنوع إنتاجه في مختلف الفنون والعلوم والتي بلغت 71 مخطوطاً حيث لم يبق منها سوى 09 أو 10 مخطوطات.

وذلك في مجال ذكر أهم خزائن المخطوطات هناك خزانة الشيخ عبد الباقي الشعاع، وهي الأخرى من أهم الخزائن التراثية العريقة، يرجع تاريخها إلى مؤسسها الشيخ عبد الباقي بن أحمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر بن زيان الحاج بن يوسف بن زيان بن الشيخ محمد العربي المنقش بآمن شعاعة<sup>(28)</sup> (تتصرف الحسيني الإدريسي). كما لورده الشيخ سعيد العلياني التلمساني في إحدى تأليفه. من بين الخزائن كذلك خزانة محمد بن يوسف الزبالي البرهجي، ينتمي إلى أسرة عليية تسكن البرج، وكل ما نعرف عن أسرته هو أن عمه أحمد بن يوسف الزبالي كان من خواص الباي إبراهيم الملقب (1170 هـ) الذي تولى بابا وكانت معسكر آنذاك قاعدته.

تولى محمد بن يوسف الزبالي القضاء بسقسط رأسه بالبرج سنة 1861 م حسباً لذلك عليه وثيقة تاريخية رسمية كتبه بها الحاكم العسكري الفرنسي للناحية بغيره فيها على موافقة المارشال حاكم الجزائر على تعيينه قاضياً، ثم نجده قاضياً بواد تليلات بمدينة سوق حواري 1893 م، وبقي على قيد الحياة إلى أوائل القرن المسمى الجزائري، أي أنه من المؤكد قد مات قبل الحرب العالمية الأولى<sup>(29)</sup>.

من الكتب التي نسخها بعض كتب الشيخ أبي راس الناصر العسكري<sup>(30)</sup>، وكتب الشيخ الجامعي، الخ... حيث كان شغوفاً بها وبالشيخ نفسه، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. أقوال التأسيس فيما وقع لو سيع من الفرنسيين لأبي راس الناصر العسكري
2. الإبريز والإكسر في علم التفسير لأبي راس الناصر العسكري
3. الحاوي لبند من التوحيد والأولياء والفتاوى لأبي راس الناصر العسكري
4. التكويتب الدري في الكلام عن الجندري لأبي راس الناصر العسكري<sup>(31)</sup>
5. عجائب الأخبار في لطائف الأسفار لأبي راس الناصر العسكري
6. شرح لزجوة الخلقاوي للجامعي
7. رحلة ابن هطل التلمساني
8. بعض الأعداد من رسالة المشير
9. صفات المغرب للأخوة من كتاب البلدان لأحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي

10. كتاب السيد أحمد ولد قادي الداني البعثاني الذي وضعه في أصل الحياثة ونسبهم وسيرتهم وسيرته مع الدولة الفرنسية

11. رسالة في القضاء والقدر للشيخ عبد الرزاق الصنعاني

لقد امتازت كتابات محمد بن يوسف قزياني بالشمولية والدقة في وصف الحوادث التاريخية استنادا على من سبقه من الشيوخ والمؤرخين أمثال أبي راس الناصر، إلى أن وصلت إلى درجة التأثير بالشيخ.

وهناك خزائن مخطوطات أخرى بالقر بالجزائري أمثال خزانة الشيخ الصادق بلحميسي بإزونة، وخزانة الشيخ مصطفى بن عبي الدين بنعيف، وخزانة الشيخ بن زمام النواحي، وخزانة الشيخ الواحي عبي الدين. وكل هذه الخزائن حفظت لنا عبر التاريخ جزء من تلك الكنوز التي كانت تحويها في الزمن الماضي، والتي كانت قبلة العلماء والفقهاء والمؤرخين. وبما يمكن الإشارة إليه أننا نسعى في المستقبل القريب إلى وضع دراسة مستفيضة حول فهارس مخطوطات الغرب الجزائري وأهم المخطوطات الموجودة بها، لتمكين جمهور الباحثين والمختصين والمهتمين بدراسة تراثنا الذي هو مرآة حضارتنا وثائقة أجدادنا، إلى التعرف عليه ومن ثم تركيز الجهود على دراسته وتحليله.

#### الاحداث

1. يقول مولاي بلحميسي "أثبتنا هذا الرسم خلافا لمعسكر الخاري لما عرف، لأن كتابها في كلمتين هو الصحيح خاصة بالنسبة للفترة لثمة... وللقصود منها هو الكتابة على أن هذه المدينة ضامعا لما حولها من عساكر كما أن "أم القرى" كتابة عن المدينة الخامسة لما حولها من القرى "الأمر عبد القادر، كتاب مذكرات الأمر عبد القادر، سورة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق محمد الصغير بناني، شركة دار الأمة، 1991، ص: 27-28. كما أثبتنا هذا الرسم كذلك في مخطوط قلعة بني راشد، معسكر الحاية وما جاورها كما ذكرنا سابقا هي قلعة بني راشد.

2. راجع مخطوط تاريخ قلعة بني راشد، لاسمحه الشيخ محمودي، ورقا: 1-3.

3. المصدر نفسه، ص: 3.

4. ناصر الدين سيموي، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص: 251.

5. مبارك تليلي، تاريخ الجزائر في القدم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 1971، ص: 816.

6. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج: 7، ص: 132.

7. ملتقى الفكر الإسلامي، لدرجع السابق، ص: 4.

8. الأبواب السبعة هي: "بابا علي، باب الشرقي، القلعة، دار تودام، عروق إسماعيل، عين البيضاء، سيدي علي محمد...".

- (8) كانت عاصمته قبل ذلك مأزونة وهذا عام 970هـ / 1561م. تم نقلت العاصمة إلى أم عسكر في عهد الباي مصطفى بوشلاخ، عام 1701م.
- (10) الأمير عبد القادر، مجلة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق محمود حقي، دار البنية العربية، بيروت لبنان، ط 1964، ص 10.
- (11) أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك، ص: 65.
- (12) أبو راس الناصر، فتح الإله (سج)، أي راس بس: 20-21.
- (13) مولاي بلحميسي، دراسات حل عصر أي راس الناصر، عاصرية لقيت على هامش ملتقى أي راس الناصر، بمصنكو، سنة 1992 ص: 05.
- (14) Encyclopédie : p: 264.
- (15) L'Algérie à l'époque d'abd-el-kader, p: 90.
- (16) Belhamissi(m), Mazouza, une petite ville, une langue histoire, Alger, SNED, 1982, p: 49.
- (17) بو عبد الله غلام الله نظرا: عامة على التعليم الأعلى في سهل الشلف خلال الثلث الأول من القرن العشرين (أعمال الأمير الوطني الثالث لقرآن الكريم) الجزائر، "مستورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف"، 1424هـ / 2003م، ص: 27.
- (18) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الحروس، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1895م، ص: 224-244. محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله وماته في التحدث بلسان دي واعنة (أحد أي راس الثانية والعشيرة) حقله وسطه محمد بن عبد الكريم الجزائري، تقديم، أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1890م، ص: 21.
- (19) ابن زاهو: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاهو الغراوي التلمساني، الإمام المحدث الملقب بالعلامة شرح على التلمساني في المراسل وله فتاوى في العبارة، والدرر للفتوة توفي في ربيع عشر من شهر ربيع الأول سنة 1495هـ / 2 أوت 1441م قبل الانتهاج، ص: 118. أبو الحسن القفصادي (591هـ / 1488م)، رحلة القفصادي المسماة بحمد العقاب، ومنتهى الرغب إلى أسنى المنازل، تحقيق وفراصة محمد أبو الأجداد تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م، ص: 105. الفكر السامي للمصنوي، الجزء الثاني، ص: 257. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتاب العربي، ص: 224. ترجمه وعلقه: 921.
- (20) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثاني، ج: 1، ص: 392.
- (21) المرجع نفسه، ج: 1، ص: 43.
- (22) عبد الرحمن بن محمد أجيلاني، تاريخ الجزائر، ج: 4، ص: 366.
- (23) القرية صغيرة قرب قلعة موزة التابعة حاليا لولاية غليزان.
- (24) للهدى البوعبدل، مراكز ثقافة وحرمان الكتب بالجزائر عبر التاريخ، نشأها وتطورها وكيفية " مجلة الأصالة " الجزائر، ط 1972، ج: 1، ص: 104.
- (25) القهني البوعبدل، المرجع السابق، ج: 1، ص: 185.
- (26) الشيخ عمر بن بوية هو جد الشيخ محمودي من جهة أبيه، كان متضلعا في سائر الفنون، يقول عنه طيحه البشير محمودي " لو كان جدي عمر بن بوية حيا لأصبحت عملة مثله ولا مزارع " وهذا دليل واضح على مدى طراوة علمه.

<sup>27</sup> من بين الكتب التي نسخها الشيخ أبو عبد الله: كتاب عقائد الأسماء وطوائف الأصناف، والحق العرب من الأمر لغرب الحلق والأندلس وتغزو لغرب، أي رأس الأمر العسكري، وأهل الميول وأيسر السهول في أصناف مدينة وهران محمد بن يوسف القنبري قنبري، وكتب أخرى في مختلف الفنون والعلوم.

<sup>28</sup> ابن شعاعة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن نصر بن منيع بن صالح بن عبدون بن علي بن عبد الله بن أحمد بن عثمان بن سعيد بن عبد الحميد بن يحيى بن عبد العزيز بن عبد الحفيظ بن علي بن سليمان بن إدريس بن عيسى بن سليمان بن أحمد بن عثمان بن عبد الصمد بن عبد الله بن الإمام إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. تاج العارفين، ص: 65.

<sup>29</sup> ابن شعاعة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن نصر بن منيع بن صالح بن عبدون بن علي بن عبد الله بن أحمد بن عثمان بن سعيد بن عبد الحميد بن يحيى بن عبد العزيز بن عبد الحفيظ بن علي بن سليمان بن إدريس بن عيسى بن سليمان بن أحمد بن عثمان بن عبد الصمد بن عبد الله بن الإمام إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. تاج العارفين، ص: 65.

<sup>30</sup> راجع: محمد بن حمزة، "أويس الأمر العسكري وكنزاته الداركية"، 1155-1238هـ/1737-1823م، تحت إشراف أ. د. عبد الحميد بن عبد الله، رسالة ماجستير، القاهرة، 2003.

<sup>31</sup> حقه الشيخ بقرد وإبوزنا نسخة بخطوطه.

## الموريسكيون: الإطار التاريخي والتاريخي للتسمية

محمد باقر

جامعة صيدا

لغة موريسكي هو من أصل لاتيني إيطالي فللوري *moris* حسب رأي المؤرخ الروماني سالتشيو *salustio* الذي اقدم بالتاريخ لواقع حرب بونيرطة ضد رومة يرى أن هذه التسمية تطلق على مجموعة بشرية تامة البشرة السمرات أما الأصل للتسمية الإغريقية فهو عن "الموروس" (*morosus*) يعني دائن البشر، ومن هناك ينتقل للصفة موروس *moros* وتعني شديد السمرية وقد تبدل هذا المفهوم ليحول في العصور الوسطى إلى الإنسان غير المسيحي، ومن هذه الاشتقاقات تحدثت تسمية موريسكي التي تعني: غير النصراني والوجهة خصيصها لتعريف أهلية المسلمين، الفريسيجو كلمة مأخوذة من كلمة موراني، هي في الأصل بمعنى سكان، موريطانيا أي المغرب الأقصى وبعض غرب المغرب الأوسط في النصف اللاتيني والمغرب، أن الأسبان أطلقوها على الجيش الذي حاربهم في واقعة رلاقة أعني جيش المسلمين تحت قيادة يوسف بن تاشفين، أنهم جاءوا من المغرب الأقصى، ثم صار لها النسبة الأندلس بعد أن أخذ الأسبان معظم البلاد ثم خصصوه بعد زمن قصير من المسلمين ليعرفوا بينهم وبين الصاري الأصليين<sup>1</sup>

الثمة التي تحولت فيها بقية الأداة الأدبية بالتصغير الفروغ، إلى فائقة جديدة عرفت في تلك التاريخ بالموريسكيون *moriscos* أو المسلمين الأصغر أو العرب المتصغرين<sup>2</sup> الموريسكيون *moriscos* تصغير لكلمة موروس *moros* أصلها أهل لشكالة الصاري على مسلمي الأندلس المتصغرين ومعناها العرب الأصغر احتقاراً<sup>3</sup> وال إلى أنهم من اللغة وفلوان<sup>4</sup> وكلمة (الموريسكوس) *moriscos* تصغير لكلمة *moros* وهو لقب أطلق على جميع المسلمين الذين كانوا يملكون الأندلس، ثم قابوا على العرب، تصغير اسمهم لينة على وجه أصل هذه الكلمة إلى اللغة اليهودية (الموراء) وتعني المغرب، ودخلت إلى اللغة اللاتينية وأصبحت كلمة *morici-morici* وتعني سكان المغرب، حيث كان جنوب المغرب يسمى موريطانيا.

ثم أصبح التسمية من هؤلاء يسمون بالموريس (مختصر) عن موريطانيا وأخيرا أطلقوا هذا الاسم على كل عرب مسلم لأن العرب باب الموالدين على الأندلس؛ ولما فترجم إلى عريب أو متعرب، أما كلمة الموريسكونا فتعني المسلمين والعرب (المذجين) الذين جلبوا مستشرقين في إسبانيا والبرتغال قبل سقوط غرناطة، وأصلها موراء وهي بيرية الأصغر من (مورا) وتعني المغرب.

كلمة الاسم واللقب "الموريسكون" أي العرب الأصغر، الذي تبرزه الإسمائين الأندلسيين المغنوين عن العرب بعد سقوط حاضرتهم غرناطة (1492)، كما تبرزوا قبل ذلك الأندلسيين، الذين دخلوا بالقدح تحت الكفة الأولى بعد احتلال منهم بالموريس، أو بالأحرى ترموا هذا الوصف القدحى لمعرف عن المذبيين الذي نجده في كتب الحسن الوزان، وأحمد فارس الجوزي، وأبو القاسم، ومحمد بن عبد الوكيل المرحلي، ويوحنا بن خاتم اليربوع، وغيرهم، وكلهم أندلسيون مهاجرون.

الموريسكي هو في الأصل ومن منظور القانون هو أندلسية، أي إسبانية فوق أي اعتبار آخر، حيث كان أو أعربا أو ثقافيا إلى ذلك. فالموريسكي كان إسبانيا مسيحية قبل هذا الاعتداء، الذي أدى إلى سقوط غرناطة 1492 م. ثم أصبح إسبانيا من الدرجة الثانية عن أرض الواقع، ومن حيث اللغة نصرايا بالثقافة، بعد أن رفض الاستسلام عن جدران إسبانية والقبول بالتصديق<sup>1</sup> تطلق كلمة الموريسكيون (بالإسبانية MORISCOS وبالفرنسية MORISQUES) في المسلمين الذين بقوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة، في أيدي المملوكين المسيحيين فوجدت في إسبانيا، هناك عليهم أن يستجيبوا للشرعية الخيارات الثلاثة: إما التمسك وإما الموت وإما الإخلاء. وقدر دخول قرار 1502 م خير شئ، أصبح الذين اعتنقوا المذبة المسيحية طاعة أو كرها، باطنيا أو ظاهريا، وكذلك الذين اعتنقوا روج مقدومة يعرفون في كتب التاريخ باسم الموريسكيين moriscos، وهي تسمية جاءت كرد فعل على تلك النسبة القبيحة التي أطلقت من طرف العرب المسلمين على اللعين أو المساكين الذين ضلوا عن دينهم فكانوا يعرفون باسم "المستعربين" (mozarabes)<sup>2</sup>، أصبح الواحد يعرف بين الناس بلقب الموريسكي more إذا تصدق بكلمة





بحريف إسباني لكلمة الأعجمية،<sup>15</sup> والتي هي من "أعجم" أي كل ما هو غير عربي الأصلية في مختلف عجائبها من بالنسبة للموريسكيين لغة أعجمية، لذلك فضلوا استعمال الحروف العربية في كتاباتهم مبرزين من خلال هذه العلامة الخارجية انتماءهم إلى الأمة الإسلامية في شبه جزيرة الأندلس "جاءت هذه التسمية العربية من كونها اعتمدت في التعبير عن معانيها للغة "الرومنية" وهي العامية اللاتينية التي يدخل في دائرتها كل اللهجات البرتغالية والقسطنطينية والأراغونية، والكطالونية، أدت إلى تفاعل الحرف العربي مع المعنى الروماني<sup>16</sup> مما يجعل الدارس يقع في ارتباك وهو يقلب صفحات أحد المخطوطات، مثلاً فهو يظن أنه يصادف مخطوط عربي إلا أنه لو تحول فراءته لما فهم بعمق أنه تكتونه روماني المعاني.<sup>16</sup>

كانت حاجة المتأخرين من المسلمين الإسبان إلى التمسك بأعقاب اللغة العربية، فأخرج هؤلاء الموريسكيين لغة قوامها الصوتي الروماني وحروفها عربية، متأثرة شأنها شأن كل عامة بالتصطلحات الإقليمية، نتج عن هذا الامتزاج اللغوي لغة جديدة هي الألمانية<sup>17</sup> فالألمانية في جوهرها وسيلة بيداغوجية اخترعها الموريسكيون لتعريب أطفالهم لحرفه العربي وقراءة النصوص الدينية المترجمة، وهي وسيلة يلجأ إليها المسلمون<sup>18</sup>

يؤكد المتخصصون أن الموريسكيين أثناء استنطاقهم لدى محاكم التفتيش، كان جلهم يستعمل اللغة القشتالية، ولم يعودوا قادرين على استعمال اللغة العربية إلا القليل النادر منهم، وفي ضوء ذلك نلاحظ جيداً مدى "ريخ استعمار اللغة القشتالية بالحروف العربية، والكتب المترجمة حتى يفهمها عامة الموريسكيين الأندلسيين الجاهلين للغة العربية"<sup>19</sup> أصبح نتاج الموريسكيين الأحقاد وسراحتنا لمحاكم التفتيش، في زمن حرم فيه الكتاب واللسان والحرف العربي، وقد جاءت كل النصوص الألمانية مسوخة ولم يعثر على أي نص مطبوع، كانت عملية النسخ يقوم بها الرجال والنساء في الخفاء ويحفظون المخطوطات في الكهوف، وفي البيوت وفي تحفقات الجدران، والسفوف أو في أماكن سرية

أخرى<sup>23</sup> وعند طرفه الموريسكيون من إسبانيا يثبت هذه المخطوطات في كتابتها، ولم يبق عليها إلا بقدر قرون، مثلاً لتثير للاهتمام التي تسجل على هامش المخطوط دليل إثر مدينة بيت بمدينة أليخيدا (Aguada) سنة 1788م تم العثور على اثنين بالعربية في مجموعات الجدران، ولزج اكتشاف للمخطوطات الأحيائية بمدينة الموناسيد دي لاسيرا (Almonacid de la sierra) بمرقسطة (Zaragoza) سنة 1884م حيث وقع اكتشاف مكتبة أحد الموريسكيين، تقسم 159 كتاب. تولت مجموعة من المستعربين الإسبان نشر الكتب الأول لهذه المخطوطات الأحيائية بمرقسطة سنة 1888م تحت عنوان (Colección de textos aljamiados) وإشراف كالي من ديلو سويل (Pablo gli) وحوليات ريبيرا (Gulian ribera) وماريانو سانشيز (Mariano sanchez). وبعد مضي ربع قرن من هذا العمل الزائد قام طلبة من قسم العربية بمعهد الدراسات العربية بمدريد تحت إشراف كل من حوليات ريبيرا وميغال أسين (Miguel asin) بنشر فهرس دقيق لمجموعة مخطوطات الموناسيد دي لاسيرا. نشر هذا العمل سنة 1912م بمدريد<sup>24</sup>. بالإضافة إلى المخطوطات الموجودة في مكتبة مدريد الوطنية، والتي قام سانيير بإعداد كتالوج خاص بها، بالإضافة إلى المخطوطات التي ينشر إليها جوزايت بالنا، وعدة مخطوطات موريسكية موزعة على مكتبات باريس الوطنية... الخ، ليبلغ العدد الإجمالي 222 مخطوطاً، وهذا ما يفسر وجود ما لا يقل عن ثلاثمائة مخطوط في العالم حورت بالحرف العربية ولكن باللغة التشيلية.

جدول المخطوطات<sup>25</sup>

مكان المخطوط	القرن	تاريخ	في التفسير بوجه خاص تونس
15 - 16	القرن 16	من 1525 1600 / 1652	

11	62	30	21	34	مكة مشرفة
1	19	25	17	16	مركز الدراسات القرآنية - مشرف
2	4	2	3	-	أماكن أخرى مطرفة
14	54	38	40	36	الأجمالي

لقد عمل الموريسكيون رغم الفقر والخصار محصورة من الآثار الفكرية والأدبية، استطاع صبر محاربيها

القرنية في المجالات التالية:

هذا كتابات كثيرة ذات موضوعات الدينية، وتشكل هذه الأسيرة نصف التراث الباقي من ثقافة الموريسكيون، أو أكثر وذلك نظراً لدور الوراق الديني الذي استمدت الإثنيات الموريسكية، كأحد اللقائير إرد المحبة الصليبية الشرسية على كيانهم الحضاري، وطاوتهم الروحية الإسلامية. فحفظ القرآن الكريم بالعديد من الترجمات القرنية من نوعها إلى اللغة الأندلسية<sup>26</sup>. وأجاءت الرسول (ص)، وهي كثيرة تلخص بعضها في البحار التالية: العناية بالإسلام والتسك بالروضة، والعمل بالفضائل ومزاوله والسعي إلى نشره والتعظيم وإبهاه من أجله والتسك بالأصالة والوقرة العربية - الإسلامية، وحث المسلمين في الدفاع عن أنفسهم، ثم أرفغوا لخلق قيم الآخرين أو لتأليبهم<sup>27</sup>. وكل ما هو متصل بالشعار الإسلامية، وغيرها من المواضيع المتعلقة بالدين والتربية<sup>28</sup>. وكما يتبع لكتاب التجم من كلام سيد العرب والديهم<sup>29</sup>. وكما يشهد الأخبار في الحكم والأشغال والأداب<sup>30</sup>.

وأصبحت تدوين الفقه يبدأ على هذا المخطط حوالي سنة 1551م، وهو أمر مهم جداً، لأنه يسمح لنا، كأولئك، كشفاً على طبيعة ما يسمى بالموريسكيين، وما يؤولونه وبالتالي يكون ذلك دليل على مساوئهم الفكري يومئذ.<sup>31</sup> وكان كتاب فيه سيوف عيسى الكبير والعباءة في أوساط الموريسكيين بعنوان: Barbario con las armaduras الأخلاقية والثأورية لكل مسلم<sup>32</sup> كتابات ذات طابع قصصي الذي استمد مادته من تاريخ الفترحات الإسلامية، ويطولات المغالبي التي لعب فيها الغالب الأسطوري والخرافي أهم الأدوار لإخراجها من حيز الواقعية إلى ما يليه الواقعية المثالية، وكان ذلك معك الأخراج القائل من أجل عامل موضوعي للقاء والاستراحة في روحه لمحدثات الطينان الصليبي الذي يحاول إعادة كتابة كل ما هو غير مسيحي.

- أشهر هذه القصص: قصة غروسة ككتابة القنادل، وقصة مدينة الحساس والقراقب، وقصص الصالحين، وقصة يوسف وزوليفة، وقصة ذو القرنين<sup>33</sup> حكاية حب بلرمين وفيها لا Historia de los amores de paris (viena)، وقصة كتاب العارك El libro de las banderas وأسطورة "الإمام علي كرم الله وجهه" ويصديه<sup>34</sup> الفتيان.

الموضوعات الجدلية والتي خصصها الموريسكيون للدفاع عن عقيدتهم وهماولة إظهارها على عتبة محرمهم، ولحميد الشريعة المحمدية. ومن المواضيع التي كانت تعرف جدلاً: ثلثات الأقباس، ورموز مريم العذراء وسورح المسيح، الكنيسة، القربان المقدس، وعزوبة الكهنة والزعماء، التي اعتبرها الموريسكيون مخالفاً لأن الله لا يتنازل ولا يأمر بقطع الحياة<sup>35</sup> خصصها كتاب اللقاء ماروسيو من غاريونا إشارات للمسيحية واتزان الفقيه. وقد جدد محمد رمضان نفسه بوقفه الختامي المذيع عن الرموز (أص) من إشارات الصلابة في مقدمة قصيدته: كتاب الصبر والأمل ونسب اللامع الرئيسة ونبأ محمد السعيد<sup>36</sup> وهماكة شهاب المجبري مع قاضي الأندلس فيما يخص العصام<sup>37</sup> وأكل لحم الخنزير، وشربت الخمر<sup>38</sup>.

- كتابات اختصاص بأظهارها الفقهاء القانون من تشريعات إسلامية تنظم حياة للموريسكيين المسلمين المصاعدين في دار العربة البعيدة عن دار الإسلام الأمر الذي جعلهم في أمس الحاجة إلى من يأخذ بيدهم ليعلمهم على تعاليم دينهم ودينهم.

إن ما اصطلاح عليه بالأدب الأعجمي للموريسكي، هو أدب هجين تخرج فيه العربية والإسبانية في شتى المستويات، بشكل لا أصل أنه عرف قبل هذا بين اللغة العربية ولغات أخرى، فمع هذا نجد أنفسنا أمام كتابات إسبانية اللغة وعربية لفظ تحملها مصطلحات عربية إسلامية، وتراكيب إسبانية معربة. والكل محفوظ بخطه صربي موريسكي يصعب نعتة بالعربي أو الإسباني.

الظاهرة الواضحة في الأدب الموريسكي، هو أن كتاب الأخيادو كانوا ينكرون ويكتبون بالروح العربية، وإن كان نصيرهم عن ذلك يجري بالقسائية. لا يجتري الأدب الأخيادو على آثار إبداعية متميزة وهو هزيل، إذا قورن بالأدب الإسباني في حصر النهضة أو العصر الذهبي<sup>39</sup>. ولكن هذا الأدب له قيمة وثائقية وموسولوجية، إذ تضمن ما رآه الموريسكيون جديراً أن ينتقل من طي النسيان، فقد دولوا به ما اعتبروه ضرورياً لحياهم كاقلة مهددة بالانقراض، ورثروا على القسم التي كانت عن المسيحيين. لذلك فإن معظم المواضيع الأخيادية نحتت من التقاليد الإسلامية. فالكتاب للموريسكيين هم بمثابة المؤرخين لعالم في الدثار<sup>40</sup>.

إن نثر كتاب الأخيادو أفضل من نظمهم. الأدب الموريسكي لا يتجه إلى مراعاة الموزون والتنسيق ولكنه يرس قبل كل شيء إلى تصوير التاريخ، والتقاليد القومية في إطار ديني، إنه وإن لم يكن الأدب الموريسكي ثروة من الجمال أو قيمة أدبية ذات شأن فإن فني كبير. إن معظم الكتابات الموريسكية هي متعلقة بنصوص أعجمية كتبت باللغة القشتالية أو بلغة الأخيادو. تكشف لنا اهتمام الموريسكيين بالمسائل الدينية، والعادات والتقاليد الاجتماعية، والمواثيق والميراث والزواج والطلاق، لكن لصفة الغالبة على الموريسكيين اهتمامهم بالمواضيع التاريخية، والفنصص المتعلقة بالأساطير، وكذلك إلهامهم بالحب والسحر والتشجيع والشعوفة.

سجلت لنا هذه المخطوطات جوانب بالغة الأهمية لصراعهم الحضاري ولاتجاهاتهم النفسية ودفاعهم عن هويتهم الثقافية ولحكمهم بمبادئ دينهم<sup>41</sup>. أمام خطر الاستلاب الثقافي والتفكير عن قصد أو بدون قصد التراث الثقافي ليعين أقلية المسلمين على المحافظة على دينها، فهم يجردون فيه أهم المبادئ والقواعد والمعلومات حول الإسلام وأركانه، كما يتعلمون فيه مغلوسهم وشعائرهم، ويجردون فيه تراجم لأيات قرآنية وأحاديث نبوية، وبعض ما ورد في كتب التفسير إلى جانب تصورات جدلية تمجد الإسلام وتستلخص للسجدة، وأخرى في قانون الفلك وبعض الأشعار والقطع الشعرية القائمة على احتياك تمثل تنبؤات من سقوط النصرانية في الأندلس، ورجوع الإسلام إليها على يد الأندلسيين، أو تتضمن رسائل في الطب والصيدلة وعلم الفلك والتنجيم وصنع سحرية تشفي من غل شتى<sup>42</sup>.

والذي يواكب هذه للأساء من قرب باستنطاق وثائق محاكم التفتيش، فسرعان ما حول المحمية التي حلت بهم تم استيلائهم ومقارنتهم للدفاع عن دينهم وهويتهم وحضارتهم، وهذا بعد رمزا ثابتا لصورتهم الفكرية والحضارية الذي خيروا به دون سواهم<sup>43</sup>. وقد ترجمت هذه للخطوطات معانيهم اليومية للمحافظ على هويتهم العربي - الإسلامي وتشبههم بثقافتهم وحضارتهم<sup>44</sup>.

## الهوامش

<sup>1</sup> - بيداء، حمادي، الموريسكيون الأندلسيون ومحاكم التفتيش، 1482-1517م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الدار التونسية للنشر، 1989، ص 37.

<sup>2</sup> - نشره باسمية الخندوية، الطبعة الأولى، برج الديون، عدد 5 تونس 1930 ص 21.

<sup>3</sup> - صلاح، أحمد عن هريزي، الأندلسيون، حياتهم الاقتصادية والاجتماعية في الدولة العثمانية (929-1213هـ/ 1517-1798م) دراسة ميدانية من مدينتي الإسكندرية ورشيد، أعمال المؤتمر العالمي العاشر للدراسات

الموريسكية الأندلسية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس 2003 ص 63-92.

<sup>4</sup> - عبد الوهاب، بن منصور، من الهجرة إلى التهجير، مجلة الأكاديمية المغربية، عدد خاص بالموريسكيين في المغرب، مطبوعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب الأقصى، 1997، ص 48.

<sup>5</sup> - الحسن، المصالح، المعاصرة الأندلسية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1989، ص 125.

<sup>5</sup> محمد حمدي الموريسكيون والمجاهد الحربي في المغرب، الألفية، المحلة الأكاديمية العربية، الرباط، دار المغرب للدراسات، الرباط، سنة 2001، ص 55-60.

<sup>7</sup> إبراهيم علي العشري، الموريسكيون في التكتلات الأجنبية، المحلة الأكاديمية العربية، الموريسكيون في المغرب، الندوة الثامنة، مطبعة المغرب للدراسات، الرباط، المغرب، الألفية، سنة 2001، ص 185.

<sup>8</sup> عبد الحليم الشاذلي، وثائق عن لغتهم الأندلسية الأخيرة إلى تونس، مؤرشفة في جامعة تونس، العدد الرابع، سنة 1991، الصفحة الرسمية للتصويرية التونسية، ص 79.

<sup>9</sup> عبد الله محمدي، الموريسكيون الأندلسيون في عالم التفتيش، ص 91.

<sup>10</sup> عبد الله محمد علي، الموريسكيون في الأندلس، اسم أصله، الترميز، والتأليف، بمجلة الأندلس، فروع من التكتلات، ومجلة الأندلس، الموريسكيون، التكتلات، الإستراتيجية، المجلات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1997، ص 15.

<sup>11</sup> شكيب، أوسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، سنة 1965، ص 296.

<sup>12</sup> خليل، إبراهيم سامري، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار نشر الإسلام، الطبعة الأولى، بيروت، سنة 1960، ص 166.

<sup>3</sup> محمد، عبد الله عاتق، نهاية الأندلس وتاريخ العرب، منشورات، الطبعة الثانية، 1957، ص 267.

<sup>4</sup> محمد، نجيب بن جميع، الأدب الأندلسي والموريسكي، تأليف توفيق الكركي، دراسة في فقه اللغة للدراسات لاغيبية، مؤسسة تيسير البحث العلمي، ولغويات، دار نشر تونس، دار نشر، 1981، ص 13-56.

<sup>5</sup> محمد، عاتق، ص 675-676.

<sup>6</sup> محمد بن جميع، الأدب الأندلسي والموريسكي، ص 72.

<sup>7</sup> عبد الله حمدي، الموريسكيون في عالم التفتيش، ص 162.

<sup>8</sup> محمد، عاتق، ص 162.

<sup>9</sup> طارق، محمد حفيظ، علاقات الموريسكيين بالأندلس العربية من خلال المخطوطات الموريسكية، بمجلة الأندلس، فروع من التكتلات، العدد الثامن، الموريسكيون، التكتلات، الإستراتيجية، المجلات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1997.

ص 12

<sup>10</sup> Ben jemia Nedjib « langues morisques y cides sautes de la premiere table (11) mode du ciem sur la litterature aljamiado - morisque HYBRIDISME LINGUISTIQUE ET UNIVERS DISCURTIF ISD-Tunis 1986 aljamia pp.12-24.

<sup>11</sup> عبد الحليم الشاذلي، الموريسكيون في عالم التفتيش، مؤرشفة في جامعة تونس، العدد الرابع، سنة 1991، ص 185.

<sup>12</sup> محمد بن جميع، الأدب الأندلسي والموريسكي، ص 72.

<sup>13</sup> طارق، محمد حفيظ، علاقات الموريسكيين بالأندلس العربية من خلال المخطوطات الموريسكية، ص 12.

<sup>14</sup> عبد الحليم الشاذلي، الموريسكيون في عالم التفتيش، ص 162.

<sup>15</sup> طارق، محمد حفيظ، علاقات الموريسكيين بالأندلس العربية، ص 12.

- [illegible]



## العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الثورة الفرنسية

(1789-1815)

د. الهادي بوعزيز

جامعة مصر

بنهاية النظام القديم وقيام الثورة الفرنسية سنة 1789، تتعرف فرنسا على تحولات عميقة تصادفها وتأثر بها، جميع القارة لأوروبية، وكان تراجع المصالح في مناطق أخرى من العالم ومن بينها الجزائر التي كانت ترتبط بعلاقات جيدة مع فرنسا، حيث استطاعت فرنسا إرساء قواعد صداقة قوية و تعاون قائم على شراكة امتيازات ومعدات سلام وقروض، وقد بدأت هذه العلاقات بأول معاهدة دفاعية سنة 1270 التي حصلت بموجبها فرنسا على امتيازات كانت ممتدة للولايات الإيطالية، و بليت سارية المفعول مدة طويلة. فكانت الجزائر تدرس بنفس القدر البحريين مضيقا على أوروبا في صالح فرنسا<sup>1</sup>، وفي النصف الثاني من القرن 18م كان التوقيع السياسي الداخلي للجزائر مريحا، ولم يحدث أي حادث ذو دلالة يمكن أن يؤثر على وضع الدولة في هذه المرحلة.

## 1- تطور العلاقات الجزائرية الفرنسية

رغم وجود اتفاقية سنة 1689 إلا أنه وقعت عدة انتهاكات التي كانت السلطات الجزائرية تعاقب المسببين فيها من الجزائريين حتى كان الفاصل الفرنسي أنفسهم يتدخلون للوقوف عنهم وقد كان الشرس العفو عرفه لدى هؤلاء الفاصل الأوروبيين فبدون هذه الوساطة لم يتحسروا العقاب الذي كان في الغالب هو الإعدام مما كانت إرادته وبمكثته في منه المسؤولية للتعريف الفرنسي كان الوضع لديه مختلفا حيث تأكد في العديد من الحوادث الثلاث سمحت الفرنسية بفتح قنوات فرنسية لسفن بلدان معادية للجزائر ويعتبر اليند

التابع من معاهدة 1689 حاملا للوقوف في هذه التجاوزات لأنه حدة نطاق المياه الإقليمية الفرنسية بعشرة فراسخ (حوالي 40 كلم)<sup>2</sup>، وبذلك لا يقع للسفن الجزائرية مهاجمة سفن الأعداء، فهذه المنطقة مقابل السلع باحماية الكاملة طال وانما لها لأن فرنسا ملزمة بدفع التعويضات عن الخسائر الواقعة داخل هذه المناطق، وكانت هذه التجاوزات في الغالب يقرها الطرف الذي لكن انتهاك هذه المعاهدة لا يعتبر السبب الوحيد لتوتر لأن المصالح الشخصية التي يعمل القناصل على تحقيقه، لا اعتبره من مصالحهم أو دوافعهم الذاتية التي تجمعهم يتصرفون من مصالح الشخصية ومصالح الدولة التي يمثلونها والتي كانت في كثير من الأحيان السبب في إثارة التوتر بين الطرفين<sup>3</sup>.

٦- **معاهدة السلام المثلوي**: أظفر كاتب الدولة الفرنسي رغبة بلاده عقد صلح جديد لتتمديد عقود المياه الإقليمية أكثر دقة تحيلاً للنزاعات والمشاكل والقترح أن يتم التخصيص في هذا الاتفاق الجديد على يد سريان معمول المعاهدة للتوبة سنة ١٦١٩ بدل ١٥٥٥. ولفصل مونتورسي هو الذي أثار هذه المسألة وأقنع حكومة بلاده بتبنيها حتى أصبحت تشكل أحد مطالبها والواقع أن ما وقع سنة ١٦١٩ هو إقرار لمعاهدة ١٥٥٥ مع إضافات ثلاث بوجه عام.

إن السعرات الجزائرية لم يتم هذا المقترحات + تجنبت الدخول في نقاش قبل تكليف المفاوضين خصم من المفاوضين صنعت فرنسا لدى الدولة العثمانية لإصدار أمر من السلطان بتسريح الجزائر بعدة الشيوخ في تقع علاقاتهم مع فرنسا وهم برة إيفاد نسبة بين الطرفين. وحصل معونات السلطان العثماني كوجونك جيسر الذي زاده في الجزائر ١٦٥٥ جعلاً لفرمان السلطان بفتحهم بمهمة تتعلق بتسريحهم مع فرنسا "بوقت تسوية المسألة وأصبحت المعروفة بهذا التوقيع معاهدة جديدة تعيد كل المسائل وفي 2٩ مارس ١٦٥٥ وقع الطرفان اتفاق يقسم تسوية كل المسائل التي كانت محل خلاف. رغم أن نفس اليوم تكتبت وقرار المصادقات القديمة مع التعديلات التي أدخلت على هذه التسوية من معاهدة ١٥٥١ حيث حددت مجال المياه الإقليمية للفرنسية بمدى مرمى المدفعية ويسر عشرة فراسخ كما كان من قبل ويمنح للفرنسية بحوزة ١٧١٢ ذكر لا تمنحها لغير الفرنسيين وخاصة لأعداء الجزائر وسريان هذا المعاهدة يبدأ من تاريخ ١٦ مارس ١٦٥٥ لمدة مائة سنة أخرى وفي أبريل ١٦٥٥ طاهر دومينجويل الجزائر هذا أن يلائم ومعها رسالتين موجهتين من الديي إلى الملك وكاتب الدولة لشعرية.

١- **السعرات الاقتصادية الجزائرية لفرنسا** طلبت جهة الأمن العام من القنصل فيليب التيام بمشاورات مع الجزائر من أجل عدم الاعتراض لأي سبب محتمل. الحروب لتجدي لفرنسا بسبب الأزمة الغذائية التي تعانيها المناطق الحضرية بسبب انخفاض الإنتاج الزراعي مما كانت جنسية هذه المدينة وقد اعتبر القنصل هذا الخطر مستحيلاً لأنه لا يمكن أن تنهي الجزائر الحرب مع كل أعدائها حول أية ضمانات مما لذلك غير المطلب بأنه لا يمكن أن يكون الجزائر في الاستمرار مع قبل السفن الفرنسية ورغم إدراكه أنه لا يمكن تقيته كاملاً إلا أنه يمكن الحصول على بعض منه. وكان رد الديي أن هذا كثير جداً لا يستطيع القيام به لأنه لا قبل سيؤدي لتورط البحرية حيداً. فاستمر النقاش في الإلحاح كما انضمت الديي إلى سعد حريش.

يمكن الحصول على البعض منه ، و كان رد الذي أن هذا كثيرا جدا لا يستطيع القيام به لأنه إذا قبله سيؤدي ثورة البحرية ضده ، فاستمر القنصل في الإخاح عما أحبط الذي إلى منحه جوازين ، لقد أثرت ظروف الثورة الفرنسية و الضائقة المالية على عدة مناطق تعرضت إلى المجاعات فاضطرت للاستعانة بالجزائر للحصول على المساعدة التي قدمت فرضا ماليا بتسليمه 250 ألف فرنك بدون فوائد<sup>(6)</sup> ، ورغم المحاولات التي بذلتها إنجلترا لدى الذي لتعقد من تقديم المساعدة إلى فرنسا إلا أنه رفض ذلك و تعهد لفرنسا بتزويدها وإمدادها بكل ما تحتاجه من محاصيل من الجزائر والمواد الغذائية الضرورية<sup>(7)</sup> و كرد على هذه المساعدات التي قدمها الذي حسن طلب القنصل فالير من لجنة الأمن العام أن توجّه للذي رسالة شكر و اعتراف على الخدمات التي أسداها لبلاده في الظروف الصعبة التي تمر بها وقد طلبت الحكومة الفرنسية من الذي حسن إقامة اتصال منتظم و دائم بين الجزائر وفرنسا ، كما كلف القنصل بدراسة مقترح أن تصبح الجزائر مركز للاتصالات الفرنسية أثناء الحرب خاصة في منطقة المغرب و المشرق .

4- **استيلاء السلطات الجزائرية من سيطرة فرنسا** إن رفض فرنسا تقديم أغذية قنصلية واستيلاء البحرية الفرنسية على سفينة داهاركية تحمل بضائع موجهة للجزائر جزء منها ملك للذي و الباقي بضاعة مستوردة من التجار اليهوديين بكري و أبوقه بغرض التجارة وهو يمثل خروفا حرجيا للمعاهداتوقعة بين البلدين ، إلى جانب غاضب فرنسا في تسديد ديون التجارين بالكري و بوشناق ، و طالب الذي كذلك تسديد مستحقات الرحا الجزائريين الذين صدروا لهم القمح و لم يتقاضوا ثمنه و استولت البحرية الفرنسية على سفينة مشحونة بالقمح أرسلت لرموليا ، فطلب الذي تسوية هذه المسائل لأهميتها ، وقد ماطلت فرنسا في الرد على مطالب الذي ، لكن عند التحضير للحملة على مصر عطلت على مسلكها و أصبحت ضرورية في طريق احتلالها مصر بالسيطرة على جزيرة مالطا من فرنسا إنجنيس يوحنا في 12 جوان 1798 و غشها لفرنسا و كانت مالطا تتكون غذائيا من إيطاليا و نظرا لرفض نابولي احتلال فرنسا لمالطا ، توّعت فرنسا أنها ستعزل وصول هذه المواد الغذائية لها ذلك حارلت لعويض ذلك بالتوجه إلى دول المغرب و طابت من القنصل مونتو العمل في هذا الاتجاه ، لكن ظهر سدوك القنصل كأن فرنسا تنجد نحو القطيعة خاصة و أن القنصل قدم مطالب فرنسا بحدود تدخل الجزائري و طلب من فرنسا الاستجابة لمطالب الجزائر<sup>(8)</sup> لكنه فشل أيضا ، فأرسل الذي إلى فرنسا و طلب منها تسديد الديون بسرعة<sup>(9)</sup> لكن فرنسا لم ترد على مطالب الذي ، و عند وصول البعوث العتري ومنع فرنسا يطلب من الذي إعلان القطيعة مع فرنسا و لدخول في حرب ضدها أعلنت الجزائر الحرب ضد فرنسا رسميا في 23 ديسمبر 1798 و احتفل القنصل معه 18 فرنسا مقيمين بالجزائر و أرسلت لعليات لباي قسنطينة لإغلاق مراكز الوكالة الإفريقية.

بعد عودة نابليون من حروبه حاول أن يقيم حوارا بين مصالح النمسا و فرنسا لعزل النمسا عن إنجلترا و كسبها إلى جانب فرنسا من خلال ما منح في المعاهدةوقعة بين الطرفين<sup>(10)</sup> فلبثت إنجلترا أن حذها في مواجهة فرنسا وهو ما تلقى

فرنسا التي اعتصمت على أسلوب التوسع و التخليص منها فقرر تكوين جيش لغزوها بقيادة نابليون بونابرت الذي حضر من خطوة ذلك و اقترح إمكانية مهاجمتها بإرسال حملة إلى الشرق في ظل ضعف الدولة العثمانية و اختار نابليون مصر لضعف دولة المماليك و لزراعة النفوذ الانجليزي في البحر الأبيض المتوسط و إضعاف نفوذها في الهند بالسيطرة على مصر.

3 - **مولد النزاع من الصلة الفرنسية على مصر:** في 12 أبريل 1798 أصدرت حكومة الإدارة قرار بتشكيل " جيش الشرق " بقيادة بونابرت لغزو مصر ، و تعتبر هذه الحملة تأكيد على تراجع مكانة و قوة الدولة العثمانية <sup>(10)</sup> و كشفت عن قرب انتهائها و ضعف دورها في العلاقات الدولية التي أخذت تنتقل في صالح الدول الأوروبية ، و هذه الحملة بمثابة امتحان للملاب العالي و قدوته على فرض إرادته على الدول المغربية <sup>(11)</sup> ، و قد أدرك الباب العالي أهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه الجزائر في حربها ضد فرنسا (حسب مولى القنصلية الفرنسية أن الدولة العثمانية طلبت إعلان الحرب لكن الجزائر لم ترغب في التطبعية فعندما اتخذت قسطنطين إجراءات ضد المصالح الفرنسية في عتابة تدخلت الناي و ألقاها) لكنه ربح على المصالح الفرنسية في الجزائر و خربا من الجزائريين مما سيؤثر على فرنسا لكن هذه النظرة لا تتطابق مع رؤية مصطفى باشا التي ركزت على مصالح الجزائر في فرنسا و دور التاجرين اليهوديين فيها و بعد أن قرر الباب العالي إعلان الحرب ضد فرنسا و إرسال الجيش العثماني إلى مصر أرسل مبعوثا إلى الجزائر يطلب من الناي مصطفى إعلان الحرب ضد فرنسا و القبض على قنصلها و جمع رعاياها في الجزائر و سجنهم ، فوصل المبعوث العثماني معه فرمان التولية و الخلع مع رسالة من قطان باشا للسلطات الجزائرية رغم أن العادة أن يرسل الناي عند توليته مبعوثا حاملا الطابا التقليدية ليتسلم فرمان التولية من السلطان لكن في هذه المرة السلطان هو الذي أرسل إلى الجزائر فرمان التولية و الخلع و هو ما يجعل من الاعتقاد أن الجزائر قد وضعت شروطا لإعلان الحرب ضد فرنسا و يظهر ذلك من خلال المساعدة العسكرية الضخمة التي قدمتها الدولة العثمانية للجزائر فصدر قرار بقطع العلاقات مع فرنسا و إعلان الحرب عليها تنفيذا لأمر الباب العالي فقبض على القنصل مولتيدو و رعايا الفرنسيين في مدينة الجزائر ، و أرسلت الأوامر إلى المدن الساحلية لاتخاذ نفس الإجراءات ضد الفرنسيين المقيمين فيها و عند حاصرة الجيش الفرنسي في القاهرة أمر الناي مصطفى بإطلاق المدافع تعبيرا منه عن الفرح ، لكن ستتحسن علاقات الجزائر بفرنسا بعد رفض الناي مصطفى أمر السلطان بالافراج عن بعض السفن البونابية المحجوزة في الجزائر و كرد على موقف الجزائر اتخذت الحكومة الفرنسية قرارا في 15 فبراير 1799 بسمح للسفن الفرنسية و القراصنة الفرنسيين ، مهاجمة السفن الحربية أو التجارية التي تحمل الراية الجزائرية أو التونسية أو الطرابلسية و استئنبت السفن المغربية لرفض سلطان المغرب الاستجابة لطلب الدولة العثمانية وكذلك إيقاف رعايا الدول الثلاثة و السيطرة على ممتلكاتهم ، لكن وزير الخارجية تاليران سيقترح عن موقفه ضد الجزائر محاولا إعطاء المبرر لموقف الجزائر باعتبار أنها لم تعلن الحرب

فقد فرنسا بمجرد دخولها مصر بل تأخر دخولها وذلك يضيق من الجيش لأنها كانت ترغب في الحفاظ على حالة السلم مع فرنسا.

عند تعيين ديوانة القبل قسماً أُلح على حكومتها لإعادة العلاقات مع الجزائر خاصة بعد اتصاله بالتجارين الكري ووشاق اللذان أصبحا تربطها به علاقات ودية و أبلغاه إمكانية التفاوض مع الجزائر من أجل الصلح وقد جهز نابليون القنصل برسائل اعتباه لدى الدي ليقل به عملاً جديداً و دائماً في الجزائر و عند تحديث عن العلاقات بين البلدين أولاً مسأله ديوانة التجارين ، حيث طلب تسديد مستحقاتها في أقرب الأجل فالتزم القنصل بذلك مؤكداً أن بلاده ستعمل على استيفاء تسديد أقساط الديون و سبباً ذلك بمجرد عودة العلاقات السياسية و التجارية بين البلدين و بعد يومين من اللقاء وقع اتفاق يقر هدنة غير محددة بين البلدين و قد شملت مسألة الإنذوة التي طالبت بها الجزائر فرنسا غشة كبيرة في طريق الاتفاق و قد اعتبر الثيران أن طلب الإنذوة لا يعتبر إعانة لفرنسا بل هو يتدرج ضمن تقاليد الدول الغربية في معاملتها مع الأوروبيين فطلبت فرنسا دفع الإنذوة لكن أحاطها القنصل بكثير من الغموض ، حيث اتفق القنصل مع التجارين بتولي دفع التبع عن أن تقوم فرنسا تسديدها في باريس ، فطلب ديوانة القبل دفع تسويق إلى التجارين لطمأنيتها لكن دون تصفية ديونها حتى يبقى كرهية يسهل الضغط عليها و طلب عدم إخراج تسوية الإنذوة في حساب خاص بل تدرج في ديون التجارين و هو ما بين سوء نية و مكر القنصل الفرنسي الذي سيظهر فيما بعد ، و في 19 جويلية 1800 عقدت الهدنة بين الدي مصطفى باشا و ديوانة القبل للقروض العام للعلاقات الخارجية و المكلف بإقرار السلم مع الإنذوة و قد احتوت الهدنة على حصة بنود (17) و بذلك تعود العلاقات التجارية بين البلدين (18).

٢- **انتهاء الاستعمارية تليين في الجزائر** لقد عاد نابليون إلى مخططة الاستعماري بعد صبح آمبال خاصة بعد عودة التوتر إلى العلاقات بين الجزائر و فرنسا ، رغم معاهدة الصلح من البلدين وظهر ذلك في عدة مواقف حيث طلب من قيادة البحرية القيام بمظاهرات استعراضية دورية على السواحل الجزائرية خاصة بمدينة الجزائر لتهيب الجزائريين ، كما أثار مشكلة حول معاهدة 1801 التي رفض اعتماد لرجتها فعرض القنصل الفرنسي الأمر على التجارين اليهوديين اللذين تخوفوا من موقف الدي فطرح القنصل الموضوع بنفسه أمام الدي الغاضب من تحركات فرنسا في السواحل الجزائرية ، و تأخر وصول الهدايا القنصلية فوجد القنصل في ذلك قرصة لطرح الموضوع الذي جاء من أجله و أن الترجمة كانت سيئة و أن القنصل الأول طلب الحصول على ترجمة دقيقة فرد الدي معرراً عما قدمت به الجزائر من إطلاق سراح الأسرى و دفع مبالغ لإطلاق سراح الرعايا الجزائريين ، فرد نابليون أن بلاده قوية و لن ترسخ

لما برز فرضه ، وهو ما أثار غضب الداي وأبى للقائه غاضبا فتولى الجزائري ترجمة المعاهدة ، فلم يرضاه فرنسا حول مقالها ، وأحيل إلى المعاهدة ككتاب حق الخصومة لمثل القنصل الفرنسي ورغم حل هذه الأزمة إلا أن العلاقات بين البلدين لم تستقر ، من خلال تأكيد القنصل الفرنسي أن بلاده لن تلتزم بدفع الإتاوات أو إغداها القنصلية وهو محاولة لزيادة التوتر بين البلدين ولقد حاول نابليون الاستفادة من تحركات ديوبالتفيل لتضيق الوضع وتحرير أزمة وبدأت فرنسا تنهيا لإرسال الحملة وحللت من قنصلها السابق جانسون سانت أندري الإجابة عن أسئلة تتعلق بالموضع العسكري والحالة السياسية للجزائر وتحصيناتها والطريقة الكفيلة لإخلاق الضرر بالجزائر وحللت معلومات عن الجيش وشخصية الداي ومدى تأثيره في حالة التهديد بالحرب .

حاول القنصل السابق إعطاء وصف عن تحصينات الجزائر وقدم التدابير لمحاربة البحرية الفرنسية فتح اقتراب البحرية الجزائرية وقدم خطة عن طريق الداي الذي قال عنه أنه رجل أحمق عيب وطاغية ، حالته حجة من المستقلين في مقدمتهم الجزائري والتاجرين اليهوديين<sup>(14)</sup> .

7- **مخطوطة نابليون وأثره على علاقات الطرفين** ظهر تغير في موقف الجزائر حول غنائم القرصنة وذلك لأسباب عملية حيث أقامت الجزائر مصعبا لصناعة البارود وكانت في حاجة إلى المواد وأخذت تفتيش لشعبه ، وللمجهيزات عسكرية ونظرا لتأثيرها من سياسة الحصار القاري وكون الإنجليز لم يعودوا يوفرون لها هذه المواد فالتج تفتيش على ضرورة الاستجابة لطلاب الجزائر لتأثيره الإيجابي لوضع مكانة فرنسا في الجزائر على حسابها فغير أن فرنسا لم تبدي استعدادا للاستجابة على المستوى الذي تشتهه الجزائر حيث رخصت تصدير بعض المواد العسكرية إلى الجزائر لكنها محدودة لكنها تراجعت وحجزت السفينة التي تحتتها لهذا الغرض وفي بداية سنة 1814 طلبت من القنصل بالتفيل الإجابة على أسئلة تستلزم عن إمكانية تنمية المزارع القائمة بالتراخي ، ووضع تدابير للتطامن التي مستفيدا فرنسا في حالة حدوث القطيعة ومقارنتها مع الحساير التي تكثفها البحارة الفرنسيين في موانئ الجزائر في السنوات الأخيرة وضرورة تنفيذ الإجراءات التي يجب اتخاذها لسلامة القنصل وللواطنين الفرنسيين المقيمين بالجزائر في حالة حدوث القطيعة . وكانت مسألة العلاقات الفرنسية الجزائرية من أكثر المسائل التي تشغل الدبلوماسية الفرنسية عشية سقوط نابليون وعودة أسرة آل بوربون إلى العرش<sup>(15)</sup> . احترقت الجزائر بالنظام الجديد الذي قام بفرنسا ، حيث ردة الداي على رسالة لويس الثامن مؤكدا استعداد الجزائر على العمل بصديق لندوام الصداقة بين البلدين وأخذ القنصل ديوبالتفيل أن السبب في اضطراب علاقات البلدين وعدم استقرارها يعود إلى المعوقات التي وضعتها الإدارة السابقة في طريق التجارة ، والمعوق إلى إنتاج مائة الف عملد يسمح بحل النزاعات مع الجزائر ، لكون ذلك لم يمنع ديوبالتفيل من

الاستمرار في ممارسته القديمة لذلك قامت سلطات الجزائر بطرده في أكتوبر 1814 وكتب الداي رسالة إلى الملك الفرنسي شرح له فيها الأسباب التي دفعته لطرد القنصل من البلاد، وعند عودته إلى الجزائر في جوان 1815 معتمداً من طرفه نابليون خلال فترة حكم "الثلة يوم" وجد الأبواب مغلقة في وجهه، حيث اعتذر الداي لنابليون عن عدم قبوله احتفاء القنصل لتأجيل من جديد في الجزائر. جين بير دو فال (1814-1815) في منصب القنصل العام بالجزائر خلفاً لتأجيل وأوكلت له مهمة دراسة ملف علاقات البلدين ووضع مذكرات حول المسائل التي هي محل نزاع بين البلدين، كما طلب منه التأكيد على تنازل فرنسا عن مطالبها في حصيلة الغنائم التي اقتادها القراصنة الفرنسيون على موانئ الجزائر والتي اعتبرها ديوان البحرية في الجزائر غير شرعية، كما رخص القنصل التفاوض حول إمكانية استرجاع الامتيازات الإفريقية وفي حالة تعذر التفاوض فعلى القنصل إبلاغ حكومته حتى تتمكن من اتخاذ إجراءات عسكرية مناسبة ضد موقف الجزائر السلي وذلك رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها في ظل تحالف الدول الأوروبية ضدها وهو ما سيعرقل عليها التحرك منفردة ضد الجزائر<sup>(16)</sup>.

لقد تأرجحت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال فترة الثورة الفرنسية بين التحالف والسلم أحياناً والتوتر والاضطراب أحياناً أخرى بتأثير الظروف الداخلية لكل البلدين والعلاقات الدولية و تعتبر مسألة الحملة الفرنسية على مصر 1798 و قضية الديون من أكثر المسائل التي أثّرت على علاقات البلدين في هذه الفترة إلى جانب اعتداءات العرب على بعضها البعض.

وقد ظهرت في هذه المرحلة الخطط الاستعمارية الفرنسية لاحتلال الجزائر والتي أظهرت مدى الاهتمام الذي أولته فرنسا للجزائر، إذ كانت تبحث باستمرار عن مختلف الوسائل الكفيلة لتخفيف الجزائر والاحتلال عليها واستعمارها، و بالرجوع إلى الخطط والأحداث التاريخية فإن هذه الرسائل لثقت في اللجوء إلى الباب العالي، وعرض عليه التجاوزات التي ارتكبتها رياس البحر في حقها، و تبني سياسة التهديد والوعيد، ومصادرة أملاك اليهود في فرنسا لتقوّمهم الكثير في الجزائر، إن الاحتلال الفرنسي لم يكن بسبب خلاف أو حادث معين بل كان سبباً له منذ أمد بعيد خاصة في سنوات 1802 - 1808، و كان ثنائياً لسياسة استعمارية اختبرت في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا، وهذا الاحتلال يدخل في إطار إستراتيجية و نظرة سياسة بعيدة المدى عكستها الخطط العسكرية الفرنسية التي جاءت في شكل مذكرات و مشاريع و تقارير و رسائل رسمية.

و يتضح من خلال الخطط عدم تطرق أصحاب المشاريع لمسألة ديون الجزائر على فرنسا مما يفترض عدم استعداد فرنسا لتسديدها. و قد كان أهم مخطط عسكري على الإطلاق هو ذلك الذي أعدّه يوفان سنة 1808، ذلك لأن نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بدشروع هنا الجاسوس. و عن ذلك فإن حادث المرحا لم تكن سوى مسرحية أُلغى القنصل العام "بير دو فال" تمثيلها و القضاء على القرصنة، و تأديب الداي حسين

و المحافظة على شرق فرنسا ما هي إلا حجاج ولعبة تفرغت بها فرنسا لتبرير عدوانها على الجزائر سنة 1830. و يبدو أن من الأسباب العامة للغزو هو تسيطرة على الحرية التي ظهرت من خلال الخططات العسكرية التي خلفت على ضرورة الامتلاء عليها.

### الخطوات

#### البوينة (01)

**خط صديري عليه 19 حدة 12615 التاريخ 1204 هـ / 1790 م**  
**المغرب فكري هوا**

تقرير السيد كوجك حسن أفندي زادة محمد سعيد آغا الذي ينتمي إلى المجموعة الخاصة المربة في الاعتناء بالسلاح واستعماله لدى عودته من الجزائر التي كان قد أرسل إليها في مهمة تتعلق بتحديد الصلح وتنظيم وتحديد الحدود البحرية بيننا وبين الدولة الفرنسية. وبما جاء في التقرير التقدم إليها من طرف الموصي إليه أنه بموجب القرار الصادر في حقه توجه إلى الجزائر وعند وصوله إليها قدم الأمر الشريف الذي حمله القوميل الفرنسي المقيم بالجزائر وعدد ذلك إبان الفصل الفرنسي أنه سيأتي حصصها هذه الشهمة الإصلاحية إلى الجزائر سفيرنا في سفينة من نوع القايونوفي الحقيقة لم يمضي وقت حتى أقدم السفير الفرنسي حاصلا رأي وقتت اندابا الكثيره وتم تجديد انصاحها وتنظيم وتحديد الحدود البحرية وضبط كل شيء بقباط ونظام ذلك حسب فائدة الجزائريين وأعيد الموصي إليه المذكور بعد انتهاء المهمة والتمثال مصلحته.

وأنه صادف أثناء عودته في الطريق وفي واجهة جزيرة - مرتد - الأسطول المايوني وكان عدد السفن بالتعداد والإحصاء مع الصغير والكبير عشرين قطعة. كما صادف في اليوم الثاني سفينة جزائرية كانت مشاركة في الحرب التي وقعت أمام جزيرة مرتد قبل أسبوع ولدى التعرض مع رؤساء السفينة الموقوفة لتعاضل الحركة التي جرت في جزيرة مرتد سأل الأغا للشار إليه رؤساء السفينة عن سبب اقتراق وانفصالهم عن الأسطول المايوني فأجابوا بأي السبب في ذلك هو أخذ قائد السفينة الأسطول المايوني العام السفن التي أحلتها من أيدي الكفار مديها وعصرا حل انه هو الذي سيتولى يرسل هذه السفن إلى الدولة العلية وبعد هذا لما وصل الموصي إليه إلى واجهة جزيرة - ولعبة - جاء سفينة فرنسية من نوع السفن الكبيرة فأرسلت قرب سفينة الموصي إليه ووجهت دعوة إلى الموصي إليه من طرف السفينة الفرنسية إلا أن الموصي إليه يابقدر حل (جولة الدعوة لحصول الخراف في الأمزجة وأرسل بعض أتباعه وأكرم هؤلاء من طرف رؤساء السفينة الفرنسية أشد الاحترام وعادوا معززين متعمين إلا أن بخارا من بينهم لم يكن فرنسيا أحسن بعض أتباع الأغا الموصي إليه أو بواحد منهم وأخبرهم بأن لا مرد الذي فر من جزيرة مرتد جاء إلى سفينة



لاستأثيرها و كان بحروجا فقام بمعالجته أحد المختصين ثم أخرج من طرف رؤسائنا من المسبقة وصفي في سبيله.

وبالنسبة لأهالي الجزائر فإن الألفا الموصى إليه العائد من الجزائر يذكرني بقرينه مزور وقرينة الجزائريين بسبب إقدام لدولة العلية للسفن الجزائرية وإعازتها لما عندما أرسلت وأقامت في دار العاة ويشاعون بذلك ويتفاخرون وينفون في توصيف إقدام الدولة العلية للسفن الجزائرية بذلك إضعاف ما حصل من الإكرام الأمر الذي آسن إلى اشتها قصة الإكرام لي تلك المناطق واشتهار أمر السفن الجزائرية كما كان ذلك و سبلة للشاخي والافتخار بالنسبة لهم حتى أصبح ما ملكه في سبيل الدولة العلية ولا شك أن الحلة إذا استمرت من الآن فصاعدا هذه الكيفية من التعاون والتعاقد فإن ذلك يرجع بالشفعة الكبيرة للدولة العلية.

ثم التقرير

الوصيفة (02)

خط مديون علية 21 عدد 5825 التاريخ 1215 هـ / 1800 م

التعريب فكري طونا

المود و الشروط التي تضمنتها الاتفاقية حول المشاركة الا محدودة و التي تم إبرامها بتاريخ 28 صفر 1215 هـ بين حضرة متصرف الجزائر مصطفى باشا وبين شارل ديوانافيل الذي تم إضاده إلى الجزائر خصيصا لهذه المهمة من الجمهورية الفرنسية.

المادة الأولى : يجب إبقاء جميع العمليات الحربية التي كانت سائدة بين أوجاق الجزائر وبين الجمهورية الفرنسية اعتبارا من تاريخ إبرام معاهدة المباركة الا محدودة بين الطرفين  
المادة الثانية : أنه بموجب ويعتقن هذه المادة اهمة بين الطرفين بقول حضرة الباشا الموصى اليه بمة تبه القراصنة الجزائريين إلى ضرورة دحاية العلم الفرنسي وعدم التعرض إليه كما تنولى الجمهورية الفرنسية نفس المهمة بالنسبة للقراصنة الفرنسيين كما يحترموا العلم الجزائري ولا يتعرضوا له بأنى.

المادة الثالثة : تبدأ عملية تسليم واسترداد السفن المأخوذة من جانب الطرفين أثناء الحروب التي كانت قائمة بينها مع حولانها وأغرها وذلك ابتداء من تاريخ للمعاهدة.

المادة الرابعة : الفصاحة الثامنة و الشاملة بين الطرفين في هذا الميدان يقبل الطرفان أن ترسي السفن الجزائرية بموانئ الجمهورية الفرنسية وكذلك إرساء السفن الفرنسية بموانئ جزائرية.

المادة الخامسة و الأخيرة : في الحين الذي يتقضي الأمر إلى نسخ هذه المشاركة المبركة بين الطرفين والرجوع إلى حالة الحرب من جديد يجب على كل واحد من الطرفين أن يقدم بإبلاغ الطرف الثاني بذلك قبل ثلاثين يوما.

(<sup>1</sup>) - Garrot, La colonisation maritime en Algérie, Alger 1990, p104.

(<sup>2</sup>) - قنان، جمال. معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1987، ص 310.

(<sup>3</sup>) - Watebled, E (1873). " Expédition du duc de beaufort contre djedjelil 1664 ".in R A(N° 17), 1874, pp102-114.

(<sup>4</sup>) - (خط همايون، ع 19، عدد 12615، 1204 هـ/1790 م، تعريب فكري طونة .

(<sup>5</sup>) - الجليلي، عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، بيروت: دار الثقافة 1980، ص 276 .

(<sup>6</sup>) - Esquer, G. Le commencement d'une empire 1830, paris, La rose, 1929, p18.

(<sup>7</sup>) - Plantet, E. correspondances des deys d'Alger avec la cour de France 1579-1833, T2(170-1833) paris, 1889, p 482.

(<sup>8</sup>) - Ibid., p485.

(<sup>9</sup>) - Droz, J. Histoire diplomatiques de 1648 à 1691, paris, ED.1972, p210.

(<sup>10</sup>) - بن جبور، محمد .صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17-18 ، رسالة ماجستير غير منشورة

لنيل شهادة الماجستير في (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة وهران، الجزائر (2002-2003)، ص 95 .

(<sup>11</sup>) - حمّاش، خليفة. العلاقات بين الجزائر والباب العالي (1798-1830)، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة الماجستير

في (التاريخ الحديث والمعاصر)، مصر، جامعة الإسكندرية (1408 هـ/1988 م)، ص 201 .

(<sup>12</sup>) - (خط همايون، علبة 21، عدد 5825، تاريخ 1215 هـ/1800 م، تعريب فكري طونة.

(<sup>13</sup>) - Dehran, H. " la mission du commissaire générale du Bois-tain ville

auprès du dey d'Alger "R.historique et de colonies,(1926),pp 90-102.

(<sup>14</sup>) - قنان، جمال .العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، الجزائر، منشورات متحف الجزائر 1999، ص 216 .

(<sup>15</sup>) - Plantet, E. Les consuls de France à Alger avant la conquête 1579-1830, paris, 1930, p 514.

(<sup>16</sup>) - Esquer, G. Le commencement, op, cit, p37.

## الجامعة الإسلامية وصداها في الجزائر من أواخر القرن التاسع عشر حتى 1914

د/ بوشناق محمد  
جامعة سيني بليساس

### مفهوم الجامعة الإسلامية وظروف ظهورها

عرفت العلاقات بين الشرق والغرب خلال العصر الحديث اختلالاً في ميزان القوى اتذي أصبح يجعل لصالح أوروبا، وذلك بعد التحول العميق الذي عرفته هذه القارة خاصة مع ظهور الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وما أخرج عنها من تطور في وسائل الإنتاج، فكان من نتائج ذلك أن أصبحت أسواق أوروبا تشهد قفزة إنتاجية في نفس الوقت الذي زادت حاجتها إلى المواد الأولية لتلبية متطلبات مصانعها، أما العالم الإسلامي فبقي متمسكاً بوسائل الإنتاج التقليدية، يعاني التخلف في شتى مجالات الحياة. نتج عن هذا الاختلال ظهور أطباع أوروبية في أراضي الرجل المريض منذ مطلع القرن التاسع عشر، فكانت الجزائر أولى الولايات العثمانية سقوطاً في قبضة الاستعمار الأوروبي الحديث 1830. ثم تبعها ولايات أخرى، يضاف إلى ذلك امتداد الخطر الروسي لتهديد عاصمة الخلافة استنبول، مع ما رافق ذلك من ظهور تحركات انفصالية في منطقة البلقان.

لقد حاول الكتاب الغربيون أن يؤسّسوا لدمرة استعمارية من خلال كتابات ترجع أسباب تخلف المسلمين إلى عقيدتهم الإسلامية التي تتميز في نظرهم بالخشوع ولا تساهل التطور الحضاري للعالم آنذاك، وبالتالي فإن أفراد المسلمون الزموا والتطور - في نظر هؤلاء - فما عليهم إلا التمسك بالحضارة الغربية وقبول وصاية الأوروبيين عليهم<sup>(1)</sup>، أدى هذا الوضع المتدهور للعالم الإسلامي إلى بروز حركة نهضة قادها جماعة من المفكرين ورجال الدين والسياسة، من خلال محاولة إحياء تراثهم والبحث عن أسباب تخلفهم بغية إحياء الحلول الكفيلة لنهضة شاملة، فمثل هذا السعي في ظهور حركة إصلاحية هدفت إلى ردة الاعتبار للمسلمين باعتبارهم الكامل الرئيسي في تحقيق هذه النهضة وجمع شمل المسلمين لتمكينهم من التصدي لأعدائهم.

وعسوماً فإن معظم المؤرخين يفتون على أن بواكير النهضة والنشأة العربية بدأت مع غزو نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte، نظر سنة 1798، لقد شكّل هذا الحادث بداية لظهور الخطر الأوروبي الصليبي على العالم الإسلامي، إلا أنه لم يشكل الشغل الرئيسي للنهضة، فقبله برزت شخصيات

إسلامية كان لها فضل في ظهور الإرهاسات الأولى للتنهضة منذ مطلع القرن الثامن عشر ومن هؤلاء محمد بن عبد الوهاب التميمي (1703-1791) التي قد حركة إصلاحية بشبه الجزيرة العربية (منطقة نجد) تهدف أساساً إلى إعادة البدع والخرافات التي انتشرت داخل المجتمع كالشعوذة والتبرك بالأضرحة، وقد تحولت هذه الحركة الإصلاحية إلى حركة سياسية لما تبناها آل سعود، كما كان للتشيخ محمد بن علي السوسني (1787-1859) شيخ طريقة السنوسية دور في دعم حركة الإصلاح الإسلامي<sup>(2)</sup>، ونفس القول ينطبق على خير الدين الشاذلي وجمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي. غير أن فكرة الجامعة الإسلامية برزت مع وصول السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) إلى الحكم، حيث تزامن ذلك مع بداية بروز بوادر حرب مع روسيا<sup>(3)</sup>. ونتيجة ضعف الدولة العثمانية وعدم قدرتها على مواجهة هؤلاء الأعداء الطامعين في أراضيها، أخذ عبد الحميد يدعو إلى الوحدة الإسلامية باعتبار أن هذا الحاضر يهدد جميع المسلمين بدون تمييز، وهذا الغرض رفع شعار الجامعة الإسلامية أو كما يسميها الأوروبيون "البنيسلاميزم" Le panislamisme.

وقد كان عبد الحميد الثاني يفرطاً في تفتته تجاه وحدة المسلمين، وفي هذا المجال يقول "يجب تقوية روابط بقية المسلمين في كل مكان، يجب أن تقرب في بعضنا البعض أكثر وأكثر. فلا أمل في المستقبل إلا بهذه الوحدة، ووظيفتها أن يحمي بعد لكنه سيأتي. سيأتي اليوم الذي يتحد فيه كل المؤمنين ويتجهضون فيه نهضة واحدة ويقومون قومة رجل واحد وفيه يحطمون رقة الكفار"<sup>(4)</sup>. فهو يرى أن الإسلام عامل وحدة بين الشعوب الإسلامية حين يقول "أن الدولة العثمانية تضم أحاسناً متعلقة من أتراك وعرب وألبان وبulgars ويونانيين وروم وجناب آخرين، ورغم هذا فوحدة الإسلام تجعلنا أفراد أسرة واحدة"<sup>(5)</sup>. كما نجد السلطان يعيد عراقل هذه الوحدة، ومنها الخلافات بين المسلمين، كإيران مثلاً، حيث يقول "عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جدير بالتأسف عليه ولذا أردنا أن نعوت الفرصة على الانحياز وعلى الروم فلما نرى قائمة تقارب إسلامي في هذا الأمر"<sup>(6)</sup>. كما أنه يتهم إنجلترا بعرقلة هذه الوحدة وأن: "الإنجليز قد أمسوا عقول المصريين، لأن البعض أصبح يقدم للقومية على الدين... وللتقنون المصريون أصبحوا- من حيث لا يشعرون- ألعوبة في يد الإنجليز..."<sup>(7)</sup>.

ومن هنا استطاع يمكن اعتبار الجامعة الإسلامية "كثيافية دفاعية" تسعى إلى تحييد المسلمين عن السيطرة الأجنبية عن طريق توحيدهم، وبمبادرة أخرى فإن الجامعة الإسلامية هي ردّ لغير عن فكرة استعماري قادة القوى الغربية ضد المسلمين أكثر مما تكون "تحركات دفاعية مسلم" (8) ولاصفاء سبعة إسلامية عن حكمه، فإن السلطان عبد الحميد تلقب بلقب الخليفة، ويظهر أنّ دافع من ذلك كان محاولة كبح جميع جماعة القوميين العرب في المشرق العربي، الذين كانوا يطمحون بأن يكون خليفة عرب باعتبار أنّ الخلافة حق شرعي للعرب (9).

وإذا كان السلطان عبد الحميد الثاني قد هيا لفكرة الجامعة الإسلامية فإنه اعتمد في الترويج لها على جماعة من رجال الإصلاح، من أبرزهم جمال الدين الأفغاني (ت 1897) الذي كان له فضل في إرساء قواعد هذا عن طريق دعوة المسلمين إلى الاتحاد والتضامن لمواجهة الأخطار الناجمة عن المد الاستعماري الذي أصبح يهدد البلاد الإسلامية الواحدة تلو الأخرى.

ويظهر أنّ السلطان عبد الحميد سعى إلى الاستفادة من شعبية الأفغاني ومكانته بين المسلمين، فأرسل إليه أحد مقربيه، أي الهادي الصبائي، يستدعيه للمجيء إلى اسطنبول، وذلك لما كان مقيما في لندن، ثم كلفه سفيرة بلندن لإقحام المهمة. ولما وصل الأفغاني إلى اسطنبول، خصه السلطان باستقبال رائع وحصل له إقامة مرموقة، ومنحه أجرة شهرية معتمدة قدرها سبعة وخمسون جنيها عثماني (10).

حاول الأفغاني تشرح أسباب ضعف المسلمين أمام الغرب المسيحي، فأرجع ذلك إلى ابتعادهم عن الإسلام الصحيح القائم على القرآن والسنة ومنهج السلف الصالح. كما أنّ انقسام المسلمين إلى فرق أدّى إلى تشتتهم، وبالتالي ضياع وحدتهم وتضامنهم الذي شكل في وقت من الأوقات، عاملا لتقويتهم السياسي والحضاري، كما أنّ العقيدة الصحيحة كانت ولا تزال دافعا لوحدة المسلمين ولتقويتهم عن أعدائهم (11).

وعكسا عاش الأفغاني من أجل وحدة المسلمين، حتى أنّ القوى الاستعمارية أدركت مدى خطورة أفكاره على مصالحها، فكانت بريطانيا يسجنه في الهند، كما أنه مرر من مصر بعد ثورة أحمد عرابي باشا، لينشر به الطائف بيارنس في عام 1882، وهناك أسس مع الشيخ محمد عبيد جمعية العروة الوثقى لتهي

أصبحت لها فروجاً سرية في بعض البلاد الإسلامية<sup>(12)</sup>. كما أن جمال الدين الأفغاني أخذ من مجلة "العروة الوثقى" منبرا لدعوة المسلمين إلى الوحدة وبند الفرق، فكانت المواضيع التي تنطرق إليها المجلة تتسم بحول الوحدة الإسلامية ومقوماتها من رفعة جنسها لتسكنها شعوب مختلفة عرقيا لسون كلها بالإسلام، غير أنهم أصبحوا اليوم زعم كثرة أعدائهم - أربعمائة مليون نسمة كذلك - متخلفين عن الركب الحضاري بعدما كانوا أسياد العالم<sup>(13)</sup>. إلا أن الأفغاني توفي دون أن يرى حلمه في وحدة المسلمين يتحقق. وإلى جانب الأفغاني يبرز محمد رشيد رضا كأكبر السائدتين للجامعة الإسلامية، فكانت كتاباته في جريدة المنار تعب في هذا المسعى. من خلال إعلانه المصريح بأن الخلافة من حق العثمانيين، فكتب في عدد يوم 15 مارس 1898 أن الجامعة الإسلامية: "عشاية المشرق، عيادة النهضة، لحمي عن الدولة العلية يحل، والعلم مولانا السلطان الأعظم يصدق"<sup>(14)</sup>.

#### عدد 2: صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر

يذكر شاول دوبريه أجيرون CHLAGERON أن مصطلح الجامعة الإسلامية يوز عام 1881 في القاموس السياسي الفرنسي كمصطلح يشير إلى سياسة السلطان عبد الحميد وإلى مقاومات أو تحركات الشعوب الإسلامية ضد أوروبا<sup>(15)</sup>. أي أن القوى الاستعمارية وضعت نفسها في موضع المهدد من الخطر الإسلامي. وباعتبار الجزائر مستعمرة فرنسية، فيظهر أن السلطات الاستعمارية لحولت كثيرا من وصول أفكارها إلى الجزائريين وهذا الغرض "انتشر الخبرون الفرنسيون إلى الزوايا السنوسية وإلى مصر لينتقوا الأخبار ويكتبوا التقارير، فنهالت برقيات القناصل الفرنسيين من القاهرة، دمشق وجدة وبيروت عن تحرك العالم الإسلامي الذي يهده في نظرمهم الوجود الفرنسي والغربي عموما"<sup>(16)</sup>.

إلا أنه رغم الحصار الفرنسي للضروب لمنع تسرب أفكار الجامعة الإسلامية إلى الجزائريين. فإن هذه الأخيرة وجدت طريقها إلى قلوب الجزائريين الذين تبناها، وأصبحوا من أشد المدافعين عنها وللنظميين إلى آخر أخبارها، ويظهر أن هناك عوامل عديدة ساهمت في وصول صدى الجامعة إلى الجزائر.

وفي هذا المجال كان للأمير عبد القادر وأولاده دور أساسي في انتشار أفكار الجامعة الإسلامية بين الجزائريين، خاصة وأنه كان للأمير أثر طيب في نفوسهم، وكان هذا الأخير قد عقد عدة لقاءات مع رواد الإصلاح والجامعة الإسلامية، ومنهم محمد عبده ومحمد بيرم ومحمد السنوسي. وهي جهود تنبغي مع مساهمة السلطان عبد الحميد، وأبي الهادي الصبادي وغيرهم من رجال الدولة العثمانية<sup>(17)</sup>. كما كان لابنه علي الدين الزرد

البارز في الدعاية للجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية، فيقال بأنه قدم متخفيا إلى الجزائر عبر تونس، وكان غرضه من ذلك إعلان الثورة ومواصلة مقاومة أيد، وغذا اتصل بالناصرين لوالده وزعماء المقاومة، لدرجة أنه ودهم بتدوم والده للقيادة الجهاد، ونصرة السلطان العثماني لهم (18).

وقد ساهمت المصحف الصادرة في اسطنبول والمشرق العربي، وخاصة مصر، في نشر الفكر الإسلامي والترويج للجامعة الإسلامية بالجزائر، ورغم أن السلطات الاستعمارية كانت قد فرضت رقابة شديدة على دخول هذا النوع من المصحف، فإن هذه الأخيرة وجدت طريقها إلى الجزائر عبر تونس. وكان الجزائريون يتبعون التطورات الخاصة في الدولة العثمانية من خلال جريدة "المعلومات"، وهي جريدة أسبوعية كانت تصدر باسطنبول، ووجدت رواجها في الجزائر، حتى أن كثيرا من الجزائريين اشتركوا فيها ليعلموا وصوغا إليهم بشكل منتظم (19).

وكانت مجلة "النار" التي يديرها محمد رشيد رضا، واسعة الانتشار في الجزائر، خاصة وأنها كانت من أكبر المدافعين عن الجامعة الإسلامية والدولة العثمانية. وهناك صحف أخرى كانت ترد إلى الجزائر من مصر، ومنها صحيفة مصباح إشرقي السودان، الحلال، الفلاح، العلم، الاستقامة، السلطنة، أبو الفول، اللواء، أمنا صحيفة المؤيد لأصحابها على يوسف فكانت متداولة بين الجزائريين منذ 1899، مما جعل الحكومة العامة تفرض عليها رقابة شديدة، كما منعت صاحبها من دخول الجزائر (20). وكانت جريدة اللواء تخصص حيزا هائلا للحديث عن مشاكل وقضايا الجزائر، وهذا قررت السلطات الفرنسية منعها من دخول الجزائر عام 1908، ثم منعت نهائيا في عام 1912 (21).

ولا ننسى دور المهاجرين الجزائريين، في بلاد المشرق خاصة، ودورهم في الدعاية للجامعة الإسلامية، ومن هؤلاء، ابن التهامي الذي أسس جريدة للمهاجر بدمشق يوم 11 جانفي 1912، وهي جريدة أسبوعية وضعت على عاتقها مهمة الدفاع عن المهاجرين المغاربة هناك، والتشديد بالسياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي، وفي نفس الوقت كانت من أكبر المدافعين عن فكرة الجامعة الإسلامية (22).

لم يكتف السلطان عبد الحميد على الدعاية الصحيفة للترويج للجامعة الإسلامية، بل إنه استعان بشخصيات ذات التأثير الواسع كالأعيان وشيوخ الطرق الصوفية، وتحفيزهم بإغنائهم الأموال عليهم، وبهذا

أصبحت اسطنبول بمثابة "مكة ثانية" جلبت إليها أنظار المضطهدين والراغبين في التخلص من الاستعمار، فتم توزيع المنشور الدعائية على كل بقاع العالم الإسلامي، كما أسست السلطان مدرسة متخصصة في تكوين الدعاة ثم أرسلهم إلى البلاد الإسلامية. كانت الجزائر محط اهتمام لدى السلطان العثماني، ففي عام 1896، اكتشف الخيرون الفرنسيون، أحد الدعاة الذين أرسلهم السلطان، يدعى الشيخ جعقر وأطلق على نفسه لقب خليفة الطريقة السنوسية، وكانت مهمته القيام: "بالدعاية لفكرة الجامعة الإسلامية وذكر ضرورة اتباع الخلافة الإسلامية في شمال إفريقيا من خلال تزويد الجزائر وتونس بكمية من الصحف والرسائل".<sup>(23)</sup>

أصبحت فرنسا أكثر حذرا تجاه كل زائر للجزائر، وقد تنهه بالجوسسة لصالح السلطان العثماني، ولهذا الغرض نشرت صحفها لتتبع هؤلاء الدعاة ومراقبة تحركاتهم وقد تمكنت من اعتقال وفد قُبْرصي يشكل من ثمانية عشر رجلا وامرأة بعدما اتهمهم بالدعاية للجامعة الإسلامية "وكان هذا الوفد ينتقل عبر الجنوب الأقصى للجزائر بدعوى شراء الإبل"، وبعد استجوابهم ثم طردهم من الجزائر<sup>(24)</sup>. لقد نتج عن الدعاية المحمكة للسلطان العثماني عبر الدعاة والصحف أن زاد تعلق الجزائريين بالسلطان وبدولته، وانتشرت الدعاية في أوساطهم بأنه المهدي المنتظر الذي سيخلصهم من الخطرة الفرنسية، وكانت سنة 1893 - حسب أجيرون - سنة رواج لهذه الفكرة، فكان للداحون والشعراء يرددون قصائد وأشعارا تنصب في هذا الموضوع، والتي مفادها أن: "سلطان اسطنبول سوف يأتي لتحرير البلاد".<sup>(25)</sup>

ويظهر أن تعلق الجزائريين بالسلطان العثماني والجامعة الإسلامية، قد زاد بعد الانتصار الذي حققته العثمانيون ضد اليونانيين عام 1897، فكان لهذا الانتصار آثاره الإيجابية في نفوس الجزائريين وزيادة حماسهم. ووصل تعلق الجزائريين بالدولة العثمانية، أنه فارست باخرة عثمانية بمدينة الجزائر في عام 1906، صعد على متنها عدد من الجزائريين الذي طالبا بسجي، للسلطان لتخليصهم من فرنسا<sup>(26)</sup>. غير أن هذه الأعلام سرعان ما تبحرت لما أطاح أعضاء جمعية تركيا الفتة بالسلطان العثماني في عام 1909، ومارسوا تحيزا عتصريا على العرب بغرضهم لسياسة التفرقة. كما أن السلطات الاستعمارية سعت جاهدة إلى عزل الجزائريين عن إخوانهم بالشرق العربي فأصدرت قرارا في 1908 ينص على منع الجزائريين من الذهاب لأداء فريضة الحج، بدعوى انتشار الأوبئة هناك، غير أن هدفها الحقيقي كان منهم من التأثير بأحداث الدولة العثمانية.

وقد شكلت زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر في 27 أوت 1903 دافعا قويا للدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، وكانت هذه الشخصية فاعلة الصبغ بين الجزائريين الذين خصصوا له استقبالا حارا خاصة من طرف



جامعة الشباب الجزائريين ومنهم أحمد بن بريجات، حاج موسى، هذان بوركايب، أما الأمير خالد فاعتذر عن الحضور ولم يتمكن مفتي وهران من المجيء. كذلك بسبب المرض<sup>(27)</sup>. وبعبارة أخرى فإن الشيخ محمد عبد استطاع أن يجمع حوله الشرفيين الجزائريين ذوي الثقافة الإسلامية والمؤمنين بفكرة الإصلاح، وقد رُوِّجت مجلة النار لهذه الزيارة، فنشرت يوم 22 أكتوبر 1903 درسا ألقاه الشيخ بالجزائر حول تفسير سورة العصر<sup>(28)</sup>.

كما زار الجزائر رجال إصلاح آخرين، ومنهم محمد بريم عام 1876 الذي اتصل بعلمائها، وفي 1895 قدم إليها عبد العزيز الثعالبي باحثا عن عمل. وبدورهم فإن كثيرا من علماء الجزائر كانوا على احتكاك برجال الإصلاح من خلال المشاركة في المنتديات والمؤتمرات الدولية، رغم ما كانت تفرضه الحكومة العاتقة من رقابة على هؤلاء المشاركين، فلا تبيحها إلا لمن تظمن لهم، فلقد شارك الشيخ شعيب بن عبد الله قاضي تلمسان في مؤتمر المستشرقين بالسويد، أما محمد بن رحال لشارك في المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين المنعقد بباريس في عام 1897<sup>(29)</sup>.

وعموما فإن تعلق الجزائريين وتضامنهم مع الدولة العثمانية وإخوانهم المسلمين ضد القوى الاستعمارية تواصل حتى بعد انقلاب 1909، ففي عام 1911 وقعت ليبيا في قبضة الاستعمار الإيطالي، فكان هذا الحادث دافعا قويا لإحياء فكرة الجامعة الإسلامية ووحدة المسلمين، فبادر الجزائريون إلى عدة نشاطات لإبراز تضامنهم مع إخوانهم الليبيين والعثمانيين، حيث تم وضع ملصقات حائطية تدعو إلى التظاهر أمام القنصلية الإيطالية ومقاطعة السلع والتجار الإيطاليين، وجمع التبرعات لصالح الجرحى، فتمكنوا من جمع 410.000 فرنكا لصالح أهلال الأحر منها 344000 فرنكا جمعت في عمالة قسنطينة لوحدها<sup>(30)</sup>.

كما خصصت الجرائد الجزائرية الفتية عددا من مقالاتها للإشادة بالتضامن الإسلامي، ومنها جريدة الحق التي كانت تصدر بوهران<sup>(31)</sup> والإسلام<sup>(32)</sup> والرشيدي<sup>(33)</sup>، مما جعلها تتعرض لمضايقات من طرف السلطات الاستعمارية، وكان عمر بن قدرور صاحب جريدة الفاروق<sup>(34)</sup> يرى أن هذا الحدث دليل على بداية تلك الوحدة الإسلامية وأن هذه الحرب تمثل آخر فرصة لتهوض العالم الإسلامي من غفلته ولأدخال مرحلة الانحطاط الذي لا مخرج منه، وقد عالج هذه الهجوم من خلال ما نشره في جريدة الحضارة التي كانت تصدر في اسطنبول، ومما نشره في هذا المجال مقال بعنوان "نبذة عن طرابلس الغرب" ونصيدة شعرية عنوانها "بني الطليان"<sup>(35)</sup> ومقال آخر بعنوان "الغليان السياسي".

وكان آخر حادث قبيل الحرب العالمية الأولى بين لنا اهتمام الجزائريين بأحداث المشرق، انعقاد المؤتمر العربي الأول بباريس ما بين 18 و 23 ماي 1913، وجاء في ظروف حرجية تميزت باستيلاء أعضاء جمعية الاتحاد والترقي على الحكم في اسطنبول، وذلك بعد ما عزلوا السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1909 وعينوا مكانه أخاه محمد رشاد الذي لم يكن يمتلك أي سلطة فعلية، ومن ثم حاولوا فرض سياسة تركية على البلاد العربية مع إبعاد العناصر العربية عن الوظائف الهامة، فكان رد فعل العرب على ذلك تأسيس حزب اللامركزية، أي المطالبة باستقلال ذاتي داخلي، كما أسسوا جمعيات سرية تعمل في هذا السعي مثل الجمعية القبطانية بزعامة عبد الكريم الخليل والصايغ عزيز علي للصري، والجمعية العربية الفتاة التي أسسها طلاب عرب متأثرون بالخصارة العربية بباريس (36)، وأمام تزايد نفوذ الاتحاديين عقد أعضاء الجمعية العربية الفتاة مؤتمرا بباريس عام 1913، وكانت الجزائر من بين المدعوين خصوره، حيث تلقى الأمير خالد دعوة من أعضاء المؤتمر، إلا أنه اعتذر وترسل رسالة دعم إلى المؤتمرين مؤرخة في يوم 2 ماي 1913، وفيها تمنى لهم النجاح ودعمه فم، مذكرا أن هذا المؤتمر لا يهدف إلى الانفصال عن الدولة العثمانية التي لا شك، حسب، أنها متوافقة على جميع مطالبه الرامية إلى تحسين الإدارة الداخلية (37). ويظهر أن اعتبار باريس كمكان لا تعقد المؤتمر، جعل الجزائريين يترددون في المشاركة فيه بسبب مخاوفهم من السلطات الاستعمارية، وما ارتكبه هذه الأخيرة من اضطهاد في حقهم.

وعلاوة على ذلك، فإن النشطاء الجزائريين حول فكرة الجامعة الإسلامية، وبالتالي السلطان العثماني، هم نتاج علاقات ربطت الطرفين لأكثر من ثلاثة قرون، وذلك لما استند سكان مدينة الجزائر بالأخوين خروج وخير الدين عام 1518، ثم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية عام 1520. ورغم الخسائر التي كانت تتعرض لها هذه العلاقات من حيث الآخر، لأنها بقيت متواصلة إلى عام 1830، حين وقعت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي، وما أوجع على ذلك من تحطيم للبيئة الاقتصادية ومحاولات لضرب الشخصية العربية الإسلامية للجزائريين، فكان من الطبيعي أن يحن هؤلاء إلى الماضي، ويعلقون بذلك البعض من الأمل الذي جاء به السلطان عبد الحميد الثاني، والذي كان يهدف من خلاله إلى إعادة وحدة المسلمين وتخليصهم من الهيمنة الاستعمارية الغربية.

- 1- فتان جلال، "نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي والجامعة الإسلامية في القرن التاسع عشر"، مجلة المصادر، العدد 11، السلسلة الأولى، 2005، ص 17.
- 2- المرجع نفسه، ص 18-21.
- 3- حول هذا الحرب، وبما عدا سببا سابقا، راجع: الصلاحي، علي محمد، العهد الدولة العثمانية عوامل الشعوب وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، مكتبة الإحياء بالقاهرة، بدون تاريخ، ص 371-374.
- 4- مذكرات السلطان عبد الحميد، نقل عن الصلاحي، علي محمد، العهد المرجع السابق، ص 378.
- 5- نفس المرجع والصفحة.
- 6- نفس المرجع، ص 377.
- 7- نفس المرجع والصفحة.
- 8- القليل، العجيل، إحدى حركة الجامعة الإسلامية في الغرب العربي 1876-1916، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمرشدة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2005، ص 92.
- 9- نفس المرجع والصفحة.
- 10- فتان جلال، المرجع السابق، ص 98.
- 11- المراكشي، محمد صالح، تفكير محمد وقبيلهما من خلال مجلة المنار 1898-1926، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 84.
- 12- القليل، العجيل، المرجع السابق، ص 86.
- 13- فتان جلال، المرجع السابق، ص 47.
- 14- المراكشي، محمد صالح، المرجع السابق، ص 10.
- 15- أجروود، شارل، روبر، الجزائر بين المستعمرين وفرنسا 1871-1919، ترجمة م. حاج - مسعود، ع. باعربي، ك. الجزء الثاني، دار التراث للكتاب، الجزائر، 2007، ص 197.
- 16- محمد، أبو القاسم، أهم 25 قضية الجزائرية 1830-1900، الجزء الأول، القسم الأول والثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 2005، ص 340.

<sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص 366.

<sup>18</sup> - نفسه، ص 362.

<sup>19</sup> - هلال، علي، "أصداء نظرية الجوانب إلى المشرق العربي في بعض التقارير الفرنسية الفرنسية"، الثالثة، عدد 88، جريدة - نوت 1984، ص 157.

<sup>20</sup> - أجبرون، شارل روبن، المرجع السابق، ص 367.

<sup>21</sup> - التلي، النعماني، المرجع السابق، ص 105.

<sup>22</sup> - هلال، علي، "أصداء الجوانب نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي 1847 - 1918"، الثالثة، عدد 82، جريدة - نوت 1985، ص 38.

<sup>23</sup> - أجبرون، المرجع السابق، ص 498.

<sup>24</sup> - التلي، المرجع السابق، ص 125.

<sup>25</sup> - أجبرون، المرجع السابق، ص 499.

<sup>26</sup> - التلي، المرجع السابق، ص 131.

<sup>27</sup> - أجبرون، المرجع السابق، ص 499.

<sup>28</sup> - التلي، المرجع السابق، ص 104.

<sup>29</sup> - عبد الله، أبو القاسم، المرجع السابق، ص 170-171.

<sup>30</sup> - أجبرون، المرجع السابق، ص 385.

<sup>31</sup> - صدرت لأول مرة بعدة يوم 30 جويلية 1892، لتعجب عن الصلور بتاريخ 25 مارس 1894، ثم أعيد إصدارها بمرات في عام 1901 الأسبوعية.

<sup>32</sup> - صدرت في عام 1898 بكل من خانية والجوانب، مؤسسة الصلور في لبنان. توقفت عن الصدور يوم 21 ديسمبر 1914 (الأسبوعية).

<sup>33</sup> - صدرت في عام 1914 بدمشق، وتوقفت صدورها في عام 1914 (الأسبوعية).

<sup>34</sup> - مؤسسة جبران قنوز، صدرت يوم 21 فبراير 1913 بالجوانب، لتعجب عن الصلور يوم 26 مارس 1922 (الأسبوعية).

## اشكالية الموريسكيين الأندلسيين وبقائهم في الأندلس القوية الرابعة

١- ملوك طوافري

جامعة تصدين

تصديق القراء من القرن 17 إلى القرن 21

مباشرة انتهاء الدولة المظلمة في تونس تحليلاً هذه التكرار 20-21 مايو 2009، عنوان بحثي المتعلقات وراثتها بدأ "إبعاد الموريسكيين في حركة الزمن"، حيث أصبحت المواقف المختلفة المتطرفة خلال القرون الأربعة التي تلتها من الإسكندرية، إذ كان هذا العصر الملتصق بمسوحها كجهد منذ البداية، حيث ساهم فيه المليون أنفسهم. وفي تلك حديق العهد فيه "أوسمان ريدمان" <sup>1</sup> Augustin Redman، على تحليل التوافق في الفترة 1609-1624، والذي يعتمد فيه على المصادر الحديثة التي كشفت، والتي تحلل نظرية الزوجة حول الإبعاد في الخطوة الأولى، التي طغت الحدث، التي يعزى فيه الخطاب السائد آنذاك عن الترقية والإقصاء المتعددة من الأندلسيين، وبما ومن منظور مختلف، ترى ألبا من المجتمع في عهد الموريسكيين غير مثلاً، تبعاً خطأ سياسي جسم.

أما العمل الأمن الصادر مؤخرًا للكتاب "عمران ريدمان" Juan Ripet، في الأصول في القوية والذي عاين في أوائل القرن السابع عشر، والمفهوم *Dilemma de consuelo por la expulsión de los moriscos* (1613) <sup>2</sup> de Ripet، يتناول على وجه التحديد بالقرابة بين الزاين في مسألة القراء، إذ يقدم في شكل نصي حوار بين مؤيدي الملكية وبعضهم المناهض للتعصير التي آل إليه الموريسكيون. ففي أقوال "موريسكيون" *Sorapere* التعارض لعملية الترحيل، يعرض "جوان ريدمان" حجة يدافع بها عن آخر، ومثلها بالناسية عدم جنوبي سياسة الترشيد وما أقره من مواقف اقتصادية واجتماعية. وقد استمرت هذه المواقف المتعددة حول القراء إلى غاية أوائل القرن العشرين، فكانت البداية لوجهة نظر المتألمين من التيار الأيمن الأكثر ليبرالية، بداية من سنوات الخمسينيات، وأمام المؤرخون أمثال السمي وراء الموضوعية بالاصحاح على نتائج الأرشيف مثل "جاري لاير" *Hans Lapeyre* الذي يعطي أساس الترحيل في كتابه *Geographie de l'Espagne musulmane* <sup>3</sup> في الأخير حسب توجهات السياسة المذكور عنها بالقول إن وجهات النظر حول القراء في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، أجهلت معر جاري لاير جديداً بناءً على الأعمال الأخيرة التي صدرت حديثاً في الموضوع.

تعد القلب والمفهوم

الواقع أننا نشهد حالياً صدور كمية كبيرة من الوثائق والوثائق بشأن المورسكيين من مجلات، ومجلات، ومجلات، وخاصة الكتب، وهذا الإنتاج الكبير ليس سوى تجليد وتوسيع ما كان لدينا من رؤية حول المورسكيين والكثير من هذه الأعمال تؤكد على ظروف الإبعاد.

### كتاب من مكتب التراث المورسكية حسب النهج

نجد الفقرة الأولى من الكتب الصادرة مؤخراً السلطة الضوء على مواطن المورسكيين، في توضيح لعادة "فرانك برودي" <sup>1</sup> *Fernand Braudel* الشهيرة التي يقول فيها: "لا توجد مشكلة واحدة ولكن توجد مشاكل مورسكية". إذا كان المزيج على نوع المسألة المورسكية بحسب المائق، فالعديد من هذه الكتب تؤكد على خصوصية إقامة المورسكيين في منطقة معينة. بالنسبة لسلطة أراغون، يمثل كتاب "مانويل كورتيز لوميس" *Manuel Lomas Cortés* العنوان: *La expulsión de los moriscos del Reino de Aragón. Política y administración de una deportación* <sup>2</sup> يكون بعد فراغا في الدراسات، بحيث بين لنا أن الإبعاد في هذه المنطقة كان مسيراً معقداً جداً، وأنه لا يقتصر على الأحداث التي وقعت خلال صيف عام 1610، وهي واقع شديدة الارتباط بمختلف مشاريع ولوائح الملكية، تناولها الكتاب من حيث أثارها المختلفة. كما يرى ذات الكتاب أن رحيل المورسكيين كان بطريقة سلبية للغاية، وذلك رغم مخوف النظام الملكي. في النهاية يحتاج هذا المزيج أثار العملية، بالخصوص، على مستوى أراغون، إذ سبب طرد المورسكية بعد النبلاء، تراجع قدرتهم الاقتصادية، فتهجرت الأراضي، وانخفضت الكثافة السكانية في المناطق الريفية، وتراجعت إجماعات المزاج، وبالتالي تنسب الإنتاج، وأدى ذلك إلى أزمة اقتصادية كبيرة.

أما في فالنسيا وقتذاك العديد، وعراقلة، فقد جرى الطرد في ظل ظروف مختلفة جداً فذكرها كتب عديدة بالنسبة لفالنسيا، أسهمت المصنوعات الحديثة في الموضوع حتماً ورد في العمل الجماعي المعنون: *La expulsión de los moriscos. Un conflicto nacional*، وللمأساة صدر من جديد كتاب مرجعي: *Tales Había Moriscos y cristianos viejos en Valencia* (1980) <sup>3</sup> فيها يمثل بخرائط، على الكتاب التكم، الذي صدر من جديد مع بعض الإضافات، كتاب "مانويل باريوس أغيلار" <sup>4</sup> المعنون: *La convivencia perdida. Historia de los moriscos del Reino de Granada* <sup>5</sup>، ونعبر الكتاب عبراً بارزا في "البلاد"، في مزيج الأرض الأصلية، والمزيج الثقافي الذي يميزها، نحن من جهة، نذكر على كتابة مؤلفه مثال عن "كتابات المورسكية"، يظهر للإبعاد وهو موضوع آخر. الثالث من الكتاب في علاقته بالواقع المعاش، عن تجربة العلاقة المورسكية على الأراضي المورسكية.

هناك عمل آخر أكثر دقة (1983 صفحة) للكاتب "ميكيل جون دافوس" <sup>10</sup> Tisserat & Dufour. *Les manuscrits de Villavieja de los Ojas (siglos XV-XVIII). Historia* de una minoría aservilada, expulsada y reintegrada <sup>11</sup>، ومرد أهمية هذا الكتاب في مونه بخربة من تاريخ طائفة موريسكية على المدى الطويل، وهي فترة الأولى التي يكتب فيها، وبعدها متصلة تاريخ طائفة موريسكية انتهت في الثقافة الكاثوليكية. ولطيف صراحتهم محمد مولا. للموريسكيون من منطقة المانشا يظهر قوت أمام مصالحة الإبعاد والتكوث في فيلاريا. وليلي هذه الوثائق لمرافق مهمة جدا في تطويره من معلومات حول ظروف الموريسكيين في مختلف فتراتهم في مناطق أخرى أكثر ارتباطا بأرضهم، وأكثر اندماجا والملاحة. ولقي نواحا مع المسيحيين القدامى. وهذا بلا حظ جولة استثنائية للإبعاد إلى لكن البعض من القدامى منهم من عاد ثانية كما كان الحال مع موريسكي "كلموني في كاتالونا" Campo de Calatrava. من الكتب الأخرى حول الموريسكيين في منطقة "المانشا"، ولكن بالكتابة متباعدة جدا، تركز على دراسة الطائفة نفسها. تذكر كتاب "فوليسكو ج. موريا ديال" <sup>12</sup> Francisco J. Muriel Díaz - *Los moriscos de la Mancha. Sociedad, economía y modos de vida de una minoría en la Castilla moderna* <sup>13</sup> **أعمال في الطائفة الموريسكية بمنطقة**

صدرت هذه الأعمال بهذه الذكرى، هذا كتاب أبحاث بلا شك من الكتابات في دراسة الموريسكيين. وتذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تلك التي تعرض بعض جوانب أدبهم وثقافتهم.

من هذه الكتب يذكر تلك المكونة من *"La historia inventada: Los libros plúmbeos"* <sup>14</sup> legado sacrasanatorio <sup>15</sup> الصادر عن دار *El legado andalusí* (الإرث الأندلسي) سنة 2018، الذي تناول أبحاث كتب الرصاص في جبل طرطوش القدس متعللا معها بطريقة حديثة، من جوانب متعددة ومتكاملة سواء من الناحية الفيلولوجية أو من الناحية التاريخية والفنية أو الأثروبولوجية. أما مؤلفا الكتاب فهي من أبرز من اهتم في موضوع الموريسكيين، وهما "عائيق باروس أغيليرا" Manuel Barrios Aguilera و "ميريس غارسيا أريال" Mercedes García Arriol

أود أن نلجأ أيضا إلى ما نشرته مؤخرا (مايو 2020) *"الحلمة"* <sup>16</sup> *El almendra*، التي ألفت العديد من الكتب، وأكثر من مئتين خلال "عصر لويز بارالت" <sup>17</sup> *Luis López Baralt* مؤسسة ومديرة مدرسة بورتو ريكو، والتي ساهمت في تكوين عشرات الطلاب وتدريبهم، فساهموا بدورهم في التعرف على مخطوطات "الحلمة" التي درسوها في المركز المذكور. والكتاب مؤلف *Los Diamantes ocultos de los árabes* <sup>18</sup> *marabones de España*، التي يمكن اعتبارها أمثلة، يسمح لنا بالتوجه من خلال تصوير

"ألفونسو" - في سرود حياة المورسكيين، والسراج في مناجاة مغرولة تصوت أولئك الكتاب المرمين الذي أعادوا الصلوة.

في الأخير لا يمكن أن نغفل هذا المرحى حول أهم الأعمال المنشورة حول المأساة دون الإشارة إلى وجود مجموعة قصصية حصرا للدراسات المورسكية تحت زعامة ثلاث جامعات، وهي جامعات فالنسيا، وقرطاجنة، وسرقسطة، والمجموعة Biblioteca de Estudios Moriscos، ومن أهمها كما نرى بذلك أسماء أعضاء إصدار الدراسات الخاصة التي استندت إليها، ونشر موضوعي التحصيل حول الموضوع المورسكي، وقد ظهرت من هذه المجموعة أربعة مجلدات وهي: "تاريخ المورسكيين" Manuel Barrios Aguilera و "موسيقى غارسيما لريال" Las plenas del Sacramento. Invenidos y sacros Marcos García Arceal و "بينار صان" El río morisco Bernard Vicens و "تاريخ المورسكيين" La expulsión de los moriscos españoles و "تاريخ المورسكيين" Un conflicto. Tulo Haperle Dongai و "تاريخ المورسكيين" nacional: moriscos y cristianos viejos en Valencia

المورسكيون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر

في وقت الحظر فيه يذكرى طرد المورسكيين، تظهر جبهة من خلال كل ما صدر من أعمال، نظرة جديدة حول المورسكيين وعرفهم، غير أن وصلها "بالجديدة" لا يعني أن هذه الرؤية جاءت من العدم، إنا نجد أن المؤرخين يعلقون على أولئك الذين اعتبروا أعداءهم في وقت واستدالات جديدة.

النظرة القديمة بالمأساة

إن المؤرخين موضوع المورسكيين يشعرون بالانكسار، هذه المسألة، وذلك على مستويات مختلفة، لم يكن هذا الاهتمام طيلة قرون سوى معالجة أحد قصور تاريخ إسبانيا فكانت تلك، من وجهة النظر المحافظة اهتمام بأقضية أيت أن تدفع، بل اعتبرها خطرا على الدولة، فأصبحت تمثل عدوها الداخلي، أم ما يسمى الطائفة الموحدة، وبالتالي كان لها طردا سب سببته وعدم قدرتها على الاندماج في المجتمع. في القرن العشرين وبصفة تدريجية، لم يعد التعامل مع تاريخ هذه الأقضية بطريقة موضوعية فحسب، بل أصبح لها بعدا يترجم من التعاطف. في هذا الصدد يذكر أنه في عام 1978، وضع "الطوبى دوجيتر أوريز" Antonio Dominguez Ortiz و "كونتر فليمن" Bernard Vicens لتعنوان المرحى كتابهما Histoire des Morisques (تاريخ المورسكيين) و "Moriscos" "عجوبة ومأساة ثقافية" et tragédie d'une minorité.

منذ ذلك الحين، عزز الكتاب عن تعاملهم مع المورسكيين بسلاطهم القصور على ما حلوه من مأساة نقل أولئك محاولات التطوير المرحى في أوروبا، إنا وبصفة تدريجية، انضم المؤرخون تجاه هذه الأقضية، محاولين بالتدريج فهم أحداث الماضي، فنتصور أن أن التاريخ لا يتعامل مع واقع مزرعة وموضوعية يمكن التحليلها، ولكن يوجد من وراءها



الأشخاص من طعم دم، لحم وجود، ولحماء، فالأفارقة مكيون كثير من أن يكونوا جزءاً من إحصائيات، أو مجرد أرقام على نحو التماس عائلاتهم من ماضي شخصية وجماعية. عن هذا الأساس جدد المؤرخون اليوم هذا الموضوع، متعين ما يصحهم به "ألفونزو أورتيغويو مويغو" عند سنوات في قوله: "رغم علمنا بالخط العام لعمدية الطرف، إلا أنه لا يزال هناك كثير من البحث يتعين إنجاز، على المستوى المحلي من خلال معالجة الدراسات الجغرافية، خاصة الانتكاس التي اتخذها العملية في كل قرية، إذ التناقضات كثيرة" <sup>17</sup>

غير مجال على هذه التاريخ الجزئي المطلوب كتاب "كريستوفر ديسون" <sup>18</sup> "Trove J. Dutton" التي قدمت عنه سابقاً حول الموريسكيون في فيلاروبيا دي لوس أوجوس Villanueva de los Ojos التي منطقت اللتش، وهو عبارة عن مونوغرافيا للقدم ثبات رؤية أوضح عن الموريسكيين في إحدى القرى، وعن علاقتهم بالسلطة المركزية والوحدة، وتعرف لنا في الوقت نفسه بعض الوجهة من السلطات المحلية، المدافعين عنهم، تحصل كل هذه الدراسات في التاريخ الجزئي مع دراسات أخرى في التاريخ الكلي، يطلب المؤلفون بعض الطريقة من المؤرخ التوفيق بين رؤية العام عن الموريسكيين ورأيه من طرفهم، كما فعل "رافائيل كاراسكو" <sup>19</sup> Rafael Carrasco الذي نشر مؤرخاً في برشلونة في أبريل 2019، كتاب موجزاً جداً حول "Depositos en nombre de Dios. La expulsión de los moriscos" الذي نشر مؤرخاً في برشلونة في <sup>20</sup> "marruecos - cuarenta años de una guerra"

حولت الكتاب المرحلين باسم الرب: طرد الموريسكيين: عزز في ذكره القوة الرفيعة وأوضح براهه الثقافية للتعبير عن وجهة نظر الكتاب المتمر بالمقضية، وبالطريقة نفسها كما تجددها في الجسة الأخيرة من الفقرة الأخيرة من الكتاب، وثوب بوضوح طرد المجتمع الموريسكي في قوله: "كان الطرد خطوة على التمر، والتعبئة الملتجج والتعبئة بالماضي" <sup>21</sup> في هذه القصة من المؤلفين المتمررين يعني ذكر التاريخ "فونسيسكو ماركيز فيلانوفا" <sup>22</sup> Francisco Ferraz Villaverde الذي تفرق من قبل إلى طرد الموريسكيين عن له "إدانة جماعية صريحة، وهذا هو المصير الحقيقي لمصير "الطرد" الذي يعتبر جسده الآن جدياً بحيث تستخدمه من غير رعي وذاكرة، بين الكتابة والتدريج مع التعابير الرسمية، تعني أن السلطة تصفية شعب والثقافة الإسبانية" <sup>23</sup>

في هذا القول، يؤكد "فونسيسكو ماركيز فيلانوفا" عن المؤلفين أماسيين، أولئك أبناء "أهلها للشعب"، وعلى حد قول المؤرخ البارز في مقدمة كتابه: "لا يحد (المؤرخون) اليوم يرون، ولا أخفا" يتعرف دقة على المصير الذي لاحقه، "نحن هذا المظهر، لا يمكن للمرء أن يفهم بين الجوانب الاقتصادية والطرد، والمذهب الإسلامي، والسياسة المحلية، هي: اعتبار المرء "تصنيفاً للثقافة الإسبانية". وهذا اعتراف بوجود إسلام يلبه الجزيرة الأيبيرية ثم انتهى بفعل ذلك، ووجود تشكل أصيل من أشكال الحضارة الإسلامية بالمقارنة مع الشرق" <sup>24</sup>

الواقع أن الجميع يعرف أنه زيادة على الشغل الثقافي الذي حدث من شبه الجزيرة العربية إلى شبه الجزيرة الإسبانية، فرضت الأندلس بسرعة شخصيتها، مما جعل ابن حزم يكتب في قرطبة في القرن الحادي عشر رسالة إلى الحسن بن أحمد الأندلسي (الساد فيها بخصال وشيم الخطباء في وأهل سمو سكاها). والواقع أن الفيلسوف ينادي خلافا قرطبة، ثم ملوك الطوائف، ثم عرفت طرفة قوية بفضل ابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد، وكذلك هو الحال بالنسبة للأدب والشعر والفنون الجميلة، والطب، والفنسة المعمارية، أي كل ما يجعل الحضارة الأندلسية، حضارة متعمدة وداعية المتميزات أثرت أسبانيا وكل أوروبا المسيحية، انطلاقا من خليجة، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. في عام 1158 أتمت الإسلام الإسباني وقطع فرع من الفروع الأساسية التي شكلت التاريخ الإسباني، وذلك وضع حد لتعاليم 10م عدة قرون.

#### بعد النورسكيين طرفة عهد.

ينظر بعض المؤرخين إلى مشكلة النورسكيين من زاوية أخرى، ويعتبرون أن طردهم ما هو إلا طرد مثليا حدث في العديد من القرات عبر تاريخ شبه الجزيرة. وليس ذلك لظليل من أهمية الحدث، وإنما محاولة لفهم هذه الظاهرة بوضعها في سياق تاريخ أسبانيا، بما يتفق من دراسة ظاهرة التي بمساعدة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا للوصول إلى وجهة نظر مختلفة للواقع. لا شك أن واقع التي جزء لا يتجزأ من تاريخ أسبانيا، وهناك كتابات تقول بأنه ما بين 1445، سنة طرد اليهود، ويحاز من هؤلاء الكاثوليك، و 1474، سنة وفاة فرنانكو، اضطر نحو ثلاثة ملايين شخص إلى مغادرة أسبانيا بسبب حملات الإجماع، القسري أو الجلب للمؤمن عليهم.

واعتلت الحكومات الإسبانية في سياسات الإبعاد منذ القرن السادس عشر. بعد اليهود (1492)، والنورسكيين (1502)، كان دور البطاركة لشمال النصارى (heretics) أثناء حرب الخلافة (1501-1512) التي شهدت تصاعد التوربون. ولكن قبل ذلك حدث شيء، ذاته للكاثوليك البدمين heretics في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكذلك اليسوعيين (1567)، وللكارلايين Carlistes والحافظين للمؤمنين للسياسة الاستبدادية للملك "فون كارلوس" (1716-1808). كما تعاقب الأمر أحيانا إلى القديسين، حسب تقلبات الحياة السياسية في القرن التاسع عشر. وبالنظر لبعض أعيان 1808 من الجمهوريين المؤيدين إلى التي بعد تراجعهم في فبراير 1838. درس مؤرخون كثيرون في الأونة الأخيرة حملات الطرد باعتبارها ظاهرة متكررة في تاريخ أسبانيا. وتشير تقديرات هاري كاتين Henry Kamen «الخبر في الترميم»، إلى حدود أربعة عشر حملة طرد واسعة في أسبانيا، سمع عنها كلها في كتابه الصادر سنة 2007 تحت عنوان Los descubridores. España y la heresia del exilio<sup>22</sup>، ومعد "المؤمنون، إسبانيا، وخطة الشغل".

في أعام نفسه نشر جوان كاردال *Juan Cardal* كتابا بعنوان *Exilios. Los exodos políticos en España, siglos XV-XX*<sup>23</sup> (سياسات التهجير في إسبانيا ما بين القرنين الخامس عشر والعشرين، وقيل ذلك عام أصدر "باتريستا فيلار" *Bautista Vilar* مؤلفه المعنون *La España del exilio. Las emigraciones políticas españolas en los siglos XIX y XX* (إسبانيا المنفى، الهجرات السياسية الإسبانية في القرنين التاسع والعشرين)<sup>24</sup> من ناحية أخرى، نشرت من نفس الطغور النحلة *La Aventura de Exilio* (مغامرة التاريخ) في عددها 114 في شهر جوان من سنة 2008 الصادرة بحدريه جلد جوان *Exilios de España* (إسبانيا المنفى)، ومن بين ما احتواء مقالات "كاردال جوزدي" *Rafael Carrasco* "El vaivén del XIX" و "رائفيل كارسكو" *Rafael Carrasco* "Judíos, protestantes y moriscos" و "روزا ماري ألابرياس" *Rosa María Alabrias* "Guerra civil y baile de los Austracistas" و "أنجيل دوارتي" *Ángel Duarte* "Baile de los Austracistas" و "كيسبور" *Kaispor*، ترمثل الكتاب الذين ذكرت أهميتهم، أو المسؤولون عن الأحداث الخاصة للمعطيات إلى استنتاجات مماثلة، وإن كان التعبير يختلف في بعض الأحيان فلاحتلالات بسيطة، إذ يشير الجميع إلى أنه منذ البداية أن هناك طائفة من الإسبان طردت طائفة إسبانية أخرى في عمليات إخلاء كان يرجى من خلالها للمحافظة على التماسك الداخلي للبلاد، وبغية تقديم هوية مستقرة للبلاد التي يدعون تحليها، وما ذلك إلا موقف إقصائي متعصب، نتجت هذه قصة قرون من الإبعاد. كانت إسبانيا طوال تاريخها، عبارة عن هويات عديدة متراكمة، منها العربية، و المعقلية، والدينية أو الطغرية، مما صعب عليها بناء هوية تضامنية، والتعايش في حرية مشتركة، بل كان لها طابع أسطوري لبناء ما يقرص أنه إسباني حاضري.

أدت عمليات طرد الأقليات المتكررة إلى فشل المحاولة المعقلية في خلق هوية وطنية، إذ من المؤكد أن عمليات الإخلاء خلعت هوية إسبانيا كأمة، وحرمت البلاد في كل مرة من القوى الحية، التي شكلها النخب المثقفة الأسبانية، ومنعت في كل مرة تنمية البلد، إذ أحل الهجرون معهم جزء من هذه الحوية، فكانت إسبانيا بذلك أكبر ضحية في عمليات التهجير المتكررة التي عرفتها. وفي ذات السياق يؤكد "هنري كامين" على الجانب السلبي، معتبرا أن البلدان المبعثة أضررت ثقافتها معنى. كانت لها المستقطب الرئيسي من الهجرات الواردة على أراضيها، حتى تونس باستثناءا الفرنسيين عام 1909، والكشيك بحدوم الجمهوريين في 1939.

يلقى الحلقة المشتركة وراء كل عمليات الإخلاء هي أن طردها للمثقفين معناه أن التعايش بين مختلف الفئات الاجتماعية لم يعد ممكنا، إذ عند بلوغ هذا الحد، تسن الحكومة مراسيم تقر بأن الأقليات المتطرفة لم تعد جزءا من البلاد،

معتبرة، وجردها خطراً، لذا نشأ لها عداء إيجابي منها بأن ذلك يخلط بينها، من الابتكار والمعتقدات التي لحسبها حرية وهدد أمنها. ومن هذا المنطلق يطلق النورثون، في نظريتهم نظامة الفرد، كإعادة بناء كل ظاهرة، متكررة، مع حياة الاجتماع وحياة الأثروبولوجيا اللذين يدرسونهما في إطار الظروف التاريخية التي تولدها، وتأكيدهم على أن الآليات قبل إلى التكرار.

الواقع أن حياة الاجتماع والأثروبولوجيا تحولوا مساهمة الإخلاء، وتعليقهم ساعدت على إبراز ظاهرة الإبعاد في التباسات الخلط، وتدعونا لرؤية هذه المشكلة باعتبارها ظاهرة متغيرة في أي مجتمع قد حدثت في أي وقت، في تاريخه. في هذا الصدد يصوغ علم الأثروبولوجيا "رأيه جيرار" Best Christ هذا المبدأ العام بالقول: "استطاع الأقليات العرقية والدينية الأقليات صدها، على أساس معيار نسي لاختيار الضحية، وهو خاص بكل مجتمع ولكنه من حيث المبدأ حار للثقافات transcultural. وعليه لا توجد مجتمعات لا تلتصق الديناميا، وجميع مجموعات غير الشذجة جيدة، أو ببساطة التقليدية، لا تشكل معينة من التغيير، وإن لم يكن للاضطهاد" يدعونا "رأيه جيرار" لتأكيد أن هذا، للتفكير في القوالب النمطية للاهتمامات حين يولد "القولبة الأولى" التي هم متروكة، ولكن من السهل التعرف على وحدانيا... فإني تذكر أكثر من غيرها هي ذاتها تلك التي تنتهك الحريات الأكثر صرامة بالنسبة للمجتمع العنصرى، ومعناه أن، كما حدث للروسكيين، يشعر المجتمع بخطور على قيمة الأساسية، ويُظهر إلى الأبد على أنه يمثل خطراً اقتصادياً، وأيضاً غير قابل، واجتماعياً، دينياً، وأنه مقدس، لذلك الأسس التي تقوم عليها الأخذ.

يستعمل علماء الاجتماع وعلم الأثروبولوجيا نظرية أساسية في دراسة عمليات الإخلاء، المتعلقة غير التاريخ، إنه مفهوم كيش قدام، عبارة تدل على أحد الطقوس القديمة التي إمرق كل حيث يتم اختيار الذين من الذم، يدعوا برأى من قبل الكاهن لعلال الحقل أقطوسي، ينهار بسى بالقي والشروط، باسم كيش قدام في الصحراء، وهو في ذلك موضوع الشك ورجس بالحجارة. كانت اليهود تخلص من خلال هذا الطقوس، يظهر أنفسهم من المعابد، واستعملت العبادة على مر القرون، كلما بحث شعب ما، في عظام الأرملة عن البقاء، وألقى بالسلاويه عن أن شر على مجموعته معينة، ليحصل منها كيش قدام، ووظيفة هذا المفهوم تبرر عمليات الإخلاء في المجتمعات.

#### أصوات نظري للعالمية النظرية الجديدة العنصرية

نود في ختام هذا العرض توضيح أن الإخلاء يذكر في طرفة العروسكيين ليست اعتباراً اعتكافاً على الغامضة، بل دليل لتلك الأصوات الأخرى والكثيرا من كتابات، ورجحان السياسة، والمختبر من الروسكيين ذاهبهم، والتي تعالت لتحية الضحايا بطلانها كما سترى. طر رئيس الوزراء التونسي السابق هادي البكوش في الكلمة الافتتاحية للقميعة الدولي في تونس، التي أقرتها إليه في بداية هذا الصدد، عن وجهة نظره بشأن الطرد فهي نظرة جديدة بالتحليل، لأن صاحبها

رجل سياسي مثلك، ومتفهم لميزان، لأنه اعتبر أن الطرد من أكبر تآلي إسرائيل، واحدا من أكبر الخرافات التي يتركها الإنسان ضد أخيه الإنسان. (الظاهر كيف أن الطرد كان مأساة، قرأ الشعب صحيفة "الزمن الجديد" Avner Carboni، مثل شهادة مؤثرة خاصة بأن جلدنا أن صاحب القول لا يمكن معروفا بدافقه الكثير مع المؤسسين. انتهى هذه الشهادة على هذه السطور: "كانوا يشنون على الأقليات، مرتين والثلاثين حزق احتساب، التور، كلهم حرة، على مجرمين ملامتة الشعب، والمخزي جدا ما وعطش...")

أخرف ذات المسؤول أن هؤلاء، التغيير جلبوا الكثير من الفوائد لبلاده، ولكنه أشار إلى أنه في عصرنا هذا، تحدث جرائم ضد الأقليات. وعند الإسرائيلية، هذا السب قال له: "من أنهم أن يعرف ما حدث مع اليهوديسكيون لتسلح فكريا لكي لا تحدث مثل هذه القضايع مرة أخرى. واستشهد، بخمس حالات لتوضيح الكلام: "مثل خمسة ملايين يهودي على يد النازيين في أوروبا.

• في رومانيا، إيفانت الحكومة في سنة 1994 حوالي 30000 من عائلة التوتسي.

• في يوغوسلافيا السابقة راح المسلمون ضحايا التطهير العرقي على يد الطائفة الصربية فسكنت هذه القاتل من الأرماء.

• في فلسطين، وتحديدًا في قطاع غزة، هناك شعب آخر، يعاني من الخوف والظلم والتهجير، وهو شعبنا أحد آخر الجيوش في العالم.

• في مري لانكا، تريد الحكومة إزالة التماثل

في أروقة المؤامرات المخطط بينة الشابة في الفترة 1981-1984، وفي بعض المقامح من الصحافة الصاعدة في غرناطة، تعالت أصوات المتطرفين من أصول موريسكية يقول أن جددهم، حسب ما ورد في مقال، قد بلغ حوالي مليون شخص في المغرب الأقصى. وبعد، مقالًا بالشمسية أن تعزف السلطات الرسمية الأسبانية بالشمسية التي كان لموريسكيون صحتها، وأن يكون ذلك في تصريح رسمي مقالًا فعل من قبل الملك خوان كارلوس من الأول ملك إسبانيا في 31 مارس 1992، بشأن طرد اليهود من إسبانيا عام 1492، في تونس، تعالت أصوات أخرى، طالبت أهدا من ملك ومملكة إسبانيا إعلانًا يعترف بالشمسية التي عاشها الموريسكيون، ورحيلًا بلغة آخر الطرد. وكان المتحدث باسم هذه الأصوات الدكتور، الشعبي، وهو أستاذ في جامعة تونس، يرأس حاليا مركز للتحقيق بالشوات ويشير الكتب عن التوريسكيين، الأمر الذي يجعل من حلقة رحيل عامين ضمني القومسط.

لما محمد الإدانة إلى أن الرورينين أيضا يهودون في أفعالهم خلق ذلك العالم الذي عاشه التوريسكيون، وبالحق يسمعون في إعادته بحث الدكتور، كما فعل "كارمن بولور" Carmen Boulvard الذي يقوم ببطانة في غرناطة.

المسيحية والموريسكية، إلى تلك الغزوات وسقوطها، وفي الأحداث الكبرى التي صورت تلك الحقبة مثل معركة ليرنا<sup>28</sup>. ومن جانبها تنص "الريتا لاسال" Adrian Lasal، في روايتها الموسومة *Lucas el Morisco* (لوكا الموريسكي)<sup>29</sup>، «مغامرات بطل أمفلهما موريسكي من طبيلة في مناج تلك القلعة، وتلقى خطاه في رحلته موجهة إلى إسبانيا من ألقا إلى إشبيلية، ومن ثمة إلى ألبا الجديدة. ويرد لها "إليطونسو فلانكوس" "Idiomas Palancos" في قصته *Los muros de Fátima* (بداية فاطمة)<sup>30</sup> «مغامرات "عزرائيم" الممارس في سنة التصب السائد في زمانه، والذي يبحث من خلاله عن حل حياته بالتوفيق بين معتقدات دينية بعيدة. تبعد العام 2019، إحياء الشائكة الموريسكية من خلال العديد من المبادرات الثقافية، والمعارض والكتب والتدوين التي بلغ عددها التي عشرة لقوة. وهذه الجوانب العديدة من الاحتفال داعية إلى التكرير لثلاثة آلاف شخص جاثوا أساساً القلعة.

### المراجع

1. Anselmi Campos, « La expulsión de los moriscos en el espejo del tiempo », 32<sup>o</sup> Congreso Internacional d'estudiis morisco-andalusos (ar) Le 4<sup>e</sup> centenaire de l'expulsion des morisques (F'Andalousie) (1609-2009), Université de Tunis, 20-23 mai 2009, (actes sous presse).
2. Agustín Barredo, « La doble visión en España de los moriscos expulsados », a través de seis cuartas relaciones de sucesos de los años 1609-1624 », España y el mundo mediterráneo a través de las relaciones de sucesos (1500-1750), Actas de IV<sup>o</sup> Colloquio Internacional na les relacions de fets (Paris, 23-25 septembre 2004), Ed. Universitat de Salamanca, 2008, p. 271-286.
3. Santiago Talavera et Francisco J. Moreno, Juan Ripal y la expulsión de los moriscos de España, Zaragoza, Instituto « Fernando el Católico », Exc<sup>ma</sup> Diputación de Zaragoza, 2008.
4. Pour ceux qui souhaitent approfondir ce thème dans l'historiographie, nous recommandons, entre autres, la lecture de trois ouvrages fondamentaux : Mikel de Epáola, Los moriscos antes y después de la expulsión, Madrid, MAPFRE, 1992 ; Miguel Ángel de Bunes, Los moriscos en el primer imperio hispánico, Madrid, Cátedra, 1981 ; et María Luján Canher Chacón, Los moriscos en el espejo de tiempo, Huelva, Publicaciones Universidad de Huelva, 1998.
5. Henri Lajoye, Géographie de l'Espagne morisque, Paris, SEVPEN, 1959.
6. « تروكل الإقليم الثلاثة خلال القرون العشرة الأولى بعد الإسلام في الأندلس كما هو الحال في عهد هينرو موريسكي في "مغريبات" Pedro Fernández de Navarrete الذي زعم في كتابه أن السبب الأول لفساد إسبانيا من إسبانيا، أي أن القبيلة الإسلامية كانت مبعثرة على طرق أرواح القبيلة الكاثوليكية التي كان حكام في ملان وإشبيلية للسكان ومكونين بالقبيلة الجديدة. وفي القرن الثامن عشر ذهب علماء الاقتصاد والسياسة إلى "موريسكويس-إشبيلية" و"كوموناليس" Campesinos "Caharris" و"كرويل" Arroyal. وكذلك كراية Araya التي القبيلة في أوقات الموريسكيين لذلك تكرر على ما ذكره من الموريسكيين من طرف بالقبيلة إسبانيا.
7. Manuel Lomas Carrón, La expulsión de los moriscos del Reino de Aragón, Permis y administración de una deportación (1609-1611), Teruel, Centro de Estudios Madjari, 2018.
8. La expulsión de los moriscos, ensayo cultural, Valencia, Bancaja, 1908.
9. Talo Halperin Donghi (1980), Un conflicto nacional, Moriscos y cristianos viejos en Valencia.
10. Manuel Barrion Aguilera, La convivencia negada. Historia de los moriscos del Reino de Granada, Granada, editorial Cáceres, 2008.
11. Trevor J. Dadson, Los moriscos de Villavieja de los Ojos (siglos XV-XVIII). Historia de una minoría asimilada, expulsada y reintegrada, Madrid, Iberoamericana-Peterart, 2007.
12. Francisco J. Moreno Díaz, Los moriscos de la Mancha, Sociedad, economía y modos de la vida de una minoría en la Castilla moderna, Madrid, CSC, 2009.

- Manuel Barrion Aguilera et Mercedes García Arnaiz (ed.), (La historia inventada? Los 12  
Dios pluriberos y el legado sacrosanctario. Granada, El legado andalusí, 2008.
- Il s'agit d'écrire en espagnol mais en caractères arabes. 15
- Luis López Barón, La literatura secreta de los dioses musulmanes de España. Madrid, 14  
editorial Trotta, 2008.
1. Manuel Barrion Aguilera et Mercedes García Arnaiz (ed.), Los planes del Sacramento. 15  
Innovación y temas, Universitat de València, Universidad de Granada, Universidad de Zaragoza  
2004.
- Bernard Vincent, El río marabú, Universitat de València, Universidad de Granada, 16  
Universidad de Zaragoza, 2004.
- Manuel Durvill y Ceballos, La expulsión de los moriscos españoles, edición de Rafael 16  
Bentaz Sánchez-Blanco, Granada, 2007.
- Juho Halpurni Dongle, Un conflicto racial: moriscos y cristianos viejos en Valencia, 16  
Universitat de València, Universidad de Granada, Universidad de Zaragoza, 2008 (1<sup>er</sup> ed. Valenc.  
1980).
- من هو هذا لا يمكن ان نعلم انه جماعة واحدة، ولا ثمة رجل واحد.
- Antonio Domínguez Ortiz et Bernard Vincent, Historia de los moriscos. Vida y tragedia de 16  
una minoría, Madrid, Biblioteca de la Revista de Occidente, 1978.
- Ibid., p. 160. « Aunque conocemos ya las líneas generales de proceso de la expulsión, hay 17  
necesita mucho que investigar en el plano local, debería multiplicarse las monografías para  
estudiar las modalidades que revistió en cada pueblo. Los contrastes son grandes ».
- Rafael Carrasco, Deportados en nombre de Dios. La expulsión de los moriscos: ensayo 18  
centenario de una ignorancia, Barcelona, Destino, 2008.
- Ibid., p. 370 « La expulsión fue la sanción de la rebeldía, la insurrección y la infidelidad al 19  
parado ».
- Francisco Márquez Villanueva, El problema morisco (desde otras laderas), Madrid, 20  
Libanías, 1991, p. 1-0 : « Pero y simple genocidio que es el verdadero sentido de aquel «expulsión»  
"expulsión" de moral tan decente y que seamos ojalá con antelación inocencia. En medio de  
tanto refinamiento y de tanta identificación con los criterios oficiales, se puede de vivir la liquidación  
de un pueblo y de una cultura legítima ».
- but ce point, voir en particulier l'ouvrage de Juan Vernet, La cultura hispanomusulmana 21  
Oriente y Occidente, Barcelona, Anis, 1978 et celui de Luis López-Barón, Poemas del Islam en la  
literatura española, De Juan Ruiz a Juan Cepeda, Madrid, Espicón, 1985.
- Henry Karim, Los desahuciados, España y la huella del exilio, Madrid, Aguilar, 2007. 22  
(traduit de l'anglais).
- Juan Canal (ed.), Exilios. Los desahucios políticos en España, siglos XV-XIX, Madrid, Sílex, 23  
2007.
- Juan Bautista Vilas, La España del exilio. Los emigrados políticos españoles en los 24  
siglos XIX y XX, Madrid, Sílex, 2006.
- La Aventura de la Historia, n° 116, juin 2008, p. 35-61. 25
- Rene Guénon, Le sens éternel, Paris, Grasset, 1976, p. 30. 26
- Ibid., p. 26. 27
- Carmen Bustillos, La otra mano de Leguía, México, Fondo de Cultura Económica, 2005. 28
- Adrián Arriagada De Lencel, Luzes et mariscos, o el destino de un manuscrito olvidado. 29  
Obras del Rey (Tolosa, editorial Aguas, 2004.
- Bárbora Falcones, Llamado de Silem, Barcelona, Grijalbo, 2009. 30

## الجزائر والمفارقة الفرنسية خلال العهد الفرنسي

أ. - مفارقة الجزائر

جامعة سطيف - سطيف - الجزائر

كانت الخريطة السياسية لشبه الجزيرة الأيبيرية في القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع الهجري) تتألف من عدة كيانات سياسية، تشكلت في مملكة قشتالة، ومملكة أراغون، ومملكة النصار، ومملكة البرتغال، وهي كانت مسيحية، وإلى جانبها مملكة غرناطة الإسلامية. مع الوقت، أن هذه الممالك المسيحية، كانت تزعج في التوسيع والانتشار خارج حدودها من شبه الجزيرة الأيبيرية، وذلك ما نراه في سعي البرتغاليين إلى اكتشاف المحيط الأطلسي، والسيطرة على السواحل الغربية لإفريقيا، وتحقيق الأرباح من وسط سيطرته على جزء كبير من غرب البحر الأبيض المتوسط، والسيطرة على أغلب جزر، وأما مملكة النصار الصغيرة، فلم يكن لها شأن يذكر. في أواخر قشتالة، كانت فرنسا حصة حروب داخلية، وفي سنة 1469م أو 1474م، تزوج فرديناند ملك أراغون، وإيزابيلا، مملكة قشتالة، وبهذا الزواج توحدت المملكتان في الأهداف والسياسات، أو توسعت دائرة المحيط الإسباني، وذلك بالطبع، على مملكة غرناطة الإسلامية، وبخروجها من البحر الأبيض المتوسط بوسط القوة على شماله.

### أ - مفارقة الجزائر السياسية والمفارقة الفرنسية

إن تزوج فرديناند وإيزابيلا قد فتح باب التفكير من الممالك الثلاث<sup>(1)</sup> (قشتالة، أراغون، البرتغال) على صلاتهم مع جزر مداليك، سلطو هناك تكون مقترحات، رغم أن إيزابيلا كانت إلى توحيده مملكتي قشتالة وأراغون في دولة واحدة، وأما مملكة أراغون استمر حتى تنكح مع ابنها من جزر البحر الأبيض المتوسط، وهي بطانيا، التي كانت محكومة من قبل ديوغاسين، وبمباين لوي، الذي كان يربط بينا كانت مملكتها قشتالة - التي يسيطر عليها إيزابيلا - عند كبريت - بقرابانية أكثر صرامة، ولم تكن سلط غرناطة - آخر مملكة في شبه الجزيرة - على مدارج قشتالة، رغم أن عدم انقياد جزر طارف إلى مبالغ جديدة للنشاط العسكري، وقد أرسلت إيزابيلا جاسوسا ليخبر عن ما يجري في شمال إفريقيا، فكان تقريره، قال: "إن كل البلاد في حالة يسم أن الله أراد أن يمنحها لأصبح الخلافة"<sup>(2)</sup>.



و يعود أصول الفروقة الإسلامية بالروح التي لم يبد فرديتها ولزومها سنة 1444م. وبعد الفشل على الحرب قلعا إسلاميا بخرائط عام 1457م. و انهاء الحرب الطارئة المنطقة سنة 1512م. وعلى الرغم من فشل حرب الفروقة الإسلامية بخرائط الفشل، ومن جراء ذلك تولدت أسطورة إسلاميا (الأسطورة)<sup>(14)</sup>.

و هكذا، أصبح لنا قضية ثم حدة الإسلامية الجديدة على الآخر الواقع في عهد الدولة العثمانية، حيث جعلت من دور أهدافها إخراج العرب المسلمين من الأملاك، من أراضيهم، و حروب آخر معقل من معقلهم تحت يد ذلك إلى ثم جعلت من أرمو<sup>(15)</sup>، كذا في أسطورة حثها ثم جعلت التي كانت ثمرة من الأساطير<sup>(16)</sup>.

و يرى أحمد توفيق لطفى، أن إسلاميا الجديدة لم تولد ظهور سنة 1474م<sup>(17)</sup>. بل كانت موجودة حيث يصور في عصر من المسلمين بعد سقوط مملوكة ثم مملوكة والفتنة العام الجديد سنة 1482م<sup>(18)</sup>. و من الجوانب مملوكة حتى ثم جعلت في أصول البنية والفكر، من ثمرة السلام، و الإجماع<sup>(19)</sup>.

و هذا كان الأمر، فإن فرديتها ولزومها اختار قلب الفلكون (القام بتركين) ثم هذا ما يفسر معنى التصيب السليم و فرقة الجديدة في عهدها لا يصير المسلمين، و لهذا حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الآسيوية. و كانت هذا من ثم ثم تولدت الإسلامية و الترخيبا من مؤلفين ثم إنهم خلال القرن الخامس عشر و طوال القرن السادس عشر، في إطار الحرب العثمانية الجديدة على (الأسطورة) من ناحية، و من ناحية أخرى (الكام بتركين)<sup>(20)</sup>.



و كان لابد من اعتراف هؤلاء المفكرين القلائد من حقيقة التواجد الإسلامي من شبه الجزيرة الأيبيرية ذلك انهم لم يلقوا من القرون، اليها المقلدون ثم هذا الإيديولوجيا<sup>(16)</sup>، وقد أطلق الألبان كلمة موريسكي عن المسلمين الذين فرض عليهم التمسك الإيديولوجيا، و كلمة (Moros) أي المسلمين للأندلس، أطلقها الإسبان عن سكان ليون في وقتها، و بالخصوص عن أهل مكان منطقة من منطقة القشتالية<sup>(17)</sup>، و أطلق معظم الدراسات التاريخية على أهل منطقة موريسكو (Moriscos)، و بعد سقوط قرطبة كدلالة على التمسك القوي و على أن المسيحية حلتها المسيحيون الجدد، لكن الباحث سيمون الخليلك يرى أن الظاهر و زائد سنة 1492م<sup>(18)</sup>.

و ذهب الباحث الفرنسية إيلينا مومبيلا (Y. Hervani) إلى أن التاريخ الموريسكي يتأرجح بين طوطم قرطاجنة و بداية حركة الأندلس، حيث أن حجة خيلدا فيلر سيمون (Madeliers)<sup>(19)</sup>، و كلمة موريسكي إلى ذلك، مماثلت معاهم القشتالي، و التي أخذت الموريسكيين بالمسيحيين الجدد (Cristianos nuevos de) (20)، و هذا مجال القرن السادس عشر<sup>(21)</sup>، و ذلك عند الخروج الإسباني من ليون (Al. de Espinosa) و هو 1502م إلى الأندلس الجديد، و الأندلسي المسلمين من و بها ظهر القشتالي الإسباني، و تشمل الترميز التالية: - من مكة المندرجين قبل التمسك القسري 1502-1512م، - المرحلة التي يسبقها، و التي أعاد فيها التمسك معبر إلى مسيحية روية حيث أنهم رجعوا الكنيسة و المرافقة (Moriscos de origen).

<sup>(16)</sup> مرحلة المولد الجديد: 1492-1514م، هي مرحلة حركة الاندلسيين إلى بلاد الإسلام<sup>(18)</sup>.  
<sup>(17)</sup> مرجع أولي مورد على استعمال مصطلح الموريسكيين كدلالة تاريخية للتحريف، بأمر إسباني للأندلس في القرن السادس عشر، الذين فرض عليهم التمسك القسري ما بين 1492-1502م، و على اختلافه حتى عمليات القرد النهائي 1502م.

و يعتقد الكرخ الفرنسي لوي كاريل (L. Carillat) أن مصطلح المريك ظهر بهذا الشكل حوالي سنة 1550م. بينما قال المستشرقين الذين مكثوا بشدة المروا بعد سقوط غرناطة، و الذي ألقوا على مصطلح الدين المسيحي التامونكي<sup>(19)</sup>. وسعت إسبانيا إلى فرض الطهنة النصرانية على المسلمين، و هذا ما يقدر لعدة أجيال بحاكم القشتل و ملوحة الموريسكو.

وقد ياركت الكنيسة بزمعها خارج ملوك إسبانيا، وهذا من خلال المساعدات الأسرار البنية التي تقدمها إليها

**الكسندر السبسي (ALEXANDRE VII) (1661-1667) -** يلقي الترميز في التاريخ في 15 مايو 1667

يضع الكنيسة الكنسية - و الشقة في الدعم المالي والروحي للملاكين الكاثوليك، حياته في البداية جميع الفلاسفة

المسحية إلى دعم إسبانيا و دفع الكنيسة كل خمس سنوات وتسمى بـ **(La Cruzada)**، وهي عبارة عن

مبادرات مالية تقدم إلى كنيسة الكاثوليك، لتحويل مشاريع الخطة الكنسية، وتسهيل عملية القضاء على

الهرطقة الإسلامية بالآلاف، و استبدال هؤلاء المسلمين الثقافية والدينية، إلى ملاحقتهم إلى نهاية القرن في إطار

الهرع القائم بين الفلاح والصلب (20)

المجلد ١٠ - العدد ١ - ٢٠١٧

هذه لنا القرب الإسلامي في نهاية القرن الخامس عشر، حالة السياسة والعسكرية المحطة، وبعيدته الاقتصادية القوية، في انتظارنا لأحداث تاريخ المحطة - بعد انهيار دولة الموحدين 1193 / 1240 - بين أساسه العلاقات السياسية القوية عليه والسفر في جميع بلدان.

و كانت منطقة المغرب في بداية القرن السادس عشر تقاسمها تقريبا ثلاث دول هي مروج الوطاسيين في المغرب الأقصى، و هو إيفاد في المغرب الأوسط و حاميتهم النصارى، و هو حصن التي كانت قاعدة سلطانهم مدينة تونس، و تضم كلا من الجزء الشرقي من المغرب الأوسط و الغربية حتى إقليم طرابلس. وكان المغرب الأوسط في أغلب الأحيان مسرح صراع على النفوذ بين القوى السياسية الحاكمة في التطوين المايورين، و نظرا لضعف بعض سلطات مركزية، مما جعله مسرحا لنزوح القبائل، وكان من جراء هذا النزوح أن أصبح المغرب الأوسط وحدة تشاورية

و تصارع عليه عدة كيانات صغيرة، فأخضت في ذلك الأمراء واستهلكت الحروب جزءاً كبيراً من ثروة البلاد التي أدت إلى عدم الاستقرار<sup>(21)</sup>.

ومن هذا المشهد السياسي لمتطامن العناصر المحلية:

- ليس هناك دولة مركزية موحدة قوية و معترف بها في المغرب العربي.

- غياب شبه كلي للتصالح عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين ولحقبتهم لتتراجع توسيعاً.

- بروز التجارة الشرقية و اللوريسكيين، الذين اعتدوا قوافل بحرية جديدة في القضاء الجغرافي للبحر الأبيض.

للموسم المغربي في بداية القرن السادس عشر، و هو الأمر الذي مكنتها من محاربة إسبانيا و منبذ المساعدة

للأندلسيين داخل إسبانيا، و من هذا النطلق وطعت المملكة الإسبانية آلية احتواء و احتلال السواحل و موانئ المغرب الأوسط<sup>(22)</sup>.

و قد كانت خطة إسبانيا بعد - سقوط مملكة قشتالة عام 1462م - قائمة على طرد سواحل شمال أفريقيا،

و تصفية النفوذ الإسلامي بآليات من شبه الجزيرة الأيبيرية. قد أسفر هذا الانتصار الذي حققه الملكان السحبان ضد

المسلمين، إلى اقتعاش الروح الصليبية من جديد، و نصب الأندلسيين الذين انتقلوا إلى موانئ شمال أفريقيا، لإسبانيا

بدأت بترتكب خطايا على سواحل المغرب الأوسط، فأخذت مياه المرسى الكبير و 9113هـ / 1507م، ثم أخذت

تطال التحصينات الإسبانية بأمسح ضد 1508م. حين تولى القائد الأساطيل الملكي، بيدرو نافارو (Pedro Navarre)،

الذي تمكن من احتلال دهران 9121هـ / 1508م، ثم بجاية 9113هـ / 1512م، و تحت هذا الضغط الإسباني،

اصططت موانئ "طلس" و "الغزوات" إلى دفع جزيرة لإسبانيا، لأن الشياطين أقيموا حصارهم في حماية هذه الموانئ، نتيجة

لضعفك السياسي الذي أصاب دولتهم، و التفرقات الداخلية التي تسببت فيهم فراء فعل عن فكرة الصراخ التي

فر عبرها في تلك الفترة على الأهالي، بعبء الغزو الخارجي.

و اصططت السلطات الزيدانية إلى عقد صلح مع إسبانيا سنة 1512م. اضطرت فيه باستيلاء إسبانيا على عدة

موانئ في غرب الجزائر<sup>(23)</sup>. و بسبب ضعف المملكة الشيدانية، استولى الأسبان على تونس و قلعة البون (الصخرة)،

و مستغاثم. و كان سقوط الرمي الكبير و وهران، عبارة عن طلبة تلمذة، و في بعد تجار الهندية يبيعون وهران اكويما حيلة بالخير و الإسيان، فطلب منهم أهل التلمذة أن يأثروا إلى حين<sup>[24]</sup>.

و هكذا، و صعدت إسيانها نفسها موضح قدم في شمال أفريقيا، كانت عبارة عن طلبة ارتكاز إسيانها معزلة للدفاع عن سواحلها الخاصة، كما شهدت سلسلة من التلاحق على طول ساحل الشمال الأثري، و عادت التلاحق و الحصون الإسيانية في حالة حصار طوال فترة الاحتلال، و كانت حياة التلمذة شاقة و بالغ الأثر بالحد منها جعلهم يفكرون في أن يعودوا إلى معزلة<sup>[25]</sup>.

و نظرا لضعف و التلمذة الذي شهدته العرب الأوس، ساعد على إصباح المجال للفكر الداخلي و فتح الباب للهجمات الخارجية و الغارات الإسيانية و في مقابل هذا التشنج، وقعت إسيانها بعدما استعصمت و وحدتها - عززها القوى الروحية التي منحها إيها الشريعة أمام العالم المسيحي عندما باركت مشارعتها الفصيلة - فعزل من أجل حل الخلافات التي كانت قائمة بينها وبين ملكة البرتغال، و لقد كانت المساعي الباقية بالحاج حيث أرمست الصلح بين الدولتين سنة 1498م. ثم بقطعة تقسيم العالم عبر الأوروبي إلى منطقتي تقوى بينهما، و كان العرب الأوسط في هذه الفترة من نصيب الأسيان.

عني على هذه الظروف السياسية و النفسية، حدثت تلك الهجرة التاريخية لسكان مدينة الجزائر، التي صوف تغير وجه المنطقة، و التي تدل في دعوا خروج الفلاحين حركتها الجهادية انطلاقا من مدينة الجزائر.

### 3- إحياء الحياة و النفسية الجزائرية

أرسل سالم التومي<sup>[26]</sup> داسو مجلس أهالي مدينة الجزائر<sup>[27]</sup>، و سوله إلى مدينة صيقل، طالبا المساعدة من خروج و آخره خير المصير على التخلص من مدينة الجزائر من الأسيان، فعلى الطلبة و جهه الأعران حركي ثلاثة آلاف من رجال القبائل، و جهوا لإخماد مدينة الجزائر تحت قيادة خروج، و فكفروا من دخول المدينة، و عندما أدركت صيقل من موعده، سالم بن التومي، أن عهد التسوية قد ولى، بدأ في خلق المصاعب أمام خروج، كما أدى إلى القطيعة بين الرجلين، فكللت التسوية بإعدام سالم التومي و التخلص من مؤثراته<sup>[28]</sup>.

- ١- بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، انحلت دار الخلافة وانشطت المماليك وانشطت المماليك وانشطت المماليك في بلاد الشام.
- ٢- إحداهن كانت تنطلق من بلاد الشام ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.
- ٣- تنطلق المماليك العسكرية، ووجهها إلى بلاد الشام ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.
- ٤- توسيع حدودها ووجهها إلى بلاد الشام ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.
- ٥- تقسيم الأراضي التي تحت سيطرتها إلى مناطق شرقية وغربية، فالغربية كانت تحت سيطرتها المماليك، وكان يديرها يديها.
- ٦- التمسك بالتي كانت تحت سيطرتها المماليك، وكان يديرها يديها.
- ٧- إنشاء نظام المماليك بدمشق ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٨- استطاع مخرج من مصر مخرج من مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٩- حاول المماليك (١٢١٤-١٢١٥) أن يذهب من الشام ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٠- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١١- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٢- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٣- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٤- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٥- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٦- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٧- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٨- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

١٩- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٢٠- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٢١- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٢٢- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٢٣- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

٢٤- استطاع ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر ووجهها إلى مصر.

إن هؤلاء اللاهوتيين كانوا يشيدون بمخالفات غير الدين، على أنه يعكس مساهمة يمكن أن يكون ذلك يوم جيلنا تعود إلى إسبانيا نفسها<sup>(37)</sup>.

إن الصراع الذي خلفه غير الدين قد أفسد سمعة ومهابة لدى الجزائريين والورسكيين الأتراك من حيث سواد أما السultan سليمان القانوني 1520-1566م الذي حصل بلامتنا شكوكي من الورسكيين، فقد سارع بإرسال فرقة إلى بحر القزوين بأمره بالتوصل إلى سلطان الدولة الروسية ومناقشة موضوع إنشاء أنطون عيني و إسكافية تدخل الدولة العثمانية في الحرب البحر الأبيض المتوسط<sup>(38)</sup>.

و ترك السultan سليمان القانوني جندا عثماني و أهداف السياسة الإسلامية في العرب العرب و وضع الورسكيين، و دعوى العمل على تقوية التواجد العثماني في البحر المتوسط العربي، و هذا وفقا للإرادة السيادة العسكرية التي يسعى غير الدين إلى تنفيذها و تحقيقها. و قد ساهم السultan سليمان في غير الدين لتسحب تراجع 8 مايو 1528م. حثا و صرخا و أيضا كعلامات تشجيعية و استجابة لهذه الرقعة القادت هذه القرارات منها: منح غير الدين لقب "بيروني" ثم بعد ذلك لقب "كبركان خان" أي أمير البحرية العثمانية<sup>(39)</sup>. عندما دعا السultan العثماني غير الدين إلى اصطافيون سنة 1535م كان السؤال المطروح هو: هل ستحدث حرب في البحر الأبيض المتوسط بين الدولتين العثمانية و الإسبانية؟ و هل يمكن العثمانيون من تحقيق الأبراطورية الإسلامية؟ و هل يمكن لفرقة إسلامية أن تسعيد الأتراك و تصحيح النظام التي كبدتها الورسكيون الأتراك<sup>(40)</sup>.

و انطلاقا من سنة 1520م، جندوا أنشطتهم الحربية والسلطة العثمانية، بشكلها أن يمتد من حدود الإمبراطورية العثمانية إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط.

و بعد استرجاع قلعة البون سنة 1528م، من يد الأسبانية - و هو الأمر الذي كان وراء إفساد الوحدة السياسية و الإدارية لأمانة الجزائر العثمانية<sup>(41)</sup>، و النفقة المركزية في الصراع بين الدولتين العثمانية و الإسبانية - أصبح يطلق على دولة الجزائر اسم أسرح المروبية، و معناها بالكتابة الخطية في أطراف الغرب المتوسطي للدولة العثمانية<sup>(42)</sup>.









## اهتمام الاسترقي الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري

د. زين عنو بلديات

جامعة سيدي بلعباس

جاءت رحلة الباي محمد الكبير<sup>(1)</sup> إلى جنوب الغرب الجزائري، في كتابه، بخط مغربي، أعده الباش دقتر دار في بلاط الباي المذكور بمدينة معسكر أثناء فترة حكمه من 1776 إلى 1797، المسمى أحمد بن هلال التلمساني<sup>(2)</sup>. وتم تقليد أوراق الكتاب خلال فترة الرحلة الممتدة من يوم الخروج من معسكر يوم الخميس 09 ربيع الأول 1118 هـ/ 19 يناير 1765 م إلى يوم الرجوع يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني 1119 هـ/ 10 مارس 1785 م.

### أولا- مضمون الرحلة:

استهل الأديب والفقيه أحمد بن هلال التلمساني، رحلته بحمد الله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وحلى آله وصحبه. وقد اختار تمهيدا حالج النقاط الأتية:

- في فضل علم التاريخ

- غرض أحمد بن هلال من تقليد الرحلة، وقد أوجزه في رغبته لخدمة الباي محمد الكبير عبر إلقاء ذات الوقت خصاله وصفاته.

- موضوع الرحلة وزمانها.

- مواقع رحلة الباي محمد الكبير.

ثم شرع في تقليد مستجدات الرحلة من يوم الخروج إلى يوم العودة إلى معسكر، عاصمة بايليك الغرب وتلك، ويمكن لنا إعادة صياغتها بطريقة مبسطة ومسترسلة، وبمنهجية تعتمد التركيز على الحملة العسكرية التي قادها الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري، فكان كالآتي:

ذكر أحمد بن هلال التلمساني أن الباي محمد بن عثمان قد رأى جهة القبلة (الجنوب) ذات بندان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة، إلا أنها لم تنلها أيدي السلطة، ولم يكن منها تلك مصلحة ولا منفعة معينة<sup>(3)</sup>. إلا أننا صادفنا له سبق لباي التيزي، ونعتقد أنه مصطفى الوزاني<sup>(4)</sup>، قد خزا قاتل جنوب لقصاص العليا الخاصة إداريا لبائليكه، لكنه رجع حائيا إذ توقف سيره عند بلدة "زنية". فقد طرده أهلها وقتلوا له رجلين، فعزم الباي محمد الكبير

على مناجزة عليه القبائل المستقلة، ووعد الداي محمد عثمان باشا بمعاقبة المستعدين شرقة أن تخضع أراضيهم لحكمه مستقبلا لا لحكم باي البكري (5).

لما كان موافقة الداي، جمع القبائل البخرانية، الموزعة إلى غزن شرقي بضم لكاحلية، أولاد ميدي عربي، صبيح، أولاد العباس، وغيرهم، وغزن غربي بضم الزمالة، الدوايز، الغربية والبرجية، وأردف إلى ذلك الطائفة الانكشارية، وشيخه البخارانية لتخليص الدفع المعلوم الذي يحميه للقبائل، والخدم والوالي، وكبراء ديوانه وفي مقدمتهم خليفة على الكرسي "محمد بن عبدالله" وخليفته على القطاع الشرقي لليباليك الغربي، ولده "عثمان"، وكتابه الرئيسي "أحمد بن هلال التمسائي" الذي قيد هذه الغزوة.

أعطى من خلال سيرة جنود الباي في هذه الغزوة، أنه أوساهم بقتل من تعرض لهم بالسلاح، وبهجم إلى عدم التعرض للنساء، ولا يؤخذ شيء من لباسهن صونا لحرمتهم، وكذا الرقب بالشيوخ والصبيان، وترك الكهول والشبان والأعيان قيد الأسر حتى ينظر في أمرهم بمصلحته، كما أعلمهم بأن الغنائم هي ملك لهم، حتى يجزئهم على إخضاع هذه القبائل المستقلة (6). وقبل الانطلاق، يظهر أنه وضع خطة تحرك عسكري تقوم على أن يترقى الجيش عند موضع يسمى "دير الكاف"، فيبعد قسم بالوضع بقيادة ولده عثمان، ويواصل قسم بقيادة الباي محمد الكبير، السير نحو الهدف، على أن يلتقيا عند موضع يسمى "الخبر". والغرض من هذا التكتيك العسكري، حماية ظهر كتائب الباي الذي كان يقدم أمامه طلائع استكشافية قبل الإغارة على موضع ما، وما يلاحظ في مسيرة هذه الغزوة أن هناك صفين من القبائل:

صف أول، أعلن طاعته لحكم الباي دون حصار أو قتال، قدم الفيل الذي يؤخذ بالاتفاق (7). ويمثل هذا الصف، أهل أنقاد (أنجاد) الذين أمدوا الباي محمد الكبير بالشعير لعلف الدواب، وبالإبل لحمل الراد والعلف، لمرفقها على اشغون والانكشاريين بقيمة يومه (8). ويتدرج أيضا ضمن هذا الصف قبائل الأحرار الغربية الذين قدموا له بحيلهم وخسائره على قربة على الحمل مقابل الأمان. وأخيرا قبائل تاجوت (تاج الموت)، وعين ماضي (9)، حيث استقبلت هاتان القبيلتان عند نزوله بالهدايا، إثر سماعها بإغارة خليفة محمد بن عبد الله، على بلدة "إلينة"، ودفعت له حينئذ الدراهم والصياغة والثياب والخيل، وتعهدت له كلا القبيلتين بدفع اللزعة سنوية (10).

لأنه حوذة الباي محمد الكبير من غزوته للأقواط، استقبله أهل تاجوت، ودفعوا له ثلاثين حلا من العلف، ولما نزل بموضع يقال له "أمساج" أو "أمساج"، بين تاجوت وعين ماضي، وقع البيع والشراء بين التاجوتيين وجنود الباي، فقد اشترى أهل تاجوت من المخزون، الغنم بقية رمال يوجد واحد لكل ثمانية رؤوس غنم، والبطر، على أربعة

دؤوس بربال بوجو واحد، ومع ذلك لم يدفعوا له دينارا ولا درهما، وإنما دفعوا لهم البرابيس لانتقاء البرد، والحيات<sup>(11)</sup>. ونصر أول (أقل) قدم على الباي محمد الكبير، أولاد صالح وأولاد يعقوب الساكنون ناحية الجنوب، وأولاد يعقوب الغربية أي الساكنون نحو الغرب، وغيرهم، طالبين الأمان، فجعل على كل قبيلة لزما<sup>(12)</sup> معلومة من الأبل والحبل، وأنتهم وكناسهم<sup>(13)</sup>.

وبموضع "الحير" ذو المياه الوفيرة والمزارع الواسعة، قدم أيضا على الباي محمد الكبير أحيان قبائل الأحرار الشرقية (أي المستقرون ناحية الشرق) بالأبل والحبل التي اشترطها عليهم، فعفا عنهم، وما عجزوا عن دفعه، فوطئوه بعد موافقة الباي، بالدرهم أو العيد على أساس أن كل حد يعادل ثلاثة جمال، وبالتالي تسمى للباي محمد الكبير. تعويض ما قلده جيشه من أبل بفعل البرودة الشديدة والتلح علما أن الغزوة تمت في فصل الشتاء من يناير إلى مارس 1785 م<sup>(14)</sup>. أما النصف الثاني، فيشتمل على القبائل التي خضعت لحكم الباي محمد الكبير بعد حصار أو إغارة أو كلاهما معا، وقد تؤخذ منها الغنيمة التي لا تؤخذ إلا بقتال، ونذكر ذلك كما يلي: «الإغارة على قبيلة "حلي حنق" للتح: تسكن أكثرية هذه القبيلة بالجبل وقتلتها في راديه، ومن خلال ما ذكره ابن هطال التمساني، نلاحظ أن الباي محمد الكبير، كان على دراية مسبقة بتوزيع أفراد هذه القبيلة العاصية، لأنه وبمخ، وزجر طلائعه الاستكشافية عندما أخذوا التمر من السكان بالجبل».

لقد تفرق الجنود على الوادي والجبل معا، وأغار الباي محمد الكبير على المستقرين بالجبل الذين لاذوا بالفرار وتركوا أرزاقهم وذريتهم وعيالهم، أما الذين بقوا، فقد حوصروا حتى غنمت خيامهم وأمتعتهم وألبسهم المشددة بألف رجل وما يفوق أربعة آلاف شاة حسب ابن هطال<sup>(15)</sup>.

«الإغارة على بلدي "الحضراء" و"ناوية (ناوالة)": تشتهر هاتان البلدتان بساتينها الكثيرة، ومائها الغزير ومزارعها الواسعة، ولما سمع أهلها بقدوم جيش الباي، تفرقوا في الجبال ويطول الأودية، وتركوا أرزاقهم، فكانت غنائم انتزع منها الجرش».

«الإغارة على بلدة "تاسمان" ونصر أول: غنم جيش الباي محمد الكبير حبوب وخيل وإبل هذين اللذين اللذين بعد أن وجد أهلها قد لاذوا بالفرار إثر سماعهم بتأهب لغزوهم».

«الإغارة على أحراب "القعدة": تتميز القعدة بصعوبة تضاريسها، حاصرها الباي محمد الكبير بفرسانه ومقاتل من كل جهة، وحصار أهلها في خناق شديد، يتخيرون القتل أو الأسر، وقد غنم اختون الخيام والأنعام، وغرقت أعيان القعدة لمصلحة الباي محمد الكبير على إعطائه أربع مائة رأس من البقر ومائة جمل من الشعر، وعدة من الخيول».

الإغارة على بلدة "زينة": كان للباي محمدا الكبير يتربأ أخبار هذه البلدة من موضع مجاور يسمى "الديداب" لأن سكانها أعراب ذوو عزة نفس وعدة، سبق لهم أن طردوا باي التتري عند نزوله عليهم وقتلوا له رجلين فكلف خليفته محمد بن عبد الله بنزولهم، لكنه وجدهم قد فروا تاركين أمتعتهم وقوتهم م فرح وشعر وسمن وغيره، التي أخذها الجنود خاصة الشعر من أجل تقديمها علما لذوابهم (16).

\* الإغارة على "عين ماضي": مر الباي محمدا الكبير بعين ماضي أثناء سيره إلى بني الأغواط، فقدم له أهلها الطاعة مثالي الأمان، ثم بلغه بعد ذلك أنهم نقضوا الطاعة، فغزاهم، فقاتلوه قتالا شديدا حتى نزل الرصاص ووقع جيش الباي في ضائقة حربية حتى أنه التحد من مدينة الجزائر، وكانت عبارة عن قافلة من البغال، تحمل صناديق من الرصاص، ففرقه على حدة، وعند غروب الشمس، سيطر الباي محمد الكبير على عين ماضي وأخضعهم لحكمه وألزموا له بالبقاء له كل سنة (17).

وبعد رجوع الباي من الأغواط، خفف عليهم اللزمة لعجزهم عن إقامتها، وتكرم على كل امرأة بسور فضة، ثم أصبحت عين ماضي محل نزول حملة عين (18) بن الباي محمد الكبير سنة 1787م (19).

\* الإغارة على "الأغواط": سارت الأغواط من مصالح الباي محمد الكبير إلى هجرته فجأة شأنها شأن عين ماضي، ففي البداية قدم مشائخها ومعلمائها على الباي عند نزوله "أئم الصلوح" حاملين صحيح البخاري طالبين منه الأمان مقابل إعطائه مائة غلام وخمسة آلاف سلطاني ومائة ثوب وأربعة أفراس من غنق الخيل، فأمنهم وكساهم.

ولما انصرفوا لشكر الباي محمد الكبير أمر اللزمة التي لم يمددها لهم، فبعث وفدا خزيا، ليبلغهم أن الباي يشترط عليهم تعهدا بدفع اللزمة في كل سنة، فرفض بنو الأغواط ذلك وهددوا الوفد الخزري وعجلوه بالانصراف. اشتغل الأغواطيون بتحصين مدينتهم وتعبئة الأعراب المجاورين لهم، الذين استجابوا لذلك، وقام الأمان بتوزيع المقاتلين، فبنوا الرماة في الأبراج العالية، وأغلقوا أبواب المدينة بالحجارة، وجددوا بناء المواضع للرماة وحصنها حتى يستعصي على الباي اغترافها (20).

وبعد أن تبين للباي محمد الكبير عصبان بنو الأغواط، تحرك إليهم بجيشه وعان المدينة من الجبل الذي يحيط بها غربا وشرقا، فلاحظ أن المدينة محصنة ومحاطة بسلاطين وأبراج، وأسوارها متخالفة وبعضها خلف بعض، فحسب نفسها بقصصها من الجبل بأربعة مداخل ثم وضع خطته العسكرية كالآتي:

-كثف الحشم والموالي الذين اصطحبهم معه بتهديم حيطان المدينة والقوس، حائطاً بعد حائط ليتمكن الجنود من التسلل إلى المدينة.

-عين الجنود الانكشاريين باسبيل، وعين المحزن الغربي بوادي الجبل في جنوب المدينة.

-نصب المدافع في الجهة الغربية للمدينة مقابل بابها.

-عين محزن الشرق في الجهة الشمالية للمدينة.

-عين محزن الدوائر في شرق المدينة ليكرونا عندئذ على يسار المدافع.

وبهذه الكيفية، تم تطويق المدينة من الجبل والوادي، ومن الجهات الأربع، وشرع للموالي والحشم في عملهم ولكنوا من تدهيم ما يزيد عن خمسين حائطاً، ووقع الضجيج على المدينة ليأمر الباي بالرجوع حذراً من الوقوع في فخ الأغواصين واعتباراً لجهل جيشه بقلوات وحيايا المدينة<sup>(21)</sup>.

لقد توقفت القتال بأمر من الباي محمد الكبير، وكتب أحمد بن هطال التلمساني أن الأغواطين وحلفاءهم خسروا ما يزيد عن ستين رجلاً بين قتيل وجريح، وأحد عشر أسيراً، لكنه لم يذكر خسائر جيش الباي. وما حيب أمال الأغواطين في مواصلة التصدي للباي، تفرق الأعراب الحلفاء ورجع كل عرش إلى أرضه ليلاً. وبالتالي نلاحظ أن جيش الباي محمد الكبير لم يضبط حركة الانصراف والاستحباب من مدينة الأغواط ما يدل على خبرة الأعراب بخبايا الأرض وجهل الباي لها، أو أنه تعمد تركهم ينسحبون حتى تضعف مقاومة الأغواطين.

وبلغ حلم الباي محمد الكبير في هذه الغزوة أن أراد مقاتلة الأغواطين مجلداً بعد إخراج العلماء منها، مما يفسر تقديره حملة العلم، لكن بعد وصاية أخليفة محمد بن عبد الله لدى الباي، عفا هذا الأخير عن الأغواطين ودخل عليه العلماء الأغواطيون طالبين منه أن يكتب ضم الامان، ويحدد ضم الزمة السنوية، فاكتمى الباي بتجدهم ما طلبوه شفاهاً، وعين ممثلين منهم، يقومون بتخليص دفع الزمة وهم: أحمد بن خضر ممثل عرش مرغيت، والمنايع بن زنون ممثل عرش الحلاف علياً أن كلا العرشين، يشكلان المجتمع الأعراطي. فقد تمكن الأعراطيون من دفع الجبل والفضة والدراهم، ولقد مرأوا عشرين خانداً ثم تقدم ستة من كبرائهم بأبائهم كرماتن للباي محمد الكبير ريثما يشعروا بقي من نصيب الزمة. وفعلاً، وصلت الزمة البالية إثر تزوجه بعين ماضي على دفعتين:

قدمت له في الدفعة الأولى خمسة آلاف ريال بوجوه، وأربعون خانداً. وفي الدفعة الثانية، ستون خانداً ومائتين وخمسون رجلاً، وما تبقى من نصيب الزمة، وعدوه بإضافته إلى مقرر حكمه بمعسكر مع إرجاع الحيول الأربعة التي سرقها أولاد الخدائف لجنوده، والنفاء رجاءهم الأمرى وعددهم أحد عشر أسيراً<sup>(22)</sup>. انختم أحمد بن هطال الرحلة



بذكر عوده جيش الباي محمد الكبير إلى معسكر ثم أكد أن ما ورد في الرحلة هو من تأليف أحمد بن محمد "بفتح الميم" بن علي بن أحمد بن هطال، لولا وثائقه، وأخيرا دعا الله وصل على محمد عليه الصلاة والسلام.

ثانيا- المدرسة الاستشرافية الفرنسية واهتمامها برحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري

#### 1- تأسيس المدرسة الاستشرافية بالجزائر المحتلة

لبنّت الإدارة الاستعمارية الفرنسية أن فكرة "الجزائر فرنسية" لا يمكن لها أن تتحقق إلا إذا تم اكتشاف خصوصيات البلاد وكشف الطابع من تاريخها العظم، حتى يتسنى لتقادة السياسة والعسكرية الفرنسية، تخطيط مشاريعها الاستعمارية بكل إتقان واتسكن من احتواء سكان الجزائر المسلمين ومن ثمة تجميع كل محاولة جزائرية، تسعى إلى الحرية مثلما جرى مع الأمير عبد القادر في الغرب وأحمد باي في الشرق وابن زعمون وابن التارك وابن سعدي في الوسط (23).

وبهذا الصدد شجعت الإدارة الاستعمارية أطرها وباحثيها بتنشيط الحركة الإعلامية في الجزائر، قصد تنوير المعمرين الأوروبيين بقضايا الجزائر التاريخية وتوطئتها في حاضرهم ورسم مستقبلهم في الجزائر. ففي ثلاثينيات القرن التاسع عشر، أنشأ المستشرقون الفرنسيون صحفيين محليين لنشر الأبحاث العلمية المنجزة بالجزائر هما: صحيفة المرن الجزائري Le Moniteur Algerien سنة 1832م وصحيفة الأخبار El Akhbar سنة 1837. كانت جهود الباحثين الفرنسيين في هاتين الجريدتين، تذهب مدى من الوجهة الإعلامية لأن الصحفيين لا تتوفرون على فهرس للمحتوى مما جعل القارئ أو الباحث لا يعثر على مبتغاه بكل سهولة ولا يتعرف على كتاب الصحفيين اللذين اعتبروا ذلك إجماعا بحقهم (24).

وفي عام 1835م ولدت مكتبة الجزائر لكنها لم تفتح أبوابها إلا في شهر يناير 1838م عندما ألحق بها متحف للآثار. ومنذ ذلك الحين، فتح المجال أمام الباحثين الفرنسيين لحواس غبار الأبحاث الثقافية والفكرية حيث صارت المكتبة، مركزا خاصا، يلتقي فيه المستشرقون لبادل المعلومات والأفكار بخصوص تاريخ الجزائر المحلي عبر العصور وسرعان ما أعقب ذلك تأسيس لكتبات عسكرية في نقاط عدة بمدينة الجزائر العاصمة.

في عام 1839م استحدثت اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر، إلا أن مقاومة الأمير عبد القادر قد شوشت على اشتغالها، تكن يحيى المارشال بيجو Le Maréchal Bugeaud. فحت الأفاق أمام هذه اللجنة التي أنجزت بحوثا، أعطت نغسا جديدا للبحث العلمي الاستشرافي بالجزائر. وفي عام 1841م تأسست جمعية القديس أوغستين Saint Augustain واستمرت إلى غاية 1845م، وبعدما نهضت السلطات الفرنسية الاستعمارية بالتعقيب عن آثار الأمم التي هيمنت على أرض الجزائر، وقلل اللقى الأثرية الرومانية إلى متحف الجزائر بهارس.

وفي 25 مارس 1844م توجه يجر إلى الحكومة الفرنسية بضرورة إصدار مرسوم ينص على المحافظة على بقايا العصور القديمة وكذا التصب التاريخية. وفي السنة نفسها، صدر قرار حق الحكومة الفرنسية في ملكية القطع الأثرية المكتشفة. وفي سنة 1850م كلف ليون روني Léon Renier برصد نقوش لجباز Lambèse وما يجاورها، وتبين للمستشرقين أهمية أفكاره وأبحاثه في تاريخ الرومان بأفريقيا الشمالية. ودرس أحد الباحثين المستشرقين الجريد التونسي والصحراء الجزائرية ونشرت الصحف بعض أعماله حول منطقة الجنوب.

ابتداء من سنة 1851م بدأت تختصر لدى الإدارة الاستعمارية فكرة الجمعية العلمية، حيث تم تأسيس الجمعية الجزائرية للعلوم الجميلة بمدينة الجزائر والتي نظمت معربين، الأول بالجنينة، والثاني بالثانوية، لكنها استمرت لسنة واحدة بفعل مصاعب داخل الجمعية. وفي مدينة قسنطينة، برزت الجمعية الأثرية سنة 1852م والتي أنجزت فهرسا مهما<sup>(25)</sup>. في عام 1854م أمر الحاكم العام راندون Randon بتأسيس المفتشية العامة للمعالم التاريخية والمتاحف الأثرية في الجزائر. ولم يتوقف جهود راندون عند هذا الحد، بل أراد أن يعطي قوة ونوعية للدراسات التاريخية المحلية معتمدا على جهود الكفاءات الفرنسية الاستشرافية، فأسس لاجل ذلك جمعية مختصة بالعاصمة الجزائرية سميت بالجمعية التاريخية الجزائرية، وكان ذلك في عام 1856م.

انحدت الجمعية التاريخية الجزائرية برئاسة أدريان بربروجر Adrien Berbrugger والتي مثلت بحق، رفقة أحيات السابقة الذكر في التاريخ والآثار والفنون، الفكر الاستشراقي الفرنسي بالجزائر المحتلة، متبرا إعلاميا على اسم المجلة الأفريقية La Revue Africaine أي المجلة المختصة بنشر الأبحاث والدراسات الأثرية والتاريخية الخاصة بشمال إفريقيا، عبر المراحل التاريخية، والتي لم يسبق وأن نشرت أو إعادة طبع أو تقديم قراءة تحليلية - حسب الحالة - للأعمال المهمة التي ظهرت في صحف المستعمرة أو في جرائد أوروبا. وباختصار تنشر المجلة الأفريقية كل ما كتب حول المنطقة بغية التأسيس للمكتبة التاريخية الأفريقية. وحرص المستشرقون الفرنسيون على أن تكون المجلة الأفريقية مجلة شعبية في الجزائر، تعتمد على كفاءات في أوروبا، لامة في علم التاريخ ومهتمة بياضي الجزائر وتجمع بين المتكف والمتنور في أوروبا والجزائر لخل العضلات التاريخية بشمال إفريقيا<sup>(25)</sup>.

## 2- اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي:

جاء اهتمام الجمعية التاريخية الجزائرية وعلمتها الأفريقية برحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ضمن اهتمامها بدراسة الصحراء الجزائرية، كفضاء واسع، تتميز بيئته الطبيعية القاسية، وقبائله العربية والأمازيغية المتعلقة على نفسها، وينمط عيشها كقبائل مستقرة و/ أو راحلة. وما نقلت الانتباه إليه إلى أن المستشرقين الفرنسيين، قد

استقصى عليهم في أوائل الاحتلال، انخرس في شؤون وغرباء الصحراء الجزائرية لأنه لم تتوفر لديهم بعد إمكانيات البحث العلمي، ولم تتعاط ظروف الجزائر مع العطاء الثقافي والفكري للمستشرقين الفرنسيين، فتباؤلات الغزو العسكري والاستيطان، كانت تنحصر على ملول الفرنسيين عامة، وأيقنوا أن البحث العلمي واكتشاف الجزائر من الداخل، يتطلب امتلاك الأرض والبلاد وإرثها قواعد عسكرية ومراكز استيطانية<sup>(26)</sup>.

لهذا جاءت الجمعية التاريخية الجزائرية التي حملت على عاتقها تحقيق ودراسة المصادر الأولية والعربية الكاشفة لخصوصيات بيئة الجنوب الجزائري عقب نجاح الجيش الفرنسي في بسط سيطرته على هذا الفضاء الرحب لأنه لا يمكن البحث في البيئة الصحراوية وسكانها، وقد أضحت مدنها وقراها وواحاتها وكروا للمقاومين الجزائريين مثل مدينة الأغواط المحاطة بسجل صراع مسلح مع جيش الباي محمد الكبير في نهاية القرن ثامن عشر، والأقن تميز نفسها شاحزة جيش والدون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بتأطير من الشيخ محمد بن عبد الله، من قبيلة أولاد سيدي الشيخ الذي مكث بالشرق العربي ثلاث سنوات، وأقام بسكة، علاقت مع نخبة من العلماء المسلمين، ورحبت به السلطات التركية العثمانية وشجعت على مقاومة الاحتلال الفرنسي لبتغاء الحرية، فتوجه إلى طرابلس ومنها إلى غدامس وتوقرت واستقر بزاوية الرويسات المجاورة لورقة، داعيا إلى الجهاد، كل قبائل الصحراء الشبالية وحالف بين قبائل الأربعا، واستطاع أن يفرض سلطته على الأغواط<sup>(27)</sup>. وهنا رأى والدون نفسه، نصيبا لهذا الشيخ الذي بعد أن بلغت حركته توسعا مقلقا، فجهز ثلاث كتائب للغزو وهاجم الأغواط يوم 04 ديسمبر 1852م، وقتلت الفرق العسكرية الفرنسية كل للمقاومين الذين حمصوا رغم فرار الشيخ محمد بن عبد الله إلى ميزاب، وحمدا العساكر الفرنسيون إلى حرق الجثث أو رميها في الآبار رفقة جثث الحسير والجمال والحيول. وبعد نهاية أيام، تم إعدام الأسرى الجزائريين من طرف فرق الصابحية، وأحدث الفرنسيون، كارثة إنسانية بالأغواط حيث بدأت التمور والغربان تجوب سهاء المدينة الشائرة<sup>(28)</sup>.

على هذا الأساس، اعتقد أن الجمعية التاريخية الجزائرية التي أسسها الماريشال والدون، سعت إلى تبرير ما حدث في الأغواط من مجازر على يد الجيش الفرنسي، بتكليف جورجوس بترجة رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الجزائري بقمم بين هطال التلمساني مع الدعليق، والملفت ثلاثه أن حتى هيئة تحرير لشبلة الافريقية، تدخلت بإضافة بعض التعاليق التي أنفلها جورجوس Gorguou. كل ذلك بهدف إعلام رواد الحضارة والحرب أن ما فعله والدون الفرنسي المسيحي، من لغزو لقبائل الصحراء والسيطرة على الأغواط سنة 1852م، وما نتج عنه من قتل وجرح وأسر، قد وقع قبله الباي محمد الكبير العثماني المسلم، لأن كلاهما واجها كرجال دولة، عصبينا ولردا من لدن سكان الأغواط، مما يعني، لدى المستشرقين، أن التمتع والفتك عمل مشروع من أجل أمن الدولة وحياتها.

وعليه ومن أجل بلوغ هذا الغرض، تمكن جورج جويس من تحقيق وترجمة كتاب أحمد بن هطال التلمساني عن اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، ونشره بالمجلة الاقريقية على الطريقة الأتية:

«عرفه جورج جويس، الباي محمد الكبير وتطرق إلى خصاله وقصائله وإنجازاته في العديدين الأولين الصادرين مني 1856 و 1857، وجاءت قهرسة ذلك على النحو التالي:

«Notice sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir. Volume I, pp. 403-416.  
et 454-463.

• Notice sur le Bey d'Oran Mohammed El Kebir. et Volume II, pp. 223-241

- ترجمة الرحلة مع التعليق الحامشي ونشرها بالمجلة على النحو التالي:

- Expédition de Mohammed El Kebir, Bey de Mascara dans les contrées du sud, terminées par le siège d'el Ar'ouat (Iagouat) et la soumission d'Aïn Mad'i.

Volume III, 1858, pp. 52-61, 185-192 et 286-295.

Volume IV, 1859, pp. 347-357.

وفي الختام، نود التنبيه من خلال هذا الموضوع، إلى أحد أشكال التفكير لدى المشرقيين الفرنسيين أو مشاربيهم التي ينتمون إليها، فنلاحظهم في هذا المقام يتعاملون مع معطوط عربي بمحدد غزوة عسكرية للباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري، فيترجمونه إلى لغتهم بكل أمانة ودقة، ثم ينشرونه ليطلع عليه الرأي العام الفرنسي والأوروبي والعالم، وكل ذلك كان استجابة لطالب سياسة وعسكرية تتعلق بالحاكم العام راندون ومجازره الجماعية في الأغواط ومحاولة تبريرها تاريخيا وتغطية جرائمه المصنفة كجرائم ضد الإنسانية والتخفي وراء النشاطات العسكرية للباي محمد الكبير كأمير مسلم كردي الأصل، عثمان الانتهاء، وجزائري المنشأ، تعلق به الكثير من الجزائريين، والسؤال للعروج: هل يمكن للرأي العام أن يستمتع بأطروحات المشرقيين إذا تعرف على تفاصيل غزوي الأغواط وتقصيد بها الغزوة العثمانية سنة 1785 والغزوة الفرنسية سنة 1855؟

**المصادر**

<sup>[1]</sup> الباي محمد الكبير: تولى حكم بابليد الغرب سنة 1778 وتوفي سنة 1787 بطريقة غامضة، لا تزال تفرح شائعات لدى الجزائريين. اشتهر بتحريره لوهردان والرسى الكبير من قبضة الأسبان سنة 1782 وكذا أعمال أخرى في التجالات الاقتصادية والقضائية والاجتماعية والثقافية.

<sup>[2]</sup> أحمد بن هطال التلمساني: هو أحد علماء الجزائر في أواخر العهد العثماني شغل منصب رئيس الكتاب ببلاد الباي محمد الكبير، وكلفه من قبل هذا الأخير بتدوين وقائع رحلته العسكرية إلى جنوب الغرب الجزائري، وعارض مهام دبلوماسية إلى الغرب الأقصى قصد جلب الذخيرة الحرة إلى الباي محمد الكبير في إطار مساعي تحرير وهران من الأسبان، وتوفي في معركة فرعاسة عن يد القذافي سنة 1803 في عهد الباي مصطفى.

(3) ابن قطّال التلمساني، أحد، رحلة محمد الكبير، إلى الغرب الجزائري، إلى جنوب الغرب الجزائري، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، دار الكتب، القاهرة، 1989، ص 36-37.

(4) مصطفى الوزاني، حكم هذا الديار القديم الجزائري بين 1734-1793 ثم أصدر الديار حسن أمرا بقتله فالتصا إلى (أبو عبد الرحمن) التلمساني بسبب من مدينة الجزائر إلى أن ضاع هذا الديار المذكور بواسطة يهودية فعول القلم فلسطينية سنة 1793 لقتل سنة 1798 بأمر من الديار حسن ويحار من التجار الفرنسيين.

(5) Marguin, E. « Note sur l'histoire de Laghouat ». In *Revue Africaine*, 1892, p.385.

(6) ابن قطّال التلمساني، أحد، المصدر السابق، ص 47.

(7) الرئيس، محمد حماد الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط 4، دار الأندلس، القاهرة، ص 110.

(8) ابن قطّال التلمساني، أحد، المصدر السابق، ص 37.

(9) بعد عن مدني عن الأمازيغ بحوالي 72 كلم ناحية الغرب، وعن تاجوت 28 كلم ناحية الغرب أيضا. يمكنك مطالعة:

Amaud. « Siège d'Ain Madi ». In *Revue Africaine*, 1864.

(10) ابن قطّال التلمساني، أحد، المصدر السابق، ص 32.

(11) المصدر نفسه، ص 70.

(12) الفقرة هي صرية صوية فمنها السلطة التركية العثمانية على القبائل شبه المستقلة في المناطق ذاتية والمناطق الحبيطة وتدفع هذا وتقدنا ومن علاها كرحت السلطة تلوذا على هذه القبائل الجزائرية سواء كانت عربية أو أمازيغية.

(13) ابن قطّال التلمساني، أحد، ص 45.

(14) المصدر نفسه، ص 82-83.

(15) نفسه، ص 39-41.

(16) نفسه، ص 42-43.

(17) ابن سبتون الرشدي، أحد بن علي، المتمر الجاهلي في إسماعيل الشمر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي أبو عبد الله، منشورات وزارة التعليم الأصلي، فلسطين، 1973، ص 79.

(18) عثمان بن محمد بن عثمان القزوي، أحفاد والده محمد الكبير على رأس بابلييك الغرب الجزائري في بداية 1797، بتركية من الديار حسن بالدا، والفتح مسيرته السياسية والعسكرية ومسيرته الشخصية إلى دراسة لأنه أنهم في عهد الديار مصطفى باشا باللهم والجنون والفرط في شؤون البابلييك لعزلة الديار المذكور لم ولاه باها على الشرق الجزائري إلى أن قتله الشاردين الأحرش القزوي سنة 1803.

(19) ابن قطّال التلمساني، أحد، المصدر السابق، ص 72.

(20) نفسه، ص 54-55.

(21) نفسه، ص 56-59.

(22) نفسه، ص 40-42.

(23) صالح عزم، معركة الإسلام والمسيحية في الجزائر، الرابطة للإعلام والشرع، تونس، الجزائر، (بدون تاريخ) الجزء الأول، ص 93.

<sup>(24)</sup> Adrien Berbrugger, « Introduction », in *Revue Africaine*, Année 1856, p.05.

<sup>(25)</sup> Ibid, pp. 07-08.

<sup>(26)</sup> Ibid, p.11.

<sup>(27)</sup> Ibid, p.05.

<sup>(28)</sup> Charles André Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine - la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871*- Presse Universitaires de France, Paris, 1964, p.191.

<sup>(29)</sup> Ibid, pp.391-392.

## العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني

أ. زهية بوشية

جامعة سعيدة

تري معظم الدراسات الأجنبية أن إيالة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تنظر إلى مظاهر التحضر والتمدن والتي نفهم من خلال سياقها عدم الاهتمام بالعلوم والفنون، كون المجتمع الجزائري خلال تلك الحقبة كان مجتمعا عسكريا في فكره وأعماله، لذلك كان لا بد من دراسة هذا الحكم بالوقوف على مسار العلوم والفنون عصرئذ. إن الاهتمام بمختلف العلوم والفنون ما هو إلا وجه آخر من وجوه الثقافة ووسيلة من وسائل الإنتاج الفكري الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني<sup>1</sup> وشملت هذه العلوم مبادئ متعددة أهمها:

**العلوم اللسانية أو علوم اللغة**

كان التأليف في علم اللغة المحض محدودا وحكرا على القليل من العلماء أمثال محمد بدري الجزائري، الذي لخص كتاب "الاعتقاد في الفرق بين الغناء والضاد" لأبي حيان بن يوسف الأندلسي ووضع له عنوان ساء "الإرثشاء في الفرق بين الضاد والغناء" سنة 1127 هـ. كما ألف أبو راس الناصر كتاب سماء "ضياء القابوس في كتاب القاموس"، و"رفع الأثمان في لغة المولائم والثران". غير أن التأليف والإعناء في النحو قد أخذ نصيبا خاصا وإنتاجا طيبا في هذا العهد، حيث ألف قاسم بن عبد الله المرادي المالكي كتاب سماء "شرح في النحو"<sup>2</sup>، وهو يختص بقواعد الإعراب والتفصيل فيه ويبدو أن صاحبه كان متأثرا إلى حد كبير بسبويه، وبطريقة المشاركة في النحو خاصة الكوفيون منهم، هذا الشرح سيضع عليه سعيد قدورة حاشية على شرح خلاصة المرادي وقد سماها "رقم الريادي على تصنيف المرادي". كما ألف أبو راس الناصر عدّة تأليف في النحو منها "الدرة البهية التي لا يبلغ لها قيمة"، ووضع يحيى الشاوي عدّة شروح وحواشي في هذا المضمار منها حاشية كبيرة على شرح المرادي "شرح على التسهيل لإبن مالك".... ما ظهرت مدرسة هامة في علم النحو بالزواوة نظرا للدراسات النحوية التي تقدم بها كل من يحيى بن معطي الزواوي، وأبو جميل

القائد الزواوي القسنطيني، الأمر الذي شدّ إنشاء الورتلاني ذكره في رحلته قائلا "إنّ النحو كان يعتنى به هناك الكبير والصغير واشتهر به إشتهارا يَبِينًا".

لقد أسهم الجزائريون في العهد العثماني في ميدان البيان والمعاني، حيث قام عبد الله بن أبي القاسم الشعالي بشرح قصيدة اخلي شرحا بلاغيا سماه "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلبي" وقام محمد بن محمد بن علي الجزائري بشرح الجواهر المكنون سماه "موضع السر المكنون على الجواهر المكنون" ونظم أبو راس الناصر "نيل الأمان على مختصر سعد الدين التفتازاني" واشتهر علي بن عبد القادر المعروف بابن الأمين بتأليفين الأول: "رسالة في أماعد" في حدود 1861هـ والثاني "حاشية على مختصر السعد"، أما العروض فرغم وجود الأشعار إلا أنّ التأليف في قواعد العروض قليلة جدا نذكر منها شرح سعيد قدورة على "الرازمة الشافية في علم العروض والقافية" لأبي الجيش المغربي المعروف بالخزرجي سماه "شرح المنظومة الخزرجية"، وينسب إلى بركات بن باديس "شرح على فنن الخزرجية"، يشمل الشعر الأدبي المقامات والرسائل الرسمية والإخوانية والوصف والتفايظ والتعازي وعقود الزواج والإجازات، والشروح الأدبية والقصص والخطب التي تميز بها الأدب الجزائري خلال العهد العثماني رغم وجود الكثير من الصعوبات التي كانت تعيق نموه منها:

سيادة اللغة العربية في الأوساط الرسمية ومراحة اللغات الأوروبية الأخرى وبعض اللهجات المحلية التي كانت تعيق حركة اللغة العربية.

عدم تدفق الحكام للأدب نظرا لاختلاف ثقافتهم ولغاتهم مما أدى إلى عدم تشجيع الأدباء والشعراء.

إقتصار نشاط الفئة المثقفة على الوظائف الرسمية التي لا علاقة لها بالأدب مما أدى ذوبان المواهب في رتابة الإدارة. هجرة العلما والأدباء نحو المشرق والمغرب العربيين نتيجة لعدة ظروف سياسية واجتماعية.

شيوخ اللحن على ألسنة الكتاب والمدرسين فظهر لولان شعريان دخيلان على الشعر هما الشعر الملحون والشعر الفصيح المكسور اللذان كانا بمثابة ثورة على الأوضاع السياسية والأخلاقية المتردية.

أما الإجازة تتناول السند ومرر أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، لكن صيغة بعض الإجازات رغم

موضوعاتها وثوبها على شكل واحد كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي كما أضفى عليها الأدباء طابعهم وذوقهم الفني، ولدينا نموذج من إجازة أحمد بن حمار إلى محمد بن خليل المرادي الشامي ما جاء فيها "فقد روينا بتوقيف الله



وبعنه... حدة واقرة... من كتب العلوم الشرعية والفنون القرعية من منقول ومعقول... وقد أجرت السيد... وهي إجازة قصيرة غير أنها قوية العبارة وجيدة النسيج مسجعة في أغلبها تؤكد الطابع الأدبي الغالب على أسلوب ابن عمار، وهناك نهج آخرى من الإجازات وجدت خلال هذا العهد والشروح الأدبية:

لتصديها شرح الأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية بوجه عام وشرح الأعيان الأدبية بوجه خاص، والمشرح الأدبي يكون على قصيدة نظمها الشارح نفسه، وقد يكون على قصيدة أو على آخر غير، وقد حفل الإنتاج الأدبي الجزائري بالقواعين من ذلك شرح أحمد بن سحنون الراشدي على قصيدة العليقة<sup>4</sup> لتسعيد المندلي سنة 1200هـ، الشليفة المتصوفة عرف العليقة<sup>5</sup> والذي وضع ما بين 1200هـ-1202هـ، ووضع أبو راس الناصر أيضا شرحا عليها بعنوان "الدرء الأليقة" وهو يقع في سبعة شروح كل شرح منه له عنوان مستقل، وشرح محمود بن الطاهر بن حو كتاب الحكم والمواعظ والأدب والأمثال "لسلم بن عبد القادر" سنة 1202هـ "نظم الجواهر في سنك أهل البصائر". ووضع محمد بن أحمد بن قاسم البول شرحا على اللامية لجلال بن خضر الحلي أخرجه في "يد العجم على لامية العجم"، كانت الشروح الأدبية بمثابة للنفس الذي يعرض فيه الأدباء هفوطاتهم وذوقهم الأدبي والنقدي وعلى إطلاعهم على تاريخ الأدب والمطابقة بوجه عام. بالإضافة إلى الشروح الأدبية عرف النشر الأدبي لونا آخر تمثل في التقاريف التي يمزج فيها بين الشعر والشعر وتسيطر عليها الروح الإعرابية في الأسلوب. وتظهر فيها ثقافة للقرط الأدبية واللغوية، والتي تعددت موضوعاتها فشمكت الأدب والفقه والمنطق... إلخ ومن هذه التقاريف نذكر تقرير أحمد بن عمار على رسالة في التوحيد وضعه سنة 1195هـ لصديقه الوزير التونسي حو بن عبد العزيز. كما ظهر نوع جديد من التأليف الأدبية تمثل في كتابة الحفرة والنقش في إخراجها ولأسماء حفرة الزواج التي أظهرها فيها براعهم اللغوية والأصولية، حتى أصبح العقد النموذجي يقلد في المناسبات المشابهة. واحتلت الرسائل بالجزائر خلال العهد العثماني اهتماما كبيرا، وشغلت حيزا كبيرا بين الأدباء والمؤلفين، وهي نوعان الرسائل الرسمية الدبلوماسية والإخوانية من بين الرسائل الإعرابية تلك التي وجهها عبد القادر المشرقي إلى صديقه السيد أخيب فيلالي والتي جاء في مطلعها كتب ونار الشوق في القلم تصغرم ودمعي من طرف المقلب منسجم. أما الرسائل الدبلوماسية أو الرسمية وهي غير الرسائل الإخوانية نظرا لسيطرة اللغة التركية على الإدارة

الجزائرية وهذا ما جعل الرسائل العربية لا تظهر إلا في النادر ولا تظهر لا يراعى فيها الإحسان بقدر ما يراعى فيها التوصل والتفاد، وكانت أحيانا تأتي متكلفة ركيكة.

ويجوز الوصف أحد ألوان النثر الأدبي، ونعني به وصف الطبيعة أو وصف المنشآت العمرانية أو وصف الحيوانات والرحلات وهذا يدخل ضمن إطار الوصف الخبي. أما الوصف المعنوي يخصص بالشاعر الإنشائي. وأبرز من خالج هذا الموضوع أحمد بن حنبل عندما وصف أحاسيسه الذاتية عند اعتزله زيارة مكة وأما فريضة الحج سنة 1166 هـ، أما الوصف الحسي فالأمثلة كثيرة منها وصف ابن حنبل للقصر الوزيري عبد اللطيف بالعاصمة الذي لقي به ليلة مساعرة أدية انتهت بوصف القصر جمع فيها بين الشعر والنثر. أما الخطبة<sup>5</sup> فهي من أبرز فنون النثر الأدبي لتعدد أغراضها ودقة أهدافها، فقد شملت الدين والسياسة والحرب وسلامة المجتمع إلى غير ذلك. وبحلول عهد العثمانيين باتت الخطبة تقليدا أكثر منه إبداعا، وقامت وحالت إلى الرتابة بحيث طهر التكلف<sup>6</sup> في أسلوبها وطابعها العام وبلغت ذروة تدهورها عندما أصبحت تقتصر على القضايا الدينية، يكرر فيها الخطيب معاني السابقين، ولكن بأسلوب جميل وصياغة جامدة تطوقها في ميدان واحد وهو الجامع.

تعددت الخطب بين السياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية، فالخطب السياسية قليلة جدا إذا لم نقل نادرة. أما الخطب الدينية كثيرة كخطبة الجمعة وصلاة العيدين، من بين أهم هذه الخطب خطبة الجمعة لسعيد المقرئ التي عارض فيها خطبة القاضي عياض<sup>7</sup> التي ضمنها لتورية بأسماء سور القرآن. أما خطبة العيدين فقد وقع بين أيدينا منقوط خطبة عيد الفطر لمؤلف مجهول وهي خطبة تتألف من ثلاثة عشر ورقة. وهذا ما تقدم فيها "بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى صحبه وسلم، الحمد لله الذي ميز بين الصالحين والفاصلين، وسلم ما في صدور السالكين، هو خلقكم وزككم، يميكنكم ويحييكم"<sup>8</sup>... ثم أتبعها بحديث لإبراهيم بن عيسى عن النبي صلى الله عليه وسلم بأمر يتعلق بالحساب والعقاب والجنة والنار من خلال ما نقلنا عليه في هذه الخطبة نجد كثيرا من مسجعة، كآثار قريبة من العامية. بالإضافة إلى خطب أخرى لعبد الكريم الفكون وعبد بن ميمون الجزائري، وسعيد قدورة، لكنها خطب غير مدونة رغم أنها سمت بطابع الإصلاح والإرشاد.

لم يشع في النثر الأدبي بالجزائر خلال العهد العثماني ما يسمى بالأدب القصصي (الأقليات)، وتذكر المصادر أن الأدب الشعبي كان غنيا بالحلقات والفصوص التاريخية البطولية أو للحمية، ولكنها في معظمها شفوية ولم يدون منها إلا القليل النادر، كما كانت تنسج على موضوعاتها من التاريخ الإسلامي والعربي وقصص ألف ليلة وليلة، وحتى من تاريخ الجزائر في العهد العثماني<sup>9</sup>، لكن ما لم نتوصل إليه هو لغة القصة أفضحة أم عامية، وأقرب صيغة التي تسجل القصص والحكايات هي القامة. حيث أسهم الجزائريون في هذا الميدان، فبعد مثلا محمد بن محمد الزهراني صاحب المقامات أو التمامات، ظهر أن موضوعاته مشرقية لأنه عاش معظم حياته الفنية في المشرق، أما مقامات ابن حادوش التي جمعها في رحلته فهي ثلاثة والمظاهر أنه كتبها في المغرب الأقصى، فالأولى سبأها المقامة المغربية والتي ألفها في يوم الأحد من شهر صفر 1154 هـ الموافق لأبريل 1743 م بمدينة مكناس، وللقامة الثانية تناول حياته حتى عرجه من تطوان إلى مكناس وصف فيها متاعبه وعذابه من زيارة المغرب الأقصى، أما المقامة الثالثة سبأها المقامة الحالية<sup>10</sup> وهي رمزية وصف فيها حالته النفسية السيئة نظرا لأوضاعه المادية المزرقة وهجران زوجته له، بالإضافة إلى مقامات أخرى لمحمد بن سحنون الجزائري وغيره.

كما احتل الشعر المكانة الثانية<sup>11</sup> في الأدب العربي بعد العلوم الدينية خلال العهد العثماني، حيث كان اهتمام الكتاب بالشعر خاصة، وكان في تلك الفترة يعج بالألفاظ النعقة وكثرة التشبيهات والتشخيصات، ولم يستطع أن يتحرر من تقليد الشعراء عصر الإنحطاط، الذين كان مهمهم الوحيد اللفظ المصقول والتشبيه الرائق، وباختصار الإهتمام بالشكل دون المضمون<sup>12</sup>، ورغم هذا كله فإن الشعر كان مزدهرا وقد تعددت أغراضه فمت الشعر النبوي الذي اقتصرت بالذات على نظم الوشحات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتشويق لزيارة مكة ومن أهم فحولته أحمد بن عمر الذي نظم قصيدة مذهبية في موسم الحج من شهر ربيع الأول عام 1165 هـ ومن أهم قصائده المديح النبوي "هاتية المستغاثي" في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وأيامه وصحابته والإشعاع به بالإضافة إلى التمثال الحمدي التمجيلي، والشعر الصوفي لرجال الدين والتصوف، أما الشعر السياسي ارتبط في الجزائر خلال العهد العثماني بمسابقات محدودة تستطيع حصرها في الجهاد ضد الأجانب وشكل شعر الجهاد المحمور

التركي في الشعر السياسي، أبرزه سقوط الأندلس واحتلال وهران والمرسى الكبير. حيث نظم محمد بن علي قصيدة مؤلفة من سبعين بيتاً سنة 1117 هـ، يتحدث فيها الباشا حسين خوجة الشريف لفتح وهران وطرد الإسماعيل. أمّا المودوح الثاني للشعر السياسي هو مدح الحكام شعاعاً في الرزق وطالباً للقرب من أهم رواده "محمد بن يونس الجرائري"، "أحمد القرومي"، "أبو راسم الناصر"، والظاهر أنّ شعراء الجزائر لم يجدوا تشجيعاً لأشعارهم من الحكام، فالتفتوا إلى مدح غيرهم لكن النتيجة كانت مثل شبيهاتها لطروف معينة.<sup>13</sup> أمّا الشعر الاجتماعي، يعنى به شعر الإحسانيات الذي يتناظر فيه العلماء بعضهم بعضاً في مناسبات معينة، وقد شمل الزملاء والشرف والندح لغير الأمراء والمجوب والمغز والجدد والعجب أنّ شعر الزملاء كان قليلاً جداً، فلم يكن شعر المجوب نادراً ولا هم في ذلك لأنّ المجتمع على العموم مجتمع متضخم متعلق بغير الظروف والنكت. كما أنّ لزاماً أن تظهر في الشعر الاجتماعي لا يحتاج ولا موضوعاً.<sup>14</sup>

يعتبر الشعر الشعبي تلك الصورة العسافية التي تعبر عن مشاعر الشعب وأحاسيس أي ذلك الأدب الذي يصدده الشعب فيعبر عن وجدانه ويبدش تفكيره ويعكس المعاشاة ومستوياته الحضارية.<sup>15</sup> وهم عاصي اللغة فنوارت جيلاً بعد جيل بالرواية الشفوية، كما أنّه لا يساوي أثرها إلا بعد ما يلقح مع ذوق الجرافة ويجري على عرونها من حيث الحسنى والشكوى، ولا يتخذ شكله النهائي قبل أن يصل إلى الجمهور الذي يعطي نفس حق التصوير والتعبير فيه ما دأب يوارثه ويعدّه معبراً عنه، ولف فيه أدباء ومؤرخون أمثال "الحامسي"، "أبي راسم الناصر"، "أبو بن سمون" لأنّه كان لغة العصر، حيث طغى الأدب الشعبي على الأدب الفني، ورغم ضعف مستواه إلا أن ساعد على فهم ظروف العهد العثماني، كما سجل الكثير من الحوادث السياسية والعسكرية وكان سجلاً لتنبؤ "الأجرائي" والاقتصادي في البلاد، بل يمكننا القول أنّ من الناحية التاريخية كان أفضل والقرب إلى الحقيقة من الشعر الفني ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصيدة شعبية في سيطرة اليهود على البلاد ليلقاسم الرحولي سنة 1892 جاء منها:

واش نظروا في ذي الدنيا عادت عينا      تشوف شي غير متهمش  
اليهود جان ليهم عينا      عادوا علينا باليامن وقصور لدهش

والسلم في قم الحبيبة

بعض الجازيا والكثير يقوى ويعمرش<sup>16</sup>

من خلال ما سبق نستشف أن العلوم الشرعية في العهد العثماني لم تخرج عن إطار الشروح والتفاني ولم ترق إلى المستوى المطلوب، نظرا لظروف ذلك العهد التي شددت الحقائق على المجتمع والعلماء، وإن ظهر إبداع في هذا المجال فإنه سرعان ما يلغى في بوتقة الفجوة والنسيان.

العلوم العقلية

العلوم الشرعية

يقصد بالعلوم الشرعية الدراسات القرآنية كالنفس والفراءات ورواية الحديث ودرايته بما في ذلك الآيات والإجازات، وفيه العبادات والمعاملات كالتوازن والتناوي. وقد كثرت هذه الدراسات بين العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني وسنحاول في هذا الصدد أن نعرض إلى بعض فروع العلوم الشرعية التي سيطرت على الواقع الثقافي خلال هذه الفترة، يقصد بالتفسير تفسير آيات القرآن الكريم، وتوضيح معانيها لإزالة أبعادها، واستنباط الأحكام الشرعية، ويمكن أن نلخص التفسير من ناحيتين: ناحية التدريس وناحية التأليف، أما تدريس التفسير فقد كان شاعرا بين العلماء الجزائريين أمثال "محمد بن علي يهلون"، و"ابن لؤلؤ النمساني"، و"أبراهيم الناصر"، "سعيد قدورة" و"أحمد بن حماد"، ربما يكون هؤلاء قد تناولوا التفسير في مدارس التي أخذوا بها دروسهم. كالشيخ أبراهيم الناصر، الذي اجتمع في مجلسه أكثر من أربعمائة طالب<sup>17</sup>، غير أننا لم نعتز على وثيقة تلك على نوع الطريقة لتبعية أثناء درس التفسير، وذكر ابن حمادوش أن الشيخ أحمد الوردزي المغربي، لما زار الجزائر سنة 1159 هـ، اجتمع إليه الطلبة لسياح درس التفسير فقال: "...وفي يوم الأربعاء رابع شوال، كتف الطلبة الشيخ الوردزي ليرهم كيف يبتدئ الناس التفسير، فاجتمعوا له ضخم في مسجد المدرسة الجامع الكبير، فأمر سيدي الحاج أحمد بن مسعود أن يخط عليه فأملى<sup>18</sup>...". والواضح من سياق كلامه أن هذه الطريقة في التفسير كانت معتمدة في المدارس.

أما التفسير تأليفا فالحوض فيه قليل، ورغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية فإنها لم تقدم مفسر من القرآن الكريم، لكن العلماء المعروفين أمثال أحمد الوترسي وابنه "عبد الواحد الوترسي" لا يعرف عنها التأليف في التفسير، ونفس الشيء يقال عن مدرستي قسطنطين وبجاية، فنظرا لشهرة "عمر الزوان" و"عبد الكريم المكنز"

(الجدد خلال القرن العاشر ومن العلماء الذين القوا في التفسير خلال القرن الثاني عشر نجد "العبد البوي" "الدر العظيم في فضل آيات من القرآن الكريم" ويبدو من العنوان أن "البوي" لم يتناول التفسير بالمعنى المتعارف عليه وإنما عَصَى بعض الآيات من القرآن مستخرجاً منها المعاني التي تناسب التصوف والأدب العامة.<sup>19</sup> ومن الذين ألغوا في التفسير "أبوراس" و"محمد الزجاني"، فقد ذكر "أبوراس الناصر" أنه وضع تفسير القرآن الكريم يقع في ثلاثة أسفار وجعل كل سفر يحتوي على عشرين حزباً ساء "جمع الحمرين ومطلع البدرين" يقع الجليل للعبد الذليل في التفسير إلى علم التفسير<sup>20</sup>.. أما الزجاني فله تاليفين في التفسير "تفسير الخمسة الأولى"<sup>21</sup> وهو تعبير غير واضح فهل هو تفسير السور الخمسة الأولى، أو تفسير الأجزاء الخمس الأولى وعلى كل حال فإن التعبير يدل على أن هذا التفسير غير كامل وأنه تناول جزءاً من القرآن الكريم، والثاني "مواشي كثيرة في التفسير" وهي تتعلق على التفسير المتقدمة، والظاهر أن الزجاني كان يتبع في تفسيره طريقة الروح المتداولة، فيعربون عبارة الأصل ويذكرون معناها أو معانيها ويستشهدون عليها، وقد يستعزون لإثراء الفكرة التي يسوقونها أو للتأني على الحفظ وسعة الإطلاع. لقد اشتهر الجزائريون بتدريس القرآن أكثر مما اشتهر بالتأليف فيها، وحررت منطقة زولوة بالحلقة في هذه المادة، لاسيما في القراءات السبع، ومن اشتهر أساتذة القراءات بزولوة أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر الشيخ محمد بن صولة.

وفي تراجم "ابن مريم" روى أن "محمد الحاج مناوي" قد تصدر للتدريس في عدة علوم ولكنه ماهر خصوصاً في القراءات<sup>22</sup>، "كما أسهم عبد الكريم الفكون" في التأليف في القراءات بعمل ساء "مر بالوادة في من جعل السبعين لرواية الاقرا (كذا) عدة"<sup>23</sup> ويبدو أن الفكون عالج فيه أنواع القراءات ورواها وغير ذلك مما يتصل بهذا الموضوع وما يتصل بلوجه القراءات، طريقة النطق بالكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الختم، ومن بين من ألف في القراءات نجد "أحمد بن ثابت" صاحب "الرسالة الغراء في ترتيب أوجه الغراء"، وألف "محمد شقرون بن أحمد الشرازي" عملاً ساء "تريب النافع في الطرق العشر لتأليف" وقد قسمه إلى أبواب مثل باب

الإستعانة، باب البسطة، باب الميم الجمع، باب المد والقصر... إلخ. ويدعو أنه استعان في شرحه على "مورد الذهب" للحرّاز<sup>24</sup>. بعد الحديث من العلوم الأولى التي اعتنى بها الجزائريون في العهد العثماني تدريجاً وتأليفاً ورواية وإجازة، ولعل هذا راجع إلى صلة علم الحديث بالدين وبالنصوص معاً كما أنّ علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ، وقد اعتمدوا في أبحاثهم على الكتب الستة بدرسها ويسندوها وبمفطرها، غير أنّ عنايتهم بصحيح البخاري فاقت كلّ العناية فكتبوا عليه الشروح والخواشي، وتداولوه للبركة والحفظ، واستعملوه في الفتايات الدينية والخبرية إلى درجة أنّه بلغ عند بعضهم مبلغ القداسة<sup>25</sup>.

حدد من العلماء الذين برعوا في الحديث "عبد الكريم الفكون" و"أبو العناني" و"علي بن الأمين" و"يحيى الشاوي" و"أحمد المقرئ" وغيرهم كثير، ذلك أنّ الحديث لم يكن يدرس لذاته وإنما للعمل به في مجالات العرف المختلفة، حيث ترك "أحمد المقرئ" عدة تأليفات في علم الحديث والسنة النبوية "فتح للتعالم في مدح التعالم"، "أزهار الكرامة في أخبار العرّامة ونبذة من ملابس المخصوص بالأمراء والإمامة"، "الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين"<sup>26</sup>. أما الحافظ أبو راس الناصر فقد ألف "الآيات النبوية في شرح دلائل الخيرات"، "مفاتيح الجنة وأسماؤها"، في الأسانيد التي اختلف العلماء في معناها، و"السيف المنتهى فيها برويت بأسانيد الشيخ مرتضى"، تلخص من خلال ما سبق أنّه بالرغم من عناية الجزائريين بالحديث عمومًا، وصحيح بخاري خصوصًا، (لأنّ تأليف فيه لا تخارن بينه العناية، فهي لم تخرج من بعض الأمور التقليدية مثل الشروح والخواشي والأراجيز والرسائل الصغيرة.

شاع في الجزائر خلال العهد العثماني حفظ الحديث وإسناده<sup>27</sup> وقراءته وإقراءه، كما شاعت كتابة الآيات أو القهارس التي كان العالم يسجل فيها مروياته في الحديث بالسند والكتب التي قرأها في صحيح بخاري وغيره من الكتب الستة المشهورة، مرفقة بذكر الشيوخ الذين درس عليهم ولاسيما شيوخه في علم الحديث وكانت هذه الآيات تتداول بين العلماء، أو تحفظ عن ظهر قلب أو تكتب مختصرة أو معقولة في شكل إجازات.

من الذين تركوا نقداً أوائل العهد العثماني "محمد بن شقرون ابن أحمد لوهري"، أمّا في القرن الحادي عشر لشتمهم أحد المقرئ برواية ومروية الحديث وله ست احديث<sup>28</sup> من المغرب والمشرق عمنه في كتابه "روض الأسرار" العاطر الأنفاس في ذكر من ألقبه من علماء مراكش وفاس، وشهد القرن الثاني عشر موجة من العناية بالحديث رواية وفدية علي بن "أحمد البوني" و"أحمد بن عمار" و"المؤيد التلمساني" الذي له ثبت في نحو الكراسين يسمى "مختار الأساسين في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد" وهو سلسلة من الإجازات والمرويات التي جمعها عنه تنفيذ "أبراهيم السبيل التونسي"، كما خص "أبوراس المصغر" شيخه "المرتضى الزبيدي" بثلث سبأ "السيف المنطقى فيما رويته عن الشيخ مرتضى".

والإجازة عند المحدثين هي الإذن في الرواية نقلاً أو كتابة وكانت في الأصل لا تلج إلا لمن يدرس الحديث ثم عموماً استعمالها قصارت تمنح في كل علم أو فن لم أطلقت وصارت منح في عدة علوم أو فنون التي يقتضها المجيز وقال في شأنها صاحب البستان "إن طلب الإجازة أو الرواية من شأن أهل العلم"<sup>29</sup> حيث كان المجزون يتصلون بالإنصاف فلا يمنحون الإجازة إلا ذوي الكفاءة والأهلية غير أنها أسطرت بتقدم العهد لتساهل في منحها دون التحقق من كفاءة المجيز نتيجة لتسلف مستوى التعليم من جهة وعرض الإجازات لنوع من المعاملات بين العلماء من جهة أخرى. وهناك ثلاثة أصناف من الإجازات: إجازات الجزائين للجزائريين وإجازات الجزائين لغيرهم وإجازات علماء المسلمين لعلماء الجزائين. ومن الغريب أن العلماء الجزائيين لم يميزوا بعضهم البعض إلا قليلاً من ذلك إجازة "محمد الرجاوي" لأحمد بن محمد الشريف" وإجازة "محمد بن عبد الرحمن الأزهرى" "حمودة المظاهري". ويعتبر العلماء الجزائيين السابقين في منح الإجازات لغيرهم من العلماء المسلمين وتذكر في هذا الصدد إجازة أحمد بن عمار إلى محمد خليل المرادي الشامي أعم ما جاء فيها "فقد رويته بتوفيق الله وبهنة وهدى وحرمة محمد وآله صافرة من كتب العلوم الشرعية والفنون المرموعة... وقد أجزت السيد الشننيزي المجاز لرجل الحقيقة لا محذور... السيد محمد خليل... تاريخ أواخر ذي الحجة... سنة 1205... والسلام"<sup>30</sup>. كما تلقى الجزائيون إجازات من علماء مسلمين سواء من المشرق أو من المغرب العربيين ضمن المغرب لدينا نموذج من الإجازات العلمية<sup>31</sup> إجازة الشيخ



الوريزي لعبد الرزاق بن حادوش جاء فيها "يقول الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن محمد بن عبد الله الوريزي... عبد الرزاق بن محمد بن حادوش... رغب أن يسمع فيها سهل الله سبحانه من الحديث... وأسمعت بعض موطأ مالك... ورغبني أن أجيزه أيضا... فأجزته أن يروي على الكتب الستة<sup>32</sup>... وأجزته... صحن الحسين صانع حنتر محرم عام 1156 هـ...". أما عن المشرق فقد نشر الشيخ مرتضى الإجازة بين المعاصرين له ومنهم الجزائريين وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله "كان لمحمد مرتضى الزبيدي تأثيرا على علماء الجزائر بطريق الإجازة فقد أجازهم فرائد وله إجازة عامة لأهل الرشدية ولأهل قسنطينة تقع في مجلد صغير

عندما نتحدث عن الإنتاج الفقهي في الجزائر فمن الطبيعي أننا سنركز على الفقه المالكي كونه المذهب المتبع بالجزائر. ولكن منذ هيء العثمانيون انتشار المذهب الحنفي وظهر عليه كتابا ودروسا والنوازل قواعد الإمام أبي حنيفة. وحتى إن كان معظم التأليف في فروع وأصول المذهب المالكي، فهذا لا يعني أنه لم يكن لعلماء المذهب الحنفي تأليف وآراء، حيث سيطر مختصر الشيخ خليل على مختلف الدراسات الفقهية للمالكية بالجزائر، فكثرت حوله الشروح والحواشي والتعاليق وبذلك تعددت التأليفات الفقهية، فوضع "عبد الكريم المغيل" شرحا على مختصر خليل، ووضع محمد بن عبد الرحمن البيلدي حاشية طويلة على شرح الخرخشي على خليل سماه "ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخرخشي"، كما وقع بين أيدينا مجموع ط حول فقه العبادات "لعبد الله بن عزوز المراكشي" بعنوان "فهر العلول ونقي الظلمات" فيقول فيه: "...أحمد الله والي الأعمام الذي يليه الشكر عن الدوام مبدئي الأحرار والمفوضات والاحكام، فقد اختلج في صدري ما تمنى في سبيل كشفه من معاني القرب"<sup>34</sup>...

بالإضافة إلى ذلك فقد ترك علماء الجزائر عدة تأليفات في الفتاوى والموقف والقرائن وغيرهما من القضايا التي تمس جوانب الدين المختلفة، فألف عبد العزيز التبريني في نوازل الأرض وجمارتها في كتابه "التكميل لبعض ما أحل به كتاب التبريل"، و"الأحد النبوي" بعض الفتاوى منها "نور السعيا المذهب للفلام أهل الرياء والسبعة"، "الإمام والاضواء في رفع الإيذاء والاشهاد" و"فكرى لي الحضانة" سنة 1113 هـ. ويتصل بعلم الفقه موضوع التركات والأوقاف والقرائن<sup>35</sup>، وعصوص الوقف ألف "أحمد بن عثمان" "رسالة في الوقف"، ويتصل علم القرائن اتصالا وثيقا

بالفقه والحساب معا، من أبرز من ألف فيه "عبد الرحمن الأعطري" الذي وضع نظاما "لدرة البهاء" في حسابة بيت في المقرضي والحساب هذا العمل شرحه "عبد المظيف المسبح" في "عمدة البيان في معرفة فروع الأعيان"، غير أن علم الفرائض قد تدهور بمرور الزمن نتيجة ضعف العناية بالحساب والرياضيات عموما.

ويجوز علم الكلام من العلوم السائدة في الجزائر خلال العصر العثماني، فقد شاع لدى الجزائريين استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيد على حد السواء، وكانوا يعتبرون هذا العلم من أهم العلوم على الإطلاق حيث عرفه مصطفى الرماصي<sup>36</sup> في القرن الثامن عشر "علم الكلام أوثق العلوم دليلا، وأوسعها سيلا، وأشر فيها فوائد وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله دال". وقد اعتنى في هذا العهد بمؤلفات السنوسي

المعروفة بالعقائد السنوسية في التوحيد وهي العقيدة الصغرى الشهيرة وأم البراهين والعقيد الوسطى والكبرى، فشاعت في الجزائر تفسيرات لتحدد علم الكلام مضمونا لها، فكثر الشروح والتفسير على عقائد السنوسي التي أصبحت تقليدا متوارثا في تدريس الطلبة ونحشية الخواشي، وقد عبر الدكتور "سعد الله" عن ذلك قائلا: "وكان الفكر الفلسفي والديني قد تمجد عندها ولم يعد قادرا على الخوض في مسائل التوحيد إلا من خلال عقائد السنوسي...". فوضع الشيخ "سليمة بن حسن القماري" شرحا كبيرا على الصغرى قسمه إلى خمسة أقسام وجعل لكل قسم أجزاء، وقام "أورتيلاي" بنحشية عمل السنوسي، كما وضع السكتاني حاشية على صغرى وشرحا على وسطى السنوسي. و"لحمد بن الترحان" رسالة في التوحيد سماها "الدر الثمين في تحقيق القول في صفة التكوين"، كما ألف "أوراس الناصر" بعنة أصيلا في علم الكلام منها "الزهر الأكم في شرح الحكيم"، و"رحمة الأمة في اختلاف الأئمة" وناسي الوهاد في مقدمة الإجهاد" بالإضافة إلى شروح وخواشي على عقائد السنوسي.<sup>37</sup> وألف يحيى الشاوي<sup>38</sup> في التوحيد حاشية على أم البراهين و"التصنيف الربانية في جواب الأسئلة القمدانية في العقائد" إلى غير هذا من الأعمال الأخرى.

كانت الثقافة الدينية هي الثقافة السائدة بالجزائر خلال العهد العثماني، مما أدت إلى انتشار ظاهرة التصوف وسيطرها على توجه مسار الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية وحتى العلمية منها بوجه لم يسبق لهذه البلاد أن عرفت مثيلا له، وذلك بتشجيع من الحكام الذين كانوا يعتقدون في الطريقة. فكثر الإنتاج في هذا الميدان، وتوزعت الكتب والرسائل والنظومات التي تتناول التصوف من قريب أو بعيد، كالأدكار والأوراد والردود والناثبات والواعظ

والحكم والشروح الخاصة بالقصائد الصوفية، والمداخل النبوية التي تنظر إلى الرسول إلى الله عليه وسلم نظرة صوفية وروحانية.<sup>39</sup>

رغم تقدم الزمن، ظلت أعمال ابن عصب النجم الثاقب وأعمال "محمد بن يوسف السنوسي" في "الأثورات المنجية في الأسرار المنفرة" "لأحمد الثقاوي" وأعمال "أخوضي" و"عبد الرحمن التعالي" وغيرهم مصدرًا مهمًا للتأليف في التصوف وطروعه حيث عكف على دراستها وتدريسها عدة علماء أمثال "ابن مريم"، و"الغكون"، و"المورنيلاني" و"البطيوي"...، فتعددت التأليف في هذا السياق منها "رسالة في الرقص والتصديق والمذكر في الأسواق" "لأحمد بن يوسف الملباني"، ورسالة "عقد الجمان في تكملة البستان" التي جمعها الشيخ بن محمد الهاشمي وكلها رسائل في الحقائق الصوفية التي تتصل بسيرة الشيخ في حياته الطويلة، غير أنّ "مطلب الفوز والقدح في آداب طريق الأهل الفوز والصلاح" لبطيوي يعتبر من أهم كتب الشافق قديمًا ذكر حصلاً شيوخه ابن مريم، خصّ جزءاً هاماً منه حول الحياة الدينية والاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما أقرّد فصله كاملاً من مطلب الفوز ولأشياء العلماء والمتصوفة بعد نقشي الدحل والشعوبة في السنوات اللاحقة من الحكم العثماني.

كما تقدّمنا في العصر العثماني بعض الشروح في التصوف مثل العمل الذي قام به "أحمد بن أحمد الحاج البجائي التلمساني" في شرحه على قصيدة "الفتحات القديمة" لأبي الحسن علي بن باديس<sup>40</sup> سيّاه أنس المجلس في جلوس الحاديس على سنية ابن باديس"، وقام "محمد بن أحمد الشريف الجزائري" بشرح لقصيدة "شمس الدين محمد الديروطي الدمياني" القامية في التصوف<sup>41</sup> سيّاه "القول للتواضي في شرح قصيدة الدمياني"، بالإضافة إلى هذا يمكننا الإشارة إلى أنّ "عبد القادر المشرفي" قد وضع نظماً سيّاه "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط" وهو نظم على "الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة لـ محمد بن علي الجزوي".<sup>41</sup>

وشملت التأليف في التصوف المواضيع والأدعية والأوراد وغيرها من المواد الصوفية، التي اعتنى الزهاد المتصوفة بها التي تقرب الصوفي<sup>42</sup> من الله عز وجل من أشهر كتاب الأوراد والأدعية أحمد بن يوسف الملباني في أوائل القرن العاشر وأحمد البوي في القرن الثاني عشر، ولم نردنا تفاصيل دقيقة عن كتاب الأوراد خلال القرن الحادي

لولا بعض الأهمال "كثيرة البهاء"<sup>49</sup> "عبد الرحمن الأعطري" "يعد ابن حاتمي" من الذين اعلوا بالكتاب إلا أنه لم يلقه بتأليف وحسب ما ذكره في رحلته أنه لم يجتهد في هذا الميدان. وفي مقابل هذا عثرة على أرجوزة في الحساب تصاحبها "عمل بن عبد القادر"<sup>50</sup> أبرز لقي يؤول فيها باسمه "عبد الرحمن الرحيم" وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بدأت بالحمد مع الصلاة على النبي وآله الطاهرين

وبعد فاجسوما للكسور عشرة عذها بلا قصور

وقوعها أربعة مع واحد بينها يثنى بعون الواحد<sup>51</sup>

وبعد إطلاعا على بنية الأرجوزة التي وضعها ترمي في ثلاث عشر ورقة وجدناها كلها في الجبر خاصة بموضوع الكسور، والاتحاط أنه إشباع إلى هذه الطريقة للشرح ليسهل على القارئ حفظها واستيعابها ونظمها كشفي طاهر في القصور من الرواضات وغيرها من العلوم العقلية. أما بأسلوب الحساب في نظر على ورقة واحدة الشغل الجبري هذا العلم خلال هذه الفترة، إلا ما ورد في رحلة "ابن حاتمي" عندما أذكر أن له تأليف في الحساب والمقدسة بعنوان "جميع التجميع في علم الكسبية" والتي هو حسب إعتقاده جزءا من كتابات بعض تأليف الصغاري ويستشف ذلك من خلال قوله "وأعجبت فكري حتى أعرجها لم يبدل أن الألف فيها"<sup>52</sup>...

يعتبر علم الفلك من العلوم العقلية التي عصبها العلماء بالدراسة والتأليف خلال العهد العثماني، ويظهر هذا الاهتمام في الإقبال على حفظ ودراسة تراث القرن التاسع بأرجوزة النجم الميزان "علي بن أبي الرجال القيم والي" (ت 432 هـ) و "مكتومة بنية العلاب في علم الأسطرلاب"<sup>53</sup> "للصالح" حيث جرت قراة هذه التأليف للثكنة تدارس في حلقات العلب ويتقدم الزمن ظهور عدا وجم، أعدت هذا العلم أمثال "عبد الرحمن الأعطري" الذي وضع نظما سماه "تسراج في علم الفلك"<sup>54</sup> 999 هـ إذ يقول فيه ".... ندم إعتدال أمر بعركات الفلك ولا نساء الله من

عند من غاص لجأ بصر تلك حقا يا بطل بركة أهرام اللشترى وزحل<sup>55</sup> ... "وكان في السراج" حدثت عن أمور عديدة خاصة بالفصول ، وبالطب البلى والجهار وبعض القواعد العقلية غير أنه أصبحت فيه بعض التقلبات والشكوك والتي عقد كما مجرد إسقاطات لبعض النسخ ، ورغم ذلك يقول "السراج" من أهم الأعمال في علم الفلك نظرا لكون السراج عليه من طبعه الحاجة في شرح السراج" يستعملون من حضانة فرعونى وفونسيسى "جواهر فجاج في الفروع السراج" ليهول ، وألف ابن علي الشريف "مقام الإسماعيل بطبع في دار الفنون وصالح البردي والأندلس" وهو كتاب في الفلك والنجوم كنه سنة 1192 هـ. بالإضافة إلى عدة مؤلفات في الفلك من بينها "الشمس البصار في معرفة حكمة الظاهر" "لعمد الله بن عزوز التركاني" ، "تأليف في الرحمة الظلية"<sup>56</sup> لعمد الرزاق بن حاموش" و "شفاعة الجرحية في العدل بالصفحة المصيبة" الذي وضعه أحمد الصخري سنة 1243 هـ.

يحتل الطب<sup>57</sup> من العلوم الجامعة غير أنه لم يلق العناية اللازمة به خلال العهد العثماني ربحا لانصراف بعض العلماء عنه لتربية العلوم العقلية أو لسيطرة فكرة القضاة والقدر في هذا الشأن على طول الناس بصفة عامة، والعلماء بعض الآخر إلى الإنجاء والتداوي بالأعشاب الطبيعية للحفاظ على الصحة. هذا ما دفع بالرحالة الأوروبيون إلى الحزم في الكثير من المرات أنه لم يكن بالحفاظ أحياء ولا مهتمين بالطب خلال العهد العثماني وهذا من خلال ما عثر عنه وتكلم عليهم "... أن علم الطب لا يوجد من يدرجه، وهذا إما ما استنبطه الشعوب من كتب المبرور<sup>58</sup> .

ولعل هذا الحكم كان بعد ملاحظته لطريقة التداوي في المجتمع، لأن معظم الأدوية الشائعة كانت تتناول الجانب السطحي من جسم الإنسان بالإضافة إلى الاعتناء على الطريقة التقليدية في التشاوي لاعتلا كانوا يفتخرون على الحسى ببناء الشفورة والتبرم بالحداء<sup>59</sup> والجذري والتأذي والعسل، كما استعملوا وسائل الكلى والمجففة ونحو ذلك والمجرب بالذكور لم يستوى الطب راسع نسبيا في إيالة القوت ولعل هذا يمكن أن ترجمه إلى عدم إعترافه بسيطرة العلوم العقلية وحيمة روح النعز قد على المجتمع الميزقري عصره.

إضافة المادة أن العلم يقتصر على الجانب النظري ثم انهم يعتقدون الموت ويشربون حواشي في أعمالهم  
آخرين، لهذا الجانب التطبيقي من الطب، الصمدية، الكيمياء... فإن معظمهم كان يؤمن أن الطب مقصور على  
الأوربيين.

الطبعة العسكرية للمجتمع الجزائري خلال أهم العثماني، والحكم لم يتعدوا بالتعليم فكل من يشهدون بالعلوم؟ لما  
يخلصهم من صحتهم فكثيرا ما كانوا يلجئون إلى استخدام الأطباء الأوروبيين فضلا عن كونهم يائي قسطنطينية الطب لثب  
طبيبا عولندية يدعى مانتون.<sup>60</sup>

ولكن في مقابل هذا نحن لا ننفي المبادرات الطبية من قبل بعض العلماء بهذا العلم، فتجد عبد الرزاق بن  
عادل من الذين درسوا وأكفوا في الطب من خلال كتابه "الجمهر المكنون من بحر القلندر" ويظهر اهتمامه من  
خلال تعبيره عن هذا العلم بقوله "تجدد في هذا العلم الذي لا ينفك عن الحياة الإنسانية لكل جاد جاد هذا شأنه، الجامع الطب  
جعا كتابيا".<sup>61</sup> والكائن أقرب إلى أربعة كتب: السموم والعلاج منها، والذي في الفتنات، والمجاهدين، والكتاب الثالث  
في الأمراض، أما الرابع فهو خاص بالأعشاب والأدوية وعلى ما يبدو أن من عاينوا كتابه في الطب والصيدلة  
"... الدواء القوي هو الدواء الذي من شأنه أن يمدد غوام العضو، وهو ما يراه جالينوس في دهن الزبد، وهو الدواء  
الذي من شأنه أن يمدد في العضو حرارة ويجدد السائل إليه أو يكثر ويمنحه عن السيلان حتى يحسب التعصب في  
الأدوية".<sup>62</sup>

ويحترق من حرور المراكشي من الذين أتوا الطب وأكفوا فيه من خلال كتابه ذات الكسوف، وفي الطبقات في  
علم الطب والطب إلى استطاعته... فقد احتاج في صديقه ما نحن بسل كشفا عن معنى الطب والطب  
والحكمة... وعمل ما لا بد للذكر لطالب هذا العلم الشريف والله يعصمنا من الأخطاء.<sup>63</sup> وبعد اطلاعا على  
الخطوط وجدنا أنه يعرض الباب الأول للطب النجدي والباب الثاني للطب النفسي والروحي ونستشف ذلك في  
قوله "... واعلموا أيها الناس أن كون الشعر دليل قاطع على معرفة المزاج والطبع وتلك لأشك فيه إذ من كان شعره

ينص كان مزاجه رحيماً<sup>64</sup>، وهناك أيضاً من اعتنق بالعلم على عهد بن أحمد الشريف بتأليف رسالة في الطب سماعاً للرسالة في الطب من قبله، حيث لا يخفى أن الكيمياء فرع من الفنون من العلوم العقلية التجريبية نظراً لأنهم لم يكتفوا بالصيدلة لذلك أملاً لها بالسكون غاية خاصة جسد في هذا الفطارة العربية الإسلامية<sup>65</sup>، ولكن بحلول العهد العباسي لم يعد هذا العلم يتمتع بمكانته الأولى بين العلوم، حيث أصبح علم الكيمياء محلاً لحراب من العلماء ولعل هذا يرجع إلى عدة أسباب:

- انصراف الطلبة والعلماء إلى دراسة علوم الآداب والتصوف.
- عدم وجود أساتذة أخصاء في هذا المجال، وبقي من الشغل به فهو مجرد هواية وليست حرفة على إقبال علم الكيمياء.

وهذا ما عرّف عنه شلو بيرة من السخرية<sup>66</sup>، بأن علم الكيمياء لم يعد في الحضارة سوى صناعة ماء النور<sup>67</sup>، بعد أن كان يحيا عند العلماء المسلمين الأوائل... "وأما حاشية يستدل على ذلك واحدة تدل على وجود هذا العلم في العهد العباسي، إلا أنها كانت قد صارت في فروع الأدب والعلوم، إذ حكمت على إنتاج الجزائريين في علم المنطق بعد أن تركوا هناك دراسة معتادة في هذا المجال، حيث لا يظهر إلا إنتاج حقيقي لبعض العلماء أمثال حميد بن يوسف وحميد بن عبد الكريم الغيلي، ولعل هذا يعود إلى أمرين:

- صعوبة علم المنطق الذي يحتاج إلى الإحاطة الواسعة على كتابات الأولين.
  - طغيان علم التصوف وانتشار المنطق من بين علوم الفلسفة التي تؤدي إلى الفكر والإبداع والتفكير.
- وبذلك خلقت قيمة علم المنطق كجبهة مقابلة بالعلوم الأخرى رغم ما اوجاه بعض العلماء من تنقير في هذا العلم، ومن بين من درس المنطق واشتغل به "سعيد قدورة"<sup>68</sup>، "أبو حماد وش" لكن قيمته بقيت معلومة إلى جانب العلوم الأخرى، فقد ذكر "أبو بكر"<sup>69</sup> "أبو بعض العلماء" قد تغلب عليهم الشغل لكن هذا مخالف طبعهم الغلبة كاشيخ "علي المغربي" في القرن 14م، ويده أنه من أبرز علماء المنطق بعد "عبد الرحمن الأعطري" الذي وضع جزاً في المنطق بلغ ثلاثة وثلاثين كتاباً بعنوان "العلم الزواني في علم المنطق" وقد عرفه في أرجوزته.

وربما المثلث للجنس - نسبة كالنحو للسان

فيصير الأكابر من غير الشفا<sup>48</sup> وعن مائتي التهم يكتب الخطأ

يصبح هذا الترحيز بمعددة الطلاب والأستاذ في المدارس والتوجه شرقاً للغرب والشرق والغرب نحواً أربعة فروع، وبذلك تولدت الشروح والمواظبي عليه كما اعتنى به "عبد الرزاق ابن خادوش" من خلال اهتمامه بشرح تراجم القرنين هـ حيث وضع شرحاً على "كتاب أيساغوجي في المنطق" وحاتية على مختصر السوسني سنة 1001 هـ وسماه "توابع الناصر" في هذا العلم عندما وضع شرحاً على مسلم الأخطري "سماه" كقول المسلم في شرح المسلم "والعلمي" وضع شرحاً على "مرج البحرين" لأبي يعقوب ابن إبراهيم الأورجلاني "سماه" تعاقب الزوجين في شرح مرج البحرين "وكانت مساهمة أبي ناصر الشاعر والنسفي عامة جداً باعتبار أنها لم تكونا من التصوف"<sup>49</sup> من خلال ما سبق نجد أنه رغم المساهمات التي أبدتها العلماء الجزائريين في علم المنطق إلا أنها بقيت دون الشرح وترجمة أعمال علماء كثيرين باستثناء مساهمة الأخطري.

أما علم التاريخ كانت العناية به ضعيفة نظراً لسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية على هذا العلم، ولم يعرف تطوراً إلا خلال القرنين الثاني عشر، حيث كتب العلماء على الإكثار بترجمات الأوريز والأتارب، فبدأت حرفة التوابع "بأن التاريخ لغة المسلمين، الذي عن الأتارب والمسلمين"، وروى لهجه 1660 "لقد اعتنى به الأمازيغ الأمازيغ وجهاً بذاً على علاقة ومدة"<sup>50</sup>، غير أن العمل في هذا العلم انحصر على التواريخ المحلية والتراجم والتراجمات، ولم يكتب واحد منهم تاريخاً عاماً للتجزائر وهذا يرجع لعدة أسباب:

- التواضع كمال يعيش ضمن جغرافيا معينة ويقتصر على مساحة ضيقة.
- عبادة الكفالة الخاصة على علم التاريخ (النظرة القديمة لتاريخ من كونه تاريخ أمراء ومملوك).
- معظم التأليف التاريخية كانت في شكل تصديقات أو قصائد - أجزءاً، وبذلك يصبح التاريخ لتفسير ما مضى أو صادق به الأدب ويكتفي أن يشير إلى راجع "عبد الجليلي" في فتح وهران الأولى.



ورغم هذا فقد تعددت المؤلفات في التاريخ بمختلف اتجاهاته في الفترة العثمانية، نظم المؤرخون الأعمال والأخبار، ومن الممكن أن تعد كل ما قيل من شعر في التاريخ النبوية جزءا من تاريخ "المؤمنين على عهد رسولهم"، والتلف "أحمد القرني" تأليف كثيرة في السيرة النبوية ومن أهم أعماله في ذلك "فتح السعدان في تعداد الرسول صلى الله عليه وسلم"، أما "أحمد بن قاسم الوالي" كانت تأليفه في السيرة النبوية نظرا وبعضها نشر ومن ذلك نظم "مختصر النبوة" ومن كثرة "تتويج السيرة بذكر أعظم سيرة" أما في التاريخ العام والحلي، نجد كتاب "أحمد القرني" "فتح العلي" و"لؤلؤة الزمان" الذي يتناول عوفا عامة من تاريخ الأندلس، وفي التاريخ المحلي هناك عدة تأليف من بينها "سيرة المظفر في أخبار الدغاجين تحت ولاية الأسبان" يورع أن من الأخرى "كتبت عامر لعبد القادر المشرقي"، الذي تعرض فيه بالتفصيل للقبائل بني عامر مع بيان احتكم الشرعي في تعاملهم مع الأسبان، انظم BODIN بهجة المظفر فنشر بعدها بالعربي مع ترجمة بالفرنسية في المجلة الإفريقية لعام 1924 (ص: 193-190) مع عرض لأهم الأحداث التي عرفتها وهران تحت سيطرة الأسبان "ومن الذين اهتموا بالتراجم والتاريخ "ابن المظفر" في كتابه "تقديرات" الذي يعد مؤلفا ضخما ترجم له لأحوال عصره وقسمه إلى ثلاثة أقسام: المقدمة قسم العلماء والمجتمع - قسم العشائر والجماعات السياسية - ترجم لخرافي 14 بانثا وهو عمل كبير مقارنة مع أعمال ذلك العصر في التاريخ حسب رأي "فيغولكس" الذي ذكر "أحمد بن قاسم" وجملة من جمع معلومات عامة عن العصر - أحمد لا تتوفر في غير كتابه، وأما معلومات لا يمكن أن تكون مختلفة".

أما الرحلات<sup>72</sup> فقد اهتم المؤرخون مساهمة والمجتمعة في تشكيل الرحلات ولاسيما خلال القرن الثامن عشر (18) وما كانت بعض رحلات نتيجة للحج وبعضها نتيجة لطلب العلم، غير أن التأليف تباينت في تناولها بين شعر ونظم فمن الرحلات الشعرية نجد قصيدة لمحمد بن منصور العامري التلمساني الذي فرغ منها سنة 1661 هجرية قصيدة هجرية متوسطة البقرة، ومن النماذج الرحلات المكتوبة بالشعر الملمعون لدينا قصيدة محمد بن صائب التلمساني التي وصف فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة قد ضمت شوقه وتوبته وتذنيه وتبدأ رحلته به:

بالورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها

وحمل كل إثن الرحلات الشعرية بتوحيها صيغت بأسلوب بسيط ففاح لأن الهدف منها ليس خدمة الأدب أو تحليده الأثر فيه وإنما التعبير عن الشوق لزيارة قبر "المصطفى" على الله عليه وسلم". أما الشريعة منها فهي التي يسجل فيها الصعاب والتضاميم عما شاهدوه وسمعوه ليس فقط في الحجارة، ولكن في مختلف المدن والأقطار التي مروا بها ولم ترد بين أيدينا الوثائق التي تبرهن أن أحدا من الجزائريين قد سجل اعتناعه في كل هذه الأماكن غير أن القرب من رحلات في ذلك هي رحلة "الورتلاني" ورحلة "أبي راس" الأخير<sup>73</sup>.

وتجدر الإشارة أن معظم الرحلات من إنتاج القرن الثامن عشر<sup>74</sup> (1811م) أي أننا لا نعلم إن أحد العلماء قد سجل رحلة حجارية شوية خلال القرن العاشر أو الحادي عشر مثل "عبد الكريم الفكون" الذي مثل حول سبيله يورد وكتب الحج من قسنطينة إلى الحرمين ثم يفتي بأنه لم يصلها أنه كتب في فن الرحلة وهم بتقليده الكثيرة. وأول الرحلات الحجارية الشوية رحلة "العبد من قسنطينة" للسبلة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية" ورحلة "أبو حجاز" "سبلة السبب في أصداف الرحلة إلى الخيبر" 1866م. فلهذا أخبار كثيرة في انطباعات متنوعة ينعكس على جوار بالمحرمين ثم يفتي في عشر سنة أقام بمصر، وكتب "أبو راس" على شاكلته مشددا في هذا الفن كتاب "فتح الآلة ومنه في السند بتفصيل ربي وتعمده"، خص فصلا منها سبها في رحلتني للشرق والغرب وغيره، وإهداء العلماء الاعلام وما جرى في معهم من الترافعة<sup>75</sup> والكلام".

يستشف من خلال ما سبق أن حركة العلوم في المجتمع كانت تسير وفق دواير الأوضاع السياسية والاجتماعية وحتى الأخلاقية، فالعلوم السانحة تحكمت فيها علاقات الإيالة الخارجية، لذلك تواجعت بين المنهج والمضمون مع بروز لغات هجينة أثرت على الأدب في السنوات اللاحقة وحتى التأليف فيها لم يخرج عن إطار التقليد، لم لا جهود بعض العلماء في مجال النحو والصرف التي سرعان ما ماتت في روتين الحياة الصوفية، أما العلوم العقلية فتصيرت بكثرة القول والشروح من جهة والتأليف البدائية من جهة أخرى كالنوازل والفتاوى أبرزها فتوى البولي في الجهاد، كما أدى التأليف في الصوف بالعلوم العقلية إلى الانحطاط عندما لبس العلماء القسب والشتم والامانات في الردود والروايات وهذا دليل كاف على أن الحياة الروحية في الجزائر خلال العهد العثماني كانت تنظر عليها الأفكار القهريّة ولهم أفضلية جوفاء نظرا للأحوال الاجتماعية المتردية والتي تركت بصماتها حتى في تفكير العلماء والمفكرين والمثلي

المعرفة اصدق مثال على ذلك إذ كيف تتحول الأوضاع السياسية للثورة و الأجنحة القومية إلى عوامل مخرقة للأفراد  
بمختلف شرائحهم ومستوياتهم، وبالتالي كان لابد للعلوم التطبيقية أن تأثر على قرار العلوم الأخرى حيث تميزت  
بالتركيز والشمول طوال القرنين العاشر والحادي عشر ميلاديين مع بعض التغيرات القومية التي لم ترق إلى المستوى  
المطلوب ثم امتدت بصورة نسبية في بعض العلوم كالصحة العامة والتشخيص لكنها لم تصل إلى درجة الإنتاج  
وبذلك لا يوافق اعادوات بعض الفراء الرامية أن المؤرخين لم يقدموا بأي علم من العلوم خلال العهد العثماني  
مما قد يفسد الفراء لعدة اعوام لتعمل أبرزها: الكمال معاد الدولة المؤرخية بجميع مقدمها خلال العهد العثماني  
أن القاريو الفراء نسبة نظرا لانهما ملا حظا في حفظ جغرافي معين، فهم لم يتفلقوا بين زرع الجوارح شرقها  
وجربها وشربها، بل نجد بعض القاريو تقولعت حول مدينة الجزائر كغير المعروفة وخاصة للإقامة وأوس  
المؤرخ جعفر أديبا العامة، لذلك نقول أن دراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بصفة عامة وأهمية الثقافية خاصة  
لا تزال تحتاج إلى الكثير من البحث والتقصي، مماولين أن نهدف جهودنا المتواضعة إلى جهود المؤرخين المتفانية من  
أجل كشف الستار عن النظم من تاريخها خلال هذه الفترة.

### المراجع

1- عيسى جاك: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة مكناس 1931-1938، وهو دة الف العرب للشرق والشرق من

38.

2- جاسم بن عبد الله بن علي الزمعي، مخطوط شرح في النحو مخطوط عرنا على مخرقة المرحوم البشير المصمودي، رواية المرح جاسم بن عبد الله  
بن تاريخ 24 أبريل 2003، وعلى ما يشر أنه لا يقسم كتابه إلى فصول وإنما حقا بصفحات ملاء باب العرب والمسلمين ثم يورد لهؤلاء  
وذلك مع جميع الأوزار.

3- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثاني، من الفترة العاشر إلى الرابع عشر الهجري (18-17) المؤثرات الفكرية للدار والشرق  
الجزء 2، ص 153.

4- الخطبة هي تعبئة لشعرية في مزاج الربو من قبل الله عليه وسلم كتبها الخديفي في أغسطس الثامن من أغسطس سنة 1000 هـ، 1678 م، عند  
رجوعه من القلاع للقسمة حسب الرواية الشعبية لئلا يها في سوق الحناء خلف أحمد الأفرانج أن يفسد على ظهره إلى حياء، ص 47، مرجع  
وبذلك أعادت دراسة الشعرية لقرية على الخديفي ما ساعد على التفرغ من الزمرد في الإزادار لظهور الطريقة الخيرية وهي من الفاء  
التي تورد الباشا المصمودي.

- ٥- «أولت الحقيقة في عصر الجاهل إحدى السمات الأصيلة التي تميزت بصفوة كبيرة لأنها تلائم تلك العصر، حيث كانت القبائل العربية تعيش حياة بدوية في كثير من الأحيان وكان الخطيب أحياناً يلقى لشهامه على من يوافقها في السلم والحرب، ومع أنها تعد كثر من الخطب التي تقاتل في ذلك الوقت لعدم العزيم حيث كان يأتى من بعض الخطب يأتى من القدرة في الإرتجال استجابة العرب وبذلك ما عرفت به الخطبة من قصدها وبذلك لم تظهر هذه الخطبة بعد ظهور الإسلام وتغيرت في أسلوبها وأهمها نظراً إلى طبيعة جديدة وطريقة تارخها وتعدد أساليبها وأنوع أشكالها، ولكن حين جاء العهد الأتوني رجعت الخطبة إلى ما يشبه عصر الخطبة من حيث الأعراس والقيمة والاهتمام بها، وبعد الخطبة عملاً أصح في هذا الصرح السياسي والديني بين الفرق الإسلامية لذلك أصبحت الموضوعات، ومجسدت الأساليب، وبرا عميقة لشكل المتحاج من يوسف الشامي، ولا جاء عهد العثمانيين لتأخر الصراخ ولم هذه الخطبة العربية المستوحى من كلمات أخرى تعكست الخطبة لها مثلاً أكثر منه من قبله، ونحن نذكر الأدب العربي في العصور الثلاثة حتى عصر الأتراك وأن الخطبة عليها أكثر منه من العصور من الإصلاح نظر عهد العثماني، الخطبان في العلم الحضاري الحديث، ص ٤٨.
- ٦- «بعد انه الفرنسي، الخطبان في العصر الحضاري الحديث، مجلة الأمل، السنة ٤، العدد ٢٥، ص ١٨٥، الثانية ١٩٥٥، ص ١٨٥.
- ٧- «تأثير حركات دينية جديدة من أحد القوي، نسبة إلى مقابلة من قوى بلاد الغرب، ولد سنة ١٩٥٥ في تونس، الحقيقة وإنه لم يمتدح في عري سواد سنة ١٩٦٥ من ١٩٦٥ هذا نظر الحضاري، تعريف الخطب، رجال النهضة، الجزء ١، ص ٢٢٧.
- ٨- «ولد، جوهرة، مجلة عهد العثماني، عظمى بالكتابة الوطنية بالعلماء تحت رقم ١٢٥٥، الجزء ١.
- ٩- «أولى نسبة لوجي، الذي تأسس في كتبه الدولة لثورة، لخصاً حرام من مخرج بربر ودر قرآن، روح سليم تومي، وقال أنه وجدها مكتوبة على قرآن وأنها مكتوبة، وقد حار عليها بخرافة القرايط حراز الذي كان عنه أنه ربما يكون من أصل سليم تومي، مثلاً عن أبو القاسم سعد الله، تاريخ سواد الشامي الجزء ٢، ص ٢١٥.
- ١٠- «أبو القاسم سعد الله، أكتفهم ومقتضيات ابن حزم وابن الجوزي، مجلة الفتاة، العدد ٧٩، السنة ١٩٧٥، الجزء الثاني، الخطبة للعلم والكونج، ص ٢٥.
- ١١- «روح محمد فرح، بالعلم ثبات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والإقتصادية والانتاج مع تحليل كتاب القرآن البسيط في أبعاد تطبيقه لخصم في بابها، ص ١٩٧٧، الجزء ١، مؤلفات الشريعة والعلوم، ص ٨٥.
- ١٢- «صالح فرغوس، الشامي عهد التكوين، بحث الخطبة والخطبة، مجلة الفتاة، العدد ١١، عام ١٩٧٥، أو المجلة ١٩٧٧، ص ١٩٧٧.
- ١٣- «الجزيرة، الخطبة الوطنية للعلم والكونج، ص ١٥.
- ١٤- «أولاً بولس، مجلة الفتاة في المراكز خلال العهد العثماني، أبو القاسم سعد الله، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، ص ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص ١٢٥.
- ١٥- «أولاً القاسم سعد الله، تاريخ الشامي، الجزء ١، ص ٢٢٧.
- ١٦- «حسن نصر، الشعر الشامي العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، بيروت، مكتبة ابن خلدون، ص ٣١.

- ١٥- الجريدة الإفريقية عدد 62، سنة 1914، ترجمات إلى الفرنسية وتعليق عليها: *Magasin de l'Inde* سنة 1942، ص 246، نسخة ثانية منشورة بالقاهرة في مجلدات مكتبة جامعة القاهرة، ص 246.
- ١٦- أبو راس محمد الناصر، ص 42 ويصف في الكتاب كيف يتصلق ابن كسان بالقائم والحقيق بعد من عهد الكروية الجزائرية (الغزوات)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1982، ص 41.
- ١٧- عبد الرزاق بن حناوش، أسناد القضاة في كذا عن الحبس والسبب والحالة للقائم والحقيق أبو القاسم بعد عهد الغزوات الشريفة في جريدة الشرق، ص 211.
- ١٨- أبو القاسم بعد الله، أر جمع السبيل، الجزائر، ص 18.
- ١٩- محمد أبو راس الناصر، القصور، ص 174.
- ٢٠- أبو القاسم بعد الله، أر جمع نفسه، ص 20.
- ٢١- ابن مريم التلمساني، السبيل في ذكر العلماء والأولياء، بنسبته، القاسم والحقيق بعد أحمد حسان، الجزائر، ص 285.
- ٢٢- ابن الكريم الكروية، مشهور بحدائق في كذا، عدل من إمامي العلم وأولياء القاسم والحقيق أبو القاسم بعد الله، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ص 84.
- ٢٣- أبو حنيفة بعد الله من محمد الشرايبي المعروف بالخرق، من مؤلفاته، ص 4، القاسم في رسم أعرف الفرق باب في نسخة الشريفة، براس ص 4، شرح على الحظيرة، شرح على الشريعة وعدة الذين في القاسم، ص 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

[illegible][illegible]

هذه هي الحال الإيجابية والإيجابية في الإحصاءات على الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية من الإحصاءات التي تغطيها هذه الدراسة. أما في الجانب الآخر، فإن الإحصاءات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية من الإحصاءات التي تغطيها هذه الدراسة.

<sup>48</sup> - Cf. Hofer, *histoire des mathématiques*, par. 611 et typographie ibidem, page 1

٥٠ — أبو القاسم سعيد الطائي، المجمع السالك، الجزء ٢، ص ٦٨.

[illegible]

١- نظم العرب في وسط الكسور، سورة ٥٢

<sup>42</sup> - عبد الرزاق ابن حاتم، المصدر السابق، ص 243.

٣٦- وهو مطبوع في مراكش الفكراب الثانية والستة كما والنسخة، ويستند تحقيقه لذلك الحركات على النسخة والأوضاع للأقلام  
 من هذا الحركه للنسخة مطبوع في حيد، أنظر عبد الرحمن بن عبد الله القاسم، ص 194.

[illegible]

<sup>١</sup> - عبد الله بن الأحمق، ونداء أول علم الفلك، مخطوط مكتبة أبي حنيفة بغداد، رقم ٢٠٨٥، الرقم ١.

<sup>9</sup> - عبد الله بن جابر بن العلاء السدوسي، ص 147.

١٥٦- إن الخطب صيغت لتظهر في ذات الإنسان من جديد، تعرض ويصبح يتناول قضاياها على حثيثه الفسحة، ويرد عرض الأهمية والألفة بعد  
الذين تعرض ثاني إياهم قبل عظم من استناده (الذين)، شجبت لذلك الأهمية التي تتألفها وذلك لكل عرض من الأهمية مستند على تأكيد  
من الأهمية بعد، على الصلة لذلك أهمية استجابه وقوله الدوام. <sup>١٥٧</sup> كل هذا من العرض من قبله، لذلك، من ١٥٨

<sup>9</sup> Tamas Shaw, voyage dans le royaume d'Alger, traduit de l'anglais par E. Mac Carthy, Alger, éditions Grand Alger livres, 1107, page 337.

<sup>٤٥</sup> - لم يقاسم سعد الله المرجع السابق، الجريدة، ص ٤٤١.

١٨- عبد الرزاق، ابن حنبل، كتاب الموطأ، المطبوع في دار الحديث بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

2- عبد الرزاق ابن حنبل، مشهور، كنفية، رقم 101 في كتاب الأعيان، والورقة 104.

(٢٠) - عبد الله بن عمار بن العباس، أستاذ الكوفة، وعضو القضاة في أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد.

<sup>64</sup> - عبد القادر عواد، *الكتاب، دعوى الكسوف*، وفي الطرقات في علم الطب، الزودة: 95.

<sup>5</sup> Abdelkader Gaïd, *histoire de la chersie*, Alger : office des publications universitaires, 1998, 23.

5- Temperature, Cp<lt, Page 356

<sup>69</sup> - عبد الحميد القانون، دستور الخلافة في العهد العثماني، دار الفكر، بيروت، 1997، ص 10.

٧٩٠

- 68- عبد الرحمن الأخطري، السلم المروقي في علم النطق، مخطوط طرنا عليه بخرقة لزوم البشير محمود، 06-06-2008 ورقة 05، تم إطلاعنا على نسx المخطوط بالكتبة الوطنية بالقائمة، الجزائر العاصمة، تحت رقم 2640.
- 69- محمد بوشناق، الذي على حوجة وإصلاحات (1817-1818) مجلة مصور، العدد 1، جوان 2009 وهران: مكتبة التراث للطباعة والنشر والتوزيع، ص 38.
- 70- محمد أهراسي، عناصر، الحلق السدسية في كتاب عزري وإعزيرة الأندلسية، مخطوط حارس، التورقة 14.
- 71- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص 413، ص 415.
- 72- الرحلة في اللغة: الترحيل والإرحال بمعنى الأشخاص والإزجاج وشغل رجل الرجل إلى سائر، فكل رحلة هذا بمعنى السير والترحال في الأرض، وجماعت الرحلة بمعنى الإرحال أي الانتقال، والرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان الرحلة الوجهة، أو القصد الذي يركب السفر إليه، ويعني فتوا كان أم لا الوصول إليه لم يقترب وقت الرحيل، وهذه المعاني كلها لفظ الرحلة يطلق على من تنقل من مكان لآخر، ومنه أخذ لفظ الرحالة، وهو الشخص المتنقل من مكان إلى آخر والشخص الذي قام بالرحلة، قد ترك موطنه وتنقل إلى مكان آخر وسافر من موطنه، وقصد جهة أخرى غير موطنه وسافر إليها إذا كان لفظ الرحلة أهم وتشتب ما يطلق على المسافرين من مكان لآخر.
- ورحلات المسلمين منذ بدايتها كانت كاملة متوفرة بها جميع الأسباب والوسائل فمنهم من راعى لأخذ العلم ومنهم من راعى كسب إلى غير ذلك من الرحلات المتعددة، وهذه النوع من الرحلات شاع في المغرب، ولم تلبث الرحلات أن تأصلت في المغرب، وأصبحت لها فئات بذاته من حيث تكوينه وأسلوبه فبرز في مغرب يشمل تاريخ الحروب والوصول في كل مدينة مع إعطاء لحة واجبة عنها، نظر هو أطلب محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجوز في القرن السابع والثامن الهجري، دراسة تحليلية، مقاربة، ص 47.
- ص 21.
- 73- أبو القاسم سعد الله المرجع السابق، الجزء 2، ص 404.
- 74- محمد أهراسي، عناصر، المصادر لنفسه، ص 51.



## ثورة سيدي الأزرق بلحاج الفليقي بقليزان 1864

أ/العربي سعيد

جامعة بقليزان

كتب بعضهم عن ثورة "سيدي الأزرق بلحاج" (1) التي عاشها أبناء قبيلة "فليتة" (2) سنة 1864 م بمنطقة غليزان و ضواحيها، ولكن بإيجاز شديد، و حتى في كتب التاريخ المقررة بالؤسسات التعليمية، لا يجد فيها التلاميذ و الطلبة ما يشير إلى أحداثها في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر. لذلك رأينا من المقيد الوقوف عن بعض المحطات التي مازالت مجهولة عن ثورة "فليتة"، وكونها كانت امتدادا لقاضيات سيدي فرج و أحد باي 1830 م، و الأمير عبد القادر 1832 م، و يومعة 1845 م، و أولاد سيدي الشيخ 1864 م و ما بعدها، مشكلة خطرا حقيقيا على الاحتلال الفرنسي وقتذاك.

## التحليل الفرنسي للثورة تأليب امرأتين عدة قبائل

وسط ظروف متميزة باستعراة المستوطنين على مساحات هامة من الأراضي الخصبة بسهل غليزان تقدر بـ 32 ألف هكتار، كما بني لهم 36 مركزا استعماريًا خلال سنوات قليلة من (1858-1863 م) (3) و زيادة على الإجراءات التعسفة، التمثلة في الساس بالحريات، ثارت أعراش عدة قبائل، من بينها قبيلة فليتة، التي انطلقت من ترابها سنة 1864 م شرارة ثورة بزعمارة الثائر "سي لزرق الفليقي"، و عرفت أيضا بثورة فليتة، التي شملت عدة مناطق من غليزان و ضواحيه (4).

وقد أرجع الجنرال "لاباسي" (5) أسباب اندلاعها إلى: "سوء نسيير المكاتب العربية لشؤون الأعراش و الدواوير إلى جانب تعيين قياد على أعراش لا يتمون إليها، كما زعم أن التعصب الديني كان وراء هذه الثورة الشعبية عام 1864 م" (6). و مستند أيضا على تقارير أحد الضباط الكلفين بالمهام الاستثنائية بقوله: "أن الجزائريين قبل ستين أو أكثر من اندلاع ثورة فليتة، كانوا يتسارعون حول شيوخ درقاوة" (7). و ظل "لاباسي" من الترحمين لمحاربة المرابطين و الطرق الصوفية أو الأرستقراطية الدينية على حد تعبيره (8).

و لكن الأسباب الحقيقية التي مجاهلها "لاباسي" و ضباط الاحتلال الفرنسي، تكمن في موقف الجزائريين الراضين للاحتلال، و لكل القوانين الفرنسية الجائرة التي حاوت للساس هويتهم، و استقلالهم، و الاستيلاء على أراضيهم، و تفكيك روابطهم الاجتماعية و العائلية، و من تلك القوانين المرسوم المشيخي لسنة 1863 م الذي كانت له آثار سلبية على التنظيم العائلي، و الاقتصادي في المجتمع الجزائري (9).

يعتبر هجوم يومي 12 و 13 ماي 1864م على طابور العقيد "الاباسي" المتكون من 800 عسكري بمركز زمورة من أهم الأحداث الأولى والتي عرفتها منطقة غليزان وخصواحيها ولذلك<sup>[10]</sup> . فبعدما كان "سبيدي الأزرق" القليلي "على علم بتحركات العقيد "الاباسي" أحكم خطة للهجوم عليه إنتقل عليها سرا مع جميع جنلي الأعراش في لقاء جمعهم يوم 10 ماي 1864م بسوق مدينة الرحوية (تيارت)<sup>[11]</sup> كما دعم سراجي العرق الصوفية (الرحمانية و القنارية و الشاذلية و الدرقاوية و السنوسية) بهذه الثورة بحيث تمكن "سبيدي الأزرق" بلحاج" من تخليد ما بين (2500 و 3000) شخص ينتمون إلى كل أعراش منطقة غليزان<sup>[12]</sup> ومنها قبائل زمورة و الطلوس و عبي موسى و وادي أريهو ... وغيرها<sup>[13]</sup> . وهو ما يدل على إستعداد سكان المنطقة لمواجهة العدو الفرنسي، ومهما كانت التضحيات . وذكر العقيد "الاباسي" في مذكراته: " أنه سمع ليلة 12 ماي 1864م، غلقات رحاصي موجهة نحو مراكز جنوده في زمورة، مصحوبة بالأصوات لنادية بالجهاد، و لما طلع النهار صبيحة يوم 13 ماي 1864م، وجد "الاباسي" الفرصة سانحة للإسعاد (الفرار) ولكن الثوار حاصروا في منطقة زاوية "سبيدي أحمد بن عودة" ، وكان عدد الثوار بحوالي 150 فارس و 2000 من المشاة ... " <sup>[14]</sup> . ودامت معركة زمورة إلى غاية الساعة الواحدة بعد الزوال أسفرت عن مقتل سبيدي فرنسي واحد، و جرح أربعة آخرين مع إستشهاده 26 مجاهدا، وفي حرب "الاباسي" بقيت جنوده إلى مدينة غليزان طلبا للدعم من فرقة المشاة رقم 67 بالمركز العسكري الفرنسي المقيم مستغانم<sup>[15]</sup> وبعد تحرير زمورة بهاجم الثوار برج الرحوية<sup>[16]</sup> يوم 21 ماي 1864م، بمشاركة ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف ثار آخر موا التيران في أكوام التبن وأحرقوا أربع فحمت في السور سحبت لم العمدية باقتحام القنعة فدخلوا المركز<sup>[17]</sup> وقد شهد "سي الأزرق القليلي" ساعته واقفا على جميع أنيابه بأمرهم بالإسحاب بعد وصول التجندات العسكرية بقيادة العقيد "الاباسي"<sup>[18]</sup> . وسلا هذه الفترة تمت الثورة منطقة غليزان وخصواحيها إلى حدود تيارت . وفي يوم 28 ماي 1864م هاجم الثوار البرج العسكري وحرروا قلعة عبي موسى و عشية يوم 31 ترحل الثائر "سبيدي الأزرق" بلحاج" بقوله نحو غليزان، وقد هاجم في طريقه ثلاثة أبراج عسكرية و قاتل يدخل غليزان وفرقة المشاة رقم 82 و فيها كانت الحسنة بمقتل 12 جنديا فرنسيا، فقد "سي الأزرق القليلي" "أن رطله"<sup>[19]</sup> . لقد أثارت هذه الأحداث مخاوف وقلق المعمرين، والعائلات الفرنسية نظرا برقتهم اليهود من مدينة غليزان على متن العربات في اتجاه مستغانم<sup>[20]</sup> . وقام "سبيدي الأزرق بلحاج" أن يحرز غليزان، لولا وصول التجندات العسكرية يوم القاتع جوان 1864م من مستغانم، بقيادة الجنرال "روز" <sup>[21]</sup> .

وبغية إبعاد هذا الطليق المكثف بملاحقة "سي الأرق" هاجم الثوار معسكر الجنرال "روز" لغزو من مركى  
 برج "نوار سيدى بن عبد الله" أين وقعت يوم 5 جوان 1864 المعركة (22) التي تكبد فيها الحنل حقت نازحاً حديداً  
 فربما أصيب قائد الثوار "سي الأرق بلعاج" بقدبة مدفع وهو في ساحة المعركة أردته دفنوا لارطة  
 200 شهيد (23) وقد دفنوا في مقبرة دوار الشهابية ببلدية تار سيدى بن عبد الله التابعة لدارنة زموزة بولاية  
 قليوب (24)

وكعادتها بالعبء المسمى تقدمت قوات الجنرال "روز" والعقيد "لاباسي" بأعمال وحشية انتقامية، قتلت في أنحاء  
 الزمان من النساء والأطفال، اعتقل الثوار، وفرض الضرائب وخلق الزوايا، كما أخافت سياسة الأرض المحروقة  
 جماعة عام 1864 م، صعوبات أخرى (25) وعلى الرغم من ذلك، فالثورة التي قادها "سي الأرق القليوبي" لم  
 تنقلب برستشهاده، وقد هاجم ثوار حتى بعد أسر خليفته القليوبي "سيدى عبد العزيز" يوم 9 جويلية  
 1864 م (26)

#### مذكرات لابسى تشهد على شجاعته وبطاعته

خلت رموز ثورة قتيبة 1864، حية في وجدان أعراس عدة قبائل بعلين، ولذين وصلوا القاهرة الشعبية  
 لتقيم مظاهرات تزامنت وزيارة الأمير بطور الفرنسي "نابليون الثالث" في يوم 21 جوان 1869 م لمدينة قليوب، الذي  
 وجد نفسه في قلب مظاهرة حاشدة تعبر بحق عن استمرار ثورة "سيدى الأرق بلعاج" أمام مرأى مراقبه وهم:  
 (الحاكم العام الميريسال ماكيهون و الجنرالات الثلاثة القلوبي "روز" - دوليني و العقيد لابسى (27) وقد عدد  
 المظاهرين بحوالي عشرين ألف متظاهر حضرها شيوخ ونساء وأطفال من أعراس عدة قبائل بعلين، وقد طالبوا  
 خلافاً لإطلاق سراح الثوار المعتقلين ومنهم المنفيين.... (28) وفيهم "نابليون الثالث" حينها برسالة للمظاهرين، ولم  
 يكمل برنامج زيارته، كما كان مقرره أن يطلع على أعمال المعمرين الذين استحوذوا على الأراضي الخصبة، ولعانة  
 السيد الذي قرر استغلال مياهه في سقي سهل مية المقفرة صاحته ب 52 ألف هكتار (29)

على الرغم من معدرة للوكب متفكر في بولوس أيضا لأحد السياسيين، ثم نقل عن متن حرية غير حرية الأمير بطور إلى  
 مدينة مسغانم وهو يشعر بالنجاح من خطر محقق (30) وإستجابة لطلاب المظاهرين، أصدر "نابليون الثالث" من  
 مستعالم، حضوا عن المعتقلين وكان عددهم 81 نازحاً من بينهم 143 منيا كانوا في سجن قورق بجزيرة  
 كورسيكا (31) وبالوزارة مع ذلك قرر الأمير بطور ترقية العقيد لابسى إلى رتبة جنرال، إعلنا بما أنجزه من أعمال  
 بوحشية في قمع ثورة قتيبة 1864، ومذكراته تشهد على أنه قتل متخوفاً من أعراس قبائل منطقة قليوب بقوله

وتكن يبقى هناك سؤال جوهرى، هل وصلنا إلى نهاية التجربة؟ لا أظن... ولذا فلا أرى لنا في التسميات حيث مر الزمان وكل مصطلحاتنا... (32).

ولمختلأ دراسة كثر واحدة منها على حدنا، لأن هدفها واحد، وهو تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي (33).

المصادر

(1) - بينت بسدي الأرشيف العام 1809 في دور الجمعية بولاية وادي المساء الجزائر من فرنسا، الجزائر، 1997.  
 (2) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.  
 (3) - Rémoult (Louis), *Le Royaume d'Algérie sous le dernier dey*, in R.A.L.N° 42, 1894, p. 15.

(4) - فيليب، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.  
 (5) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.  
 (6) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.

(7) - Rey-goldzeiguer (Annie) *Le Royaume Arabe*, S.N.E.F, 1977, p. 280.

(8) - Ibid, p. 282.

(9) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.  
 (10) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.

(11) - La passet (F. Argouet), *Un Ancien officier de l'armée du Rhin*, Paris, 1899, T1, pp. 4-6.

(12) - Rey-goldzeiguer, op.cit, p. 284.

(13) - Lapasset, op.cit, T1, p. 73.

(14) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.

(15) - Lapasset, op.cit, T2, p. 18.

(16) - Rey-goldzeiguer, op.cit, p. 291.

(17) - Lapasset, op.cit, T2, pp. 39-34.

(18) - لافاسيت، *المصدر*، في القرن التاسع عشر، وهو كتاب يروي عن حياة الملكة العريقة في الجزائر، المراجعة، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية للدراسات الدولية في باريس، 12 من 1864 إلى 1865، 1864، 1864، 1864.

(19) - Lapasset, op.cit, T2, pp. 70-72.

15- جوئے کی حالت: 23 مئی 2004ء

(6) \* في الحقيقة أدوية لأمراض خطيرة مثل السرطان، لا تستعمل في العراق إلا استعجالي في بعض الحالات، فمما عدا ذلك لا يباع إلا بغير وصفة طبية من أطباء مختصين.

وادی السلام، قادیان، پوٹوالہ، قادیان

<sup>170</sup> - Rev-endzinger.no.cit.p.238

<sup>116</sup> Lagasse, *op.cit.* II, p.24

<sup>100</sup> - *Ibid.* V2, pp. 26-28.

<sup>40</sup> - Escalante y Vincent, Rufizano (1853-1950) *Libertad*, 1957, p. 55.

(12) یعنی دو عدد ۷۰ و ۷۰ جمع کنند ۱۴۰

<sup>122</sup> – Yacono (Xavier) la colonisation des plaines du

chéliff, inbert, Alger, 1955, pp. 107-108

[21] Julien (c. Andrieu), Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris, 1964, T1, p. 430

<sup>124</sup> - يحيى بن عزيذ المروزي الساجي، ج 1، ص 180.

[25] - Rev-eoldzeiguer.op.cit.pp.300-301

<sup>1266</sup> - أبو القاسم - سعد الله، حركة الوطنية الجزائرية (1800-1901)، بيروت: دار البعث، 2000، ج 1، ص 187.

<sup>671</sup> = *Larrea tridentata*, T2, pp. 85-88.

(2) - René Leclercq, *Monographie géographique et historique de la commune Miste de la Mina*, oran, 1902, p.51

<sup>2</sup> - Yacoma (Xavier) sur le K. p. 256

\* - Kienig-leclerc, op.cit, p.34

<sup>11</sup> Lagarias et al., *op.cit.*, T2, p. 92.

<sup>41</sup> Ibid., T2 p. 94.

33. *ابن القيم، معاداة، المرجع السابق، ج 1، ص 171.*

## الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن التاسع عشر

د/حياة خيون

جامعة سيدي بلعباس

يعتبر موضوع الاستيطان الفرنسي من اللواضيع الهامة في تاريخ الحركة الاستعمارية وتجلد تلك الأهمية في النقاط التالية:

عملت الإدارة الاستعمارية على تجسيد ونكريس الاستعمار الاستيطاني بالقوة والعنف وحتى بالقانون. كانت الأرض المسألة الأولى التي مشتها وهددها الاستعمار الاستيطاني لذلك كان الحصول على الأراضي وسيلة لكسب الشرعية في البقاء، فكانت وسائل الاستيطان هي ممارسة العنف، الإكراه، الإغراء، الشراء، الطرد، وحتى المراسيم والقوانين.

قام الاستيطان الفرنسي على الهجرة الأوروبية التي عرفت أنواعا ومشارب متعددة، فكانت دائمة ومؤقتة، فردية وجماعية، قانونية وغير قانونية، فظهر المستوطنون (colons) إلى جانب الجزائريين أصحاب الأرض الشرعيين. ومن ثم سارت العلاقة بين الاستعمار والسكان المحليين علاقة إبادية ونفي وكفاح.

قامت السياسة الاستيطانية على أساس إحلال المستوطنين محل الجزائريين، فتحول كثير منهم إلى عمال خامسين أو عمال في مصانع المستوطنين يعملون على تنمية ثروات المعمارين.

لم يرتبط نجاح المشروع الاستيطاني بالاعتقاد فقط على العامل الديمغرافي بتشجيع الهجرة الأوروبية إلى الجزائر لأن بدون احتياطات عقارية لن يجدي نفعا، وبالتالي فإن الأرض هي جوهر المسألة الاستيطانية، إذن فكيف يكون الحصول عليها وكيف انعكس ذلك على الجزائريين أصحاب الأرض الشرعيين، وقد كان التركيز الفرنسي يتجه نحو تحويل الجزائر إلى مستعمرة استيطانية ؟

عملت الإدارة الاستعمارية من أجل إنجاح سياستها الاستيطانية على تهيئة الوضع الذي ستم فيه عملية التوطن، فكانت الأرض المسألة الأولى التي مشتها وهددها الاستيطان الفرنسي. والأرض قضية كل فرد وجماعة وأمة، فهي مسألة حياة أو موت، لأنها مصدر العيش والبقاء، ولطالما حافظ الشعب الجزائري على أرضه ورد الخطر عنها من كل عدو محتل أراد أن يغتصبها منه على مدى التاريخ وأثبت حبه وقنصه بها، فأقهر المستعمر بأعظم ثورة سجلت في تاريخ الجزائر ثورة نوفمبر 1954 التي توجت بالنصر والاستقلال.

قامت الإدارة الفرنسية من أجل دعم حركة الاستيطان على إخضاع السكان الأصليين للتأثيرين والاستيلاء على أراضيهم بالقوة، كما أنشأت سلسلة من القوانين والمراسيم لنفس الغرض، والتصرف بها طبقاً لعملية التوطين وإعادة نظام للنسج بأشكال مختلفة: البيع بسعر محدد والبيع بالمرزاد والبيع بالتراضي.

ومن بين التشريعات الصادرة من أجل التصفية العامة للمستملكات والاستيلاء على الأراضي قرار 21 سبتمبر 1830 الذي يسمح بمصادرة أملاك الوقف واليافك<sup>1</sup> وتحويلها إلى أرض للمعمرين الأوائل، وقد سعى قادة الجيش كاجنرال كلوزيل Clauzel إلى الحصول على الأراضي من أجل تكثيف عملية الاستيطان، حيث كان يشجع على إنشاء المزارع والاستيلاء على الأراضي التي خضعت للاحتلال مع توفير الحماية هؤلاء المعمرين<sup>2</sup>.

إن المحاولات الأولى للاستيطان الرسمي خلال سنة 1832 باءت بالفشل، نظرًا لنقص الإمكانيات المادية هؤلاء الواقدين، مما أدى إلى تشجيع أصحاب الإمكانيات المادية للهجرة، ويمنحهم أراضي الدومين (الدولة) بسعر وسعني قدره 48 فرنكا للهكتار في ثنائي مناقصات سنة 1837، كما سمح بالبيع الناشئ عن التراضي، وبهذه الطريقة أدى إحصاء في أواخر هذه السنة إلى بيع 4.583 هكتار بسعر 1.50 فرنكا. لكن هذا لم يؤد إلى نجاح الاستيطان الريفي بفعل اعتماد مقاومة الأمير عبد القادر إلى سهل متيجة سنة 1839، وكذلك عرفت الفترة من 1830-1840 سلسلة من الأمراض كالحمى والطاعون التي هلكت البلاد وتلاحقت مواسم الكساد.

ومع مجيء بوجو Bugeaud الذي أصبح حاكماً عاماً للجزائر سنة 1840، اتبع سياسة الاحتلال الكلي بعد فشل سياسة الاحتلال الجزئي التي اتبعتها فرنسا حتى سنة 1838، كانت مهمته القضاء على دولة الأمير عبد القادر وتوسيع دائرة الاستيطان. ففي خطابه أمام النواب، في جانفي 1840، أكد بوجو على ضرورة تأسيس مقاطعة فرنسية في الجزائر يسيطر فيها المعمدون الفرنسيون، وبمناسبة وصوله كحاكم عام للجزائر، أكد بوجو في 22 فبراير 1841 على أن الغزو بدون الاستيطان سيكون عقيماً<sup>4</sup>، وعليه أصدر في 12 أبريل 1841 قراراً ينص على أن كل فرنسي يملك من 1200 إلى 1500 من الفرنكات يمكنه الحصول من الدولة على قطعة أرض تتراوح مساحتها ما بين 4 إلى 12 هكتاراً<sup>5</sup>.

ومسكنة. وانتشرت في هذه الفترة الهجرة الأوربية واشتدت معها ضريبة بناء المراكز الاستيطانية. حيث وصل عددها سنة 1844، 28 مركزا استيطانية في الشجوة والساحل<sup>6</sup>

مع نشاط حركة الهجرة وتوسيع الحركة الاستيطانية مارعت الإدارة الفرنسية إلى الساس بأراضي القبائل وانزعاعها بحرق مكنية، فأصدرت خلال سنة 1844 و 1846 لائحة الغاية منها القضاء على المضاربات وتوسيع مساحات الأراضي المسلمة إلى المعمرين<sup>7</sup>. وبغرض هذين الإجراءين منعرف الجزائر حركة متزايدة من المهاجرين، وهم من كبار النلاك الرأسماليين، وكذلك صغار المعمرين والذين سيعمل عليهم لإنشاء المراكز الاستيطانية كمخطط لامورسييه Lamaricière بوهران، وبودو Budeaux بقسنطينة.

وقد جاء في قانون 19 سبتمبر 1848 تأسيس عدد من المراكز الاستيطانية منها 12 مركزا بالجزائر، 21 في وهران، 9 مراكز بقسنطينة مع قيام الإدارة بتقديم بعض المساعدات كتوزيع البذور، وآلات الفلاحة وبعض أعمال الري<sup>8</sup>. وخلال سنة 1855 بلغ عدد المراكز الاستيطانية 136 مركزا، منها 58 في الشجوة والساحل، و 30 في مقاطعة قسنطينة، و 48 في مقاطعة وهران. لكن هذه المراكز لم تستطع العدد المتوقع من المعمرين، وهذا ما يفسر من جديد إغراق الاستيطان الريفي، حيث بلغ عدد الأوروبيين في الجزائر خلال نفس السنة 121.283 معمرأ. ولقد عدد المستعبدات بالفلاحة بـ 33.800 فقط، كما تجدد الإشارة أن هذه الفترة أصبحت تغطي أوتة خطيرة خلال الفترة الممتدة ما بين 1848-1849، وظهور أزمة اقتصادية ما بين 1847-1848 مما أدى إلى تصادم فرض نجاح هذه السياسة<sup>9</sup>.

أصدرت السلطات الفرنسية سنة 1851 قراراً بعيد تنظيم كيفية منح أراضي الدولة، ونص على إمكانية رفع النزاع للجدلي للمتاح إلى 50 هكتارا<sup>10</sup>. وصادقت الجمعية الوطنية على قانون 1851 الذي يحول الإدارة التي في الحصول على أراضي العرش بحجة المصلحة العامة أو مصلحة الاستيطان، كما صادقت على قانون جركي يعني بعض الموانع الزراعية التي تحتاجها فرنسا والصداقة من الجزائر إليها من الرسوم الجمركية<sup>11</sup>. كما أشق تلك الجزائر وبورصة التجارة في سنتي 1851 و 1852 على التوالي. وذلك تطبيقا لشكرة الاستيطان الرأسمالي الكبير. بهدف إنجاح الاستيطان



الريفي. وتوفر الأراضي هؤلاء النابليون لجأ راندون (1795-1871) الحاكم العام (1852-1858) إلى تطبيق سياسة التعددية أو الاجتراء <sup>12</sup> Cantonnement، «يعني حصر القبائل الذين يجثلون في شكل جماعي مساحات من الأراضي في جزء من أراضيهم لتمكين السلطات من الاستيلاء على ما تبقى من المساحات، ومقابل ذلك تعترف لهم السلطات بحقوقهم في الملكية الكاملة للأراضي التي يحتفظون بها ويستغلونها. وبفعل هذه الإجراءات تم توزيع الأراضي السقوية على الرأسماليين والشركات <sup>13</sup> بهدف إنشاء مراكز استيطانية دولة التمييز بين المناطق العسكرية والمدنية، حيث أصبح للمعمرين الحق في اقتناء الأراضي من الجزائريين في المناطق العسكرية. وقد بلغ عدد الاستيطانات التي منحت من طرف الإدارة في فترة 1850-1860، 81 امتيازاً فُذرت مساحتها بأكثر من 50.000 هكتاراً <sup>14</sup>. أمام هذه السياسة الاستيعابية قُصِح المجال للانتفاضة في كل من الأوراس 1859، والحضنة 1860، واستند انتفاضة أولاد سيد الشيخ 1864 إلى اتل حيث تواجد المعمرين <sup>15</sup>

ورغم ذلك، استمر نظام التنازل المجالي حتى عهد نابليون الثالث الذي عرف عهده بتوقف حركة الاستيطان، إذ توقفت الحكومة عن منح الأراضي. ولم يكن ذلك لصالح الجزائريين، وإنما لصالح الشركات المالية الكبرى، وذلك على حساب الاستيطان الصغير <sup>16</sup>. فرغم السيناتورس كونسولت (22 أبريل 1863) الذي أصدره نابليون الثالث وأعلن فيه أن القبائل تصبح مالكة للأراضي التي تنتفع بها صفة دائمة وتقليدية. فإن القانون يحمل في مضمونه العام هدف تحطيم وتمزيك الكيان الاجتماعي الجزائري، حيث أعلن عن توزيع أفراد القبيلة الواحدة بين مختلف الدواوير، أو بمعنى الاستيعاضة عن الوحدة التقليدية للقبيلة بنظام إداري جديد نواته الدواوير. وليس القبيلة <sup>17</sup>. وهذا بهدف خلق الملكيات الفردية والنقصاء على وحدة القبيلة واجتماعية والتي مستلقة الضربة القاضية بموجب قانون وارنييه Warnier سنة 1873. وخلال عهد الجمهورية الثالثة طُبق من جديد الاستيطان الرسمي، ومنحت التنازلات المجابية، وكانت تسعى أن يكون الاستيطان الريفي فرنسياً مادام يستفيد من التنازل المجاني، بشرط

الإقامة فيها<sup>18</sup>، لا سيما وأن هذه السياسة رافقت هزيمة فرنسا في سيدان، فتم نقل سكان الأكراس واللورين الذين وعدوا بـ 100.000 هكتاراً من الأراضي.

ولقد استخدمت الإدارة الأراضي المصادرة نتيجة ثورة المقراني 1871 لتوسيع مناطق الاستيطان. وقد جاء ذلك في قانون 30 مارس 1871 معلناً تطبيق مرسوم 1845 الذي أباح مصادرة أملاك الجزائريين الذين قاموا أو يقومون بنشاط عدائي ضد فرنسا. كما أجبر الجزائريين على دفع حوالي 65 مليون من الفرنكات الذهبية<sup>19</sup> كما انتقل إلى أملاك الدومين 446.000 هكتار من الأراضي التي كانت للثلاثين، وتعرضت كثير من القبائل للطرد نحو المناطق الجبلية والصحراوية كعقاب لها، وأدى ذلك إلى توسيع حركة الاستيطان بفضل الاستيلاء على الأراضي بصفة مستمرة، كما يوضحه الجدول التالي<sup>20</sup>.

السنوات	مقاطعة الجزائر	مقاطعة وهران	مقاطعة قسنطينة	المجموع
1872	23.539 هـ	5.221 هـ	52.813 هـ	82.573 هـ
1873	21.060	10.763	28.153	59.976
1874	6.038	16.695	39.531	62.264
1875	15.867	12.031	22.655	50.553
المجموع	66.504	44.710	143.152	254.366

الجدول رقم 01: الأراضي المخصصة لتوسيع حركة الاستيطان 1872-1875.

لقد توجت تلك المراسيم والقوانين المصادرة التي استهدفت انتزاع الأراضي والاستيلاء عليها وتشريد القلاسين الجزائريين بقانون 1873 المعروف بقانون واريي<sup>21</sup> واضح المشروع. وقد فتح القانون المجال للحصول على أراضي العرش، وذلك بإقامة الملكية الفردية داخل القبائل الجبلية التي طالما حافظت على تماسكها ووجودها وحفظها كملكية مشتركة بين أفراد القبيلة.

إن هدف هذا القانون هو القضاء على وحدة القبيلة القباسكة والمستعمدة بصفة جماعية لأي شعوب دون تردد، لأن القبيلة الجزائرية تقويها الروابط بين أفرادها وتعطيها قوة الصمود، وإذا تعرضت للتقسيم وإنشاء الملكية الفردية، يعني ذلك تمكين الإدارة الاستعمارية من السيطرة على الأوضاع. ومن هذا القانون سلحت الإدارة للمعمرين أكثر من 400.000 حكتاراً خلال الفترة الممتدة ما بين 1850-1871، ويتم توسيع 264 مركزاً استيطانياً في ظل الاستيطان الرسمي<sup>22</sup> كما يوضحه الجدول التالي:

السنوات	المراكز المنشأة أو للتوسعة	المساحة (بالهكتار)	حركة تطور الأوربيين
1841-1850	126	115.000	63.437
1851-1860	85	230.000	103.322
1861-1870	21	116.000	123.898
1871-1880	264	401.089	195.418
1881-1890	107	176.000	267.672
1891-1900	103	120.097	364.257
1901-1920	199	280.000	633.149

الجدول رقم 02: تطور الاستيطان الرسمي

كان للقانون والرئيس آثار وخيمة على الجزائريين، حيث مكّن المعمرين من الدخول إلى أراضي العرش وإقامة الملكيات الفردية داخل أراضي القبائل الجماعية، مما دفع بالجزائريين إلى بيع أراضيهم للمعمرين<sup>23</sup> وبشكل مستمر،

وخاصة في الثمانينات من القرن التاسع عشر، مع ظهور زراعة الكروم بالجزائر، التي طبعها زيادة تصديرية ارتبطت بالسوق الفرنسية لظروف تاريخية عاشتها الكروم الفرنسية، والتي سمحت بتنميتها بالجزائر<sup>24</sup>.

السنوات	مبيعات الجزائر إلى الأوربيين (بالهكتار)	مبيعات الأوربيين إلى الجزائر (بالهكتار)	الأرصدة
1877.	22104	2520	19674-
1878	11268	2848	8449-
1879	18129	4164	13965-
1880	40143	2917	37226-
1881	54184	1171	53013-
1882	29093	2465	16628-
1883	64376	3961	60424-
1884	32713	3705	29008-
1885	21997	1612	20385-
1886	21557	5037	16520-
1887	12404	5013	8391-
1888	13578	5073	10503-
1889	13641	25234	11593

13220-	6463	19683	1890
2946-	10458	13404	1891
8967-	8869	17806	1892
26679-	5423	32102	1893
18072-	5061	23133	1894
15546-	6250	21796	1895
12024-	6619	18643	1896
25091-	6381	31472	1897
17289-	10140	27429	1898
432388-	131374	563762	المجموع

الجدول رقم 03: مبيعات المقارنات الريفية من 1877 إلى 1898.<sup>25</sup>

إن الكارثة الزراعية التي عرفتها فرنسا، حيث أتلّف متوجها من الكروم سنة 1880، نتيجة الأضرار التي لحقتها حشرة الفيلوكسيرا<sup>26</sup>، اعتبرت بالنسبة للمعمرين في الجزائر الفرصة التي طالما انتظروها، وخاصة أن الإنتاج الاستعماري بالجزائر أصبح يغطي بحرية الدخول إلى السوق الفرنسية دون دفع الرسوم الجمركية، كما قامت السلطات بإعادة منح الأراضي للمعمرين وتشجيع الهجرة، خاصة هؤلاء الذين أصيبوا بملكتهم في فرنسا بالوباء، مما أدى إلى زيادة في حركة الهجرة. وستعرف السياسة الاستيطانية أوجها وقوتها خلال (1881-1901)، حيث قدر عدد الفرنسيين خلال سنة 1881 بـ 105.418 نسمة ليصل في سنة 1901 إلى 364.257.

ومن أجل الحصول على الأراضي صدر قانون 1887 المتسم لقانون 1873، ويسمح القانون بدوره للمتحصل على قطعة أرض بالحق في إعادة بيعها، وكانت الطريقة الجارية في البيع هي المزاد العلني، والتي استفادت منها جماعة من المضاربين، إذ يستحيل على الفلاح الجزائري شراء تلك الأرض التي تخضع للمضاربات والتي تؤدي حتما

إلى ارتفاع الرسوم والأسعار. أثرت كل هذه العمليات التي جسستها سلسلة من القوانين والمراسيم على الفلاح الجزائري الذي فقد أرضه بفعل السياسة الفرنسية التي كانت تسعى للتحكم في الجزائريين وإخضاعهم لتفوقها وذلك بتحويلهم من مالكين إلى أسرى يعملون لتلبية لروات المستعمرين. بالإضافة إلى ذلك عانى المجتمع الجزائري من لآزمات والمجاعات كان أحطرها مجاعة (1867-1868).

وجها يكن من أمره فإن الجزائريين أظهروا استعدادهم للدفاع عن أرضهم. لاسيما بعد شعور الأوضاع تبيحا التطورات التي عرفتها الجزائر من جراء سياسة الاستيطان، فاندلعت من جديد المقاومة والانتفاضات ضد سياسة المستعمر. فكانت مقاومة الفرنسي سنة 1871، وانتفاضة العربي سنة 1876 وانتفاضة الأوراس سنة 1879. وتورة الشيخ بوخرامة سنة 1881، التي عبرت بصرامة عن حالة الإحباط التي كان يعيشها المجتمع الجزائري. ورفضها لوجود الاستعماري والثورة على سياسة التزاح الأمازيغي من أصحائها المترعنين.

#### المصادر

(1)- Djilali Sari, La dépossession des fellahs (Alger : Société nationale d'édition et de diffusion, 1975) p.9

(2)- Camille Rosset, L'Algérie de 1830 à 1840 (Paris : L. Fournier, T2, 1887) p.4

(3)- Louis De Baudicour, Histoire de la colonisation de l'Algérie ( Paris : Challamel, 1860) p.38

(4)-AWO, Série B, sous série B7, événements politiques (1833-1879).

(5)-Le département d'Oran et son conseil général 1830-1930 (Oran :Heirtz Frère 1930) p204.

(6)-De Peyrinhoff, Enquête sur les résultats de la colonisation officielle 1871-1895 (Algérie : Tournet, T1, 1906) p21

(7)- محمد بن سليمان بنو علي أحمد لاكتشف الجزائر بين الأمازيغيين والمغاربة، أوجها لثقافتهم وروحهم ومختلفة تطورات الجزائر، فؤاد لطيف حركات الطباعة، 1984، ص 233.

(8)- نفسه من 138.

(9)-Ch.A.Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871 (Paris :P.Li.F, 1964) p542.

(10)-De Peyrinhoff, Op-cit, p.31.

(11)-Ch.A.Julien, Op-cit, p.383.

(12)- Benjamin Stora, Histoire de l'Algérie coloniale ( 1830-1954) (Paris : Ed. La Découverte, 1991) p.21.

(13)- شركة جزييف بوضاوي استغنية التي تحصلت على 20000 هكتار أبنو حيت مرسوم 1851.

والشركة الجزائرية العامة، التي تحصلت بتاريخ 09/09/1909 عقد سنة 1863، أما شركة المصالح الواقعة، فقد تجمعت عام 1860 في شركة آف ناسية لتفكيك والسبق.

(14)-De Peyrinnoff, Op-cit, p.35

(15)-Ch. R. Ageron, Histoire de l'Algérie Contemporaine T.2 de l'insurrection de 1870 au déclenchement de la guerre de libération 1954 (France : P.U.F., 1979) p.31

(16)-AWG, Série B, sous série B1. Evénements politiques 1835-1879.

(17)-Djillali Sarf, Op-cit, p.35

(18)-Le départements d'Oran. Op-cit, p.208

كان ذلك بموجب مرسوم 28 سبتمبر 1878.

(19)-Ch.R.Ageron, Op-cit, p.44

(20)-Djillali Sarf, Op-cit, p.36

(21)-Daho Djerbal, Processus de colonisation et évolution de la propriété foncière dans les plaines intérieures de l'Oranie (Thèse de Doctorat de 3<sup>ème</sup> cycle, 1979) p.184

(22)-Annuaire statistique de l'Algérie, 1933, p.29

{23}- خلال السنوات الماضية لم يتم إنجاز الترتيبات التي كانت الأزمات التي هو الشان في الأزمة الفلاحية 1860-1869

1869، أما في الغارات الأخيرة فالتسريح الوحيد لذلك أنهم كانوا مضطرين لذلك سواء نتيجة للتفجرات أو للقضايا أو نتيجة القيود.

{24}- لم تعرف هذه الزيادة مع بداية الاحتلال نتيجة المشاكل التي كان يعانيها الاحتلال الريفي، وبذلك لأن مضائق استغلال

مركبة على عكس الخواص، وقد على ذلك أن التفتين الفرنسيين في ألبان وويل أن يملوا مصافحة متجدد للعبور واستمر ذلك إلى السوق الفرنسية.

(25)- (Djillali Sarf, Op-cit, p. 49

{26}- عهد أحمد دُرُوم الخمر والحقاها لاجتماعية والدينامية 1918-1936 رسالة تيلي شهادة الدراسات المعمقة في

التاريخ، ديسمبر 1977 من 12-14، بعد الثورة يصيبه الكروم الفرنسية منذ 1863، وأن يأخذ وجهه الخلفي إلا بعد 1875، وبعد حين سنوات من حرب الجلاء هدف الكروم الفرنسية.

## الكتلة التاريخية عند رجالات الحركة الإصلاحية الجزائرية وأهدافها

أ.د/ إبراهيم لويبي

جامعة سيدي بن عباس

يكسي التاريخ أهمية بالغة، وتعب دورا كبيرا في بناء الشعوب والأسماء، والذي لا يدرس الماضي لا يمكنه أن يفهم الحاضر، ومن ثمة فهو لا يستطيع بناء المستقبل، لأن عملية البناء والتشييد تعتمد أساسا على الواقع الحي، ويقول الفيلسوف الألماني فيخته عن التاريخ بأنه "الأسس الروحية لتقوية وحدة الأمة والدفع بها إلى الأمام في ظروف السلم والحرب، جسد واحدا يروى قصة غير متقوصة ولا مهزومة".

والتاريخ يعد من العناصر الأساسية التي تلعب دورا هاما في إثارة الشعور الوطني، وتنمية الوعي القومي في أوساط الجماهير الشعبية، مهما كانت درجتها من الثقافة والعلم، وكل رجال التربية يقولون بأن تدريس التاريخ لا يعني في حقيقة الأمر تعليم الماضي بل يعني تكوين الشعور الوطني.

والثقل الثقافي الجزائرية تقطعت إلى هذا الدور منذ بدايات القرن العشرين، وخاصة عند رجالات الحركة الإصلاحية التي بدأت نواتها الأولى تتشكل مع بدايات القرن العشرين حيث ظهرت مجموعة من كتلة التاريخية التراثية على الساحة الثقافية الجزائرية، وإن كانت هذه الكتلة ظهرت بتشجيع من الوالي العام الفرنسي شارل جوناك الذي جاء بسياسة أهلية واضحة خلال فترة حكمه 1903-1913، بهدف إلى جلب الطبقة للثقافة العربية الإسلامية إلى صف السلطات الاستعمارية (1).

وشارل جوناك لم يمكن هدف من هذه السياسة إلى دفع هؤلاء المثقفين إلى إثارة الشعور الوطني لدى الجزائريين، ولكن هذا لا يمنع من القول أن هذه السياسة ساهمت بفعالية في وضع الأسس الأولى للحركة الإصلاحية الجزائرية التي انطلقت لها بعدا واتجاها خاصا بها بعد سنة 1923، والتي تبلورت في ما بعد في ما أصبح يعرف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931.

وبما أن المهمة التي حملتها الحركة الإصلاحية الجزائرية على عاتقها تتمثل في إصلاح المجتمع الجزائري، وذلك بمحوية البدع والخرافات التي أصحنت لنفسه في هذا المجتمع ومحوية كل الدعوات التخريبية، والتعريبية التي بدأت تظهر في أوساط بعض المثقفين الجزائريين، وخاصة أولئك الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية وأصبحوا من دعاة الإصلاح.



كي أنها تحملت مسؤولية المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الثقافية والحضارية والدينية والوطنية ومقاومة السياسة الاستعمارية الرامية إلى القضاء عليها .

ولقد رأت هذه الحركة أن الاعتناء على التاريخ الإسلامي العربي عامة والوطن الجزائري خاصة هي من أهم الوسائل للوصول إلى أهدافها .

وهنا هو الذي جعل الشاعر رمضان حمود ( 1906-1929 ) يكتب سنة 1927 "إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها في يد غيرها" ويقول كذلك "التاريخ عرى الأمم وقد يكون قاتلها إذا أسرت من كأس غيرها" ويقول كذلك في أهمية التاريخ "إذا صح أن الأمم لا تتكون إلا من طينة تاريخها الغابر وإن الأمة التي لا تاريخ لها لا تنهض إلا بالدماء" في غيرها . فإن للحضارة العزيرة تاريخا ماضيا وماضيا خطيرا يذكر بكن أجدال وتعظيم . ( 2 )

وأهمية التاريخ هذه هي التي جعلت الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية الخبيرة يقول في ذلك الخطاب الذي ألقاه في ذكرى البشير صقر بتونس سنة 1937 : "وأنا شخصيا أصرح بأن كرايس البشير صقر الصغيرة الحجم العزيرة النعم هي التي كان لها الفضل في إقلاعي على تاريخ أمي وقومي والتي زرعت في صدي هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر . ( 3 )

وإذا كان التاريخ جعل من الإمام ابن باديس جنديا من جنود الجزائر فإنه هو بدوره أراد أن يكون بالتاريخ جنودا يدفعون عن الجزائر ويعملون على تحريرها لذا نجد في الكثير من الأحيان يستشهد بالتاريخ في دروسه وخطبه ومحاضراته ، بل ونجد تخصص محاضرات كاملة المواضيع التاريخية ومثال على ذلك تلك المحاضرة التي ألقاها في الاحتفال العام الذي عقدته الجمعية في نادي الترقى سنة 1939 والتي كان موضوعها ( العرب في القرآن 41 ) وفيها تدافع على العرب ودفاعا رائعا مدحضا كل الصور المشوهة والإدعاءات المعرصة التي لحرسها الفكر الاستعماري الاستشراقي في عقول شعبنا مثل قوله أن العرب قوم جهل وأنه لا حضارة لهم وهذا كله من أجل أن يولد حقا في نفسية هذا الشعب تجاه بقية العرب ، وبالتالي الإصلاح عن أصوله العربية ، فإين باديس يرى أنه من الضروري الاهتمام والاعتناء بتاريخ العرب ، ومدنيتهم وكل ما هو متعلق بهم قبل الإسلام ، وذلك لإرتباط تاريخهم بتاريخ الإسلام ولعنالة القرآن بهم والإخبارهم من الله سبحانه وتعالى لتبليغ آخر رسالاته للبشرية جمعاء . وهي الرسالة الإسلامية ، ويحاول أن يصحح إحدى المقامع المغلوطة التي آمن بها الكثير فيقول : "إن العرب مظلومون في التاريخ

إن الناس يعتقدون ويعرفون أن العرب كانوا جميعا لا يصلحون لدينا ولا حين جاء الإسلام فأعدوا به فأخرجوهم من القلث إلى الشور".

ويقول مصحح هذا الخطأ الفادح الذي طمغ العرب ظلما شديدا ، إن القرآن وحده هو الذي تصفه العرب بأن الناس بعد نزول القرآن قصروا في نظرهم إلى التاريخ العربي وبغروا فيه من جهة واحدة فقط بينما كان المقصود أن ينظر هذا التاريخ من جهات متعددة ، فهي العرب تواج تحضي ونواح تحتب وجهات تدم وتضيق وجهات ينش عليها وتفتح ثم يفعل القول بعد ذلك في الخصائص العربية التي نشأت في الجزيرة العربية قبل الإسلام مثل حضارة عاد ولعمرة وساء.

ومن الأدلة الأخرى على مدى اهتمام الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس بالتاريخ ذلك المداد الرابع الذي كتبه سنة 1927 عن كتاب محمد عثمان باشا داي الجزائر 1756-1791 لصاحبه المؤرخ أحمد توفيق المدلي ، والشيخ ابن باديس في هذا المقال (5) يصفه صوته إلى صوت عبد الرحمان صدقي الذي قال " الوطن هو تاريخ الوطن " ، وإلى صوت محمد حسين هيكال الذي قال " لا حياة لأمة إلا بأحياء ماضيها " . ويقول الشيخ الإمام عن توفيق أحمد المدلي بأنه ليس كاتباً بليغاً ولا مؤرخاً حكيماً فقط بل إنه كان فوق ذلك من خير من يعثر أوطاناً وأحباراً وكان أحداً ابن باديس بهذا الكلام يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالتاريخ ويحث المثقفين الجزائريين على ضرورة الكتابة في تاريخ الجزائر حتى يتم أحياء الأمة الجزائرية التي عمل الاستعمار الفرنسي كل ما في وسعه من أجل انقضاء عليها كما أنه يسعى حتى مسلم جزائري إلى ضرورة قراءة كتاب أحمد توفيق المدلي لأنه موجد فيه الحقيقة الناصعة والزيف الفرنسي الذي كان يزرعه في عقول الجزائريين لأنه سيتعرف من خلال الكتاب على ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمور قبل الاحتلال وما أصابها من التخريب والتفتيل أيام الاحتلال.

إن الاهتمام بالتاريخ من طرف الحركة الإصلاحية الجزائرية لم يكن مقتصر فقط على المحاضرات والمحاضرات والمقالات الصحفية ، بل تعدى ذلك إلى ميدان التأليف ، حيث صدرت العديد من الكتب التي تناولت تاريخ الجزائر ، ومن أولى هذه الكتب كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لصاحبه الشيخ مبارك بن محمد تلافاني أبيي وذلك سنة 1928 ، وعميد أبيي لم يكتب هذا الكتاب من أجل التسلية بل من أجل تحقيق جملة من الأهداف وأهمها كما هو واضح من العنوان هو إثبات عراقة التاريخ الجزائري وقدمه وبذلك فهو يدحض الإدعاءات الفرنسية المرفقة والمقابلة بأن الجزائر كانت أرضاً شامخة قبل هيمنة الاستعمار الفرنسي ، وكذلك حتى يثبت لفرنسا أن تاريخ الجزائر غني الفتح الإسلامي حتى سنة 1830 كانت صفيحة ناصعة ومشرقة على عكس ما يذهب إليه مؤرخو المدرسة الاستعمارية الذين يطلقون على هذه الفترة اسم العصور الظلمة والعمارة. وفي عمله هذا لم يعتمد على العاطفة بل اعتمد على التحليل

العميل، ولم يكن يكتب باستعلاء الحقائق وإثباتها مجردة، بل كان يعبر النظر في الأسباب والنتائج ويثبت أحكامها من عبارة فكرة وإعلامه رأيه ويقول عنه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في مقالة نشرت في مجلة الثقافة ١٩٦٤ "سيورا ذابوا على أبحاث مغل في التحليل والتدقيق مع مهارة منقطعة النظير في التماسك بين النصوص وكانت له نظرة صائبة في استعمال الغوامض وحكم صادق في أساليب الحوادث ونتائج ومهارة في التريب والتبويب مع حسن سيك لجعل التاريخ من السلسلة للقرعة".

وهذا الأسلوب الرابع ثمة يصفه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أنجز كتابه في جزئين الأول أصدره سنة ١٩٦٥ والثاني سنة ١٩٦٦. وهذا الكتاب يكتبني أهبة كبرى، باعتباره كان قهيدا لقيام حركة التأليف التاريخي في الجزائر على أيدي جرتوين وطيب وهذا بعد أن كان التاريخ الجزائري حتى أواخر العشرينيات من القرن العشرين حقلًا حصيًا للمؤرخين الفرنسيين الذين لأهم هم سوى خدمة الأفراس الاستعمارية مقتصرين في ذلك على أمرين إما إنكار مطلق للتاريخ الجزائري أو تشويهه للصور التي لا يمكن أن تذكر، وهذا جعلهم هم هدفين هو أن ولادة الوطن الجزائري كانت مع بداية الاحتلال الفرنسي، وكذلك طمس الأسماء التي يمكن أن تعزز جانب الجزائريين في مواقفهم البطولية من الاحتلال.

ويقول أبو القاسم سعد الله عن جدية وأهمية هذا الكتاب أنها تظهر في عدة أمور منها المنهج الحديث والتوجيه السياسي واستعمال المصادر العربية وتقدمها واستعمال المصادر الأجنبية الفرنسية عن طريق الترجمة واستخدام التقنيات مثل الخرائط والرسوم، والرد على نظريات المؤرخين الفرنسيين ومناقشة آرائهم دون اظهار التحيز لذلك وبأنه إلى الاعتماد على كتب الخرافات وتصفين كل ما جاء في الكتب القديمة ؟، ويقول أيضا أن كتاب التلي ورغم أنه لم يصل إلى الزمن الحاضر فإنه وضع المؤشرات له وذلك بخطابه لشعب وحكمه على الاستعمار الروماني وغيره من الاستعمارات الأجنبية (8).

وبعد ظهور هذا الكتاب في جزئه الأول بفترة وجيزة قام مؤرخ آخر وهو أحمد توفيق المدني بإصدار كتاب تاريخي جغرافي في أن واحد وهو "كتاب الجزائر" وذلك سنة ١٩٦١، حيث سحر المدني قلعه في هذا الكتاب لأجل خدمة تاريخ وطن الجزائر الذي كان معرضا للمعامل الفرنسية لتهديده، والذي في مقدمة هذا الكتاب يعالج قضية الفراق الذهني والتاريخي الذي كان يعاني منه الشباب الجزائري الذي يقسمه إلى قسمين - قسم ذو ثقافة فرنسية غرق بين الإحتجاب بين تاريخ فرنسا والقصور من تاريخ الجزائر المشوه، وقسم ذو ثقافة عربية وهي المرجع التاريخي الذي يربطه بالهوية واحدة. معناه أن هدفه من تأليف هذا الكتاب في الصلحات الأولى : "أنكم ترون أنها رأيت أن أبدأ

العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء.. فكانهم بذلك يعيشون في غابر غابر غيرهم وأرضهم لم تكن آباؤهم وأجدادهم.. ولأنهم خلقوا على أرض متوردة الأصل مجهولة النسب، فاقدة كل ملحومات الحياة فهم لا يتحدثون عن حروث أسسها ولا يتصورون حالة يومها ولا يتسائلون عن مستقبل غدائها.

ولقد قسم المؤرخ هذا الكتاب إلى أربعة عشر فصلا، حيث عالج في كل قسم موضوعا من الموضوعات التاريخية خاصة بالجزائر. وهي إما سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو إدارية، فالقسم الأول مثلا خصصه لتاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي. والثاني تناول فيه تاريخ الجزائر من الاحتلال الفرنسي إلى غاية سنة 1930، وتناول في القسم الثالث حياة العلمية والآلية للجزائر عبر عصورها التاريخية المختلفة، مؤكدا بذلك أن الشعب الجزائري، كان يعرف معنى الأدب وتعلم منذ أقدم العصور وعرف كل فلك أعظم به إعظاما بالغا. مساهما بذلك في صنع الحضارة الإنسانية عبر العصور.

وقد أثار هذا الكتاب أهمية كونه جاء بعد مرور عام واحد فقط عن إحياء الاستعمار الفرنسي للذاكرة الحية لإحتلاله للجزائر، وكأن أحد توقع المؤرخ أن تليه سلطات الاستعمارية إلا أن الأمة الجزائرية رغم مرور ثوب على احتلالها وعيشها تحت سلطته وسيطرته إلا أنها ما تزال وفيه طويها العربية الإسلامية وبأنها لم تصبح فرنسية ولن تصبح أبدا، ونظرا لأهمية هذا الكتاب وللدور للتفكير له أن يقوم به في أوساط الشعب الجزائري، استغل بالترحيب الكبير سواء لخاص الجزائر أو خارجها يقول صاحبه في مذكراته (9) " كانت البحوث والفتايات التي شرعت حولها كثيرة متباينة. وكانت الرهائن التي جدهم عن طائفة لا تزال احتفظت بها بجموعة ثرية فيها 553 رسالة أغلبها من البلاد الجزائرية فيها تحية وتحيود وفيها شبه غلبت".

ونذكر هنا أيضا ذلك الكتاب الذي ألفه العلامة الشيخ عبد الرحمن الجيلاني حجة الدلائل الثبوتية التحريرية تحت عنوان تاريخ جزائر العام، الذي صدر في جزائر سنة 1955 وتناول فيه التاريخ الجزائري من القدم للعصور إلى العهد العثماني، هذا الكتاب الذي أعده إلى حجة بن دافع ووجهه إلى الشباب الجزائري وفي هذا دعوة كبيرة جدا ثم عن بعد الماضي الجزائري المشرق يحاضر هذا المشرق في الشباب وحذف عبد الرحمن الجيلاني من تأليف هذا الكتاب هو أن يقتدي الجيل الجديد بأجدادهم ولا يتغصوا في الحضارة الفرنسية خصوصا والغربية عموما.

وللجانب هذه التأليف هناك دراسات تاريخية أخرى كثيرة منشورة على صفحات جريدة الشهاب وكذا جريدة المصائر وخاصة في مسجلتها الثانية التي بدأت في الصدور مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية.

ونشير هنا إلى أن رجالات الحركة الإصلاحية لم يقتصر وا فقط في اهتمامهم بالتاريخ على التأليف والكتابة فيه، بل تعدوا ذلك إلى توظيفه في بعض الفنون الأدبية مثل المسرح والشعر، وفي مجال الشعر نجد الكثير من الشعراء وألفوا

عن أطلال الماضي وكتبوا الكثير من المقالات الشعرية - استنشقوا فيها الناريح ووظفوه ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء محمد العيد الخليفة الذي يمتاز شعره بكثرة اللفظات التاريخية الرائعة والمؤثرة حيث لا تكاد أي قصيدة من قصائده أن تخلو منها وهذا دليل على أنه مهم فيها حيدا الرسالة التي يؤديها التاريخ في توعية الشعوب .

فحنده يقف في وجه أولئك الذين تحادوا تاريخ الجزائر ، وخاصة النحلة المنقطة بالثقافة الفرنسية فيقول للذين سألوا القصور والسهول والقبائل عن الوطن الجزيري فلم يجدهم .

لا تقولوا : هان الجنود فهنا ساء لشئ له بهم سوء ظن

في تلمسان في بجاية في تيبه رت في القلعة وإذ هي كليل فن

يوم كانت مهاجر الشرق والغرب شابا كعمهد وكحصن

وأخيرا يمكن قوله في ختام هذه الدراسة ، إن الحركة الإصلاحية الجزائرية قدمت خدمة جليلة للأمة الجزائرية في تلك الفترة النعيسة حيث عرفت الشعب بتاريخه ، وبذلك حفزته للدفاع عنه والعمل على استرجاع حريته التي كان يحرم بها قبل الاحتلال . وهذا يمكن القول أن هذه العملية تعد إحدى الأسباب التي أدت إلى ذلك الإنعصار العظيم الذي حدث ليلة القاتع من نوفمبر 1954 .

#### المصادر

1 - عن هذه السياسة أنظر مثلا : أبو القاسم سعد الله : أفكار جراحية في الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان 2005 ص 74 - 89 .

2 - رسائل حمود : جذور الحياة ، ص 23-29 .

3 - جريدة الشباب : جويلية 1937 .

4 - أنظر التعامرة كاملة في جريدة الشباب ولقد نشرت على ثلاث

سجلات في الأعلا : فبراري 1936 ، مارس 1936 ، أبريل 1936

5 - أنظر 2020 في جريدة الشباب مسترجع 1937

6 - عند طرح هذا الجدول : من وهي فكري مرور أربع عقود سوية على وفاة العلامة النعيسة الشيخ مبارك البلي ( حملة الثقافة ، مارس

أفريل 1984 العدد 80 ) ص 19

7 - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ( دار الغرب الإسلامي ، بيروت 2005 ) ج 1 ص 416

## فهرسة المخطوطات : تجربة الخزنة الحسنية بالرباط

د. خالد بوعند

جامعة سيدي بلعياض

لقد مكنتنا الزيارة التي قمنا بها إلى المغرب الأقصى ، في إطار الترخيص العلمي قصير المدى ، من معاينة عدة مراكز علمية ، بدءاً بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط ، مروراً بالخزانة الحسنية بالرباط ، ووصولاً عند مؤسسة هلال الفاسي بنفس المدينة ، وكل واحد من هذه المؤسسات تتركز بحكم متفاوت من المخطوطات في شتى الفنون والعلوم ، وبما أن موضوع بحثنا هو : "فهرسة المخطوطات : تجربة الخزنة الحسنية بالرباط" ، فإن مادته العلمية ، تستمد أساساً مما جلبناه معنا من كتب تخص الموضوع ، أعدت لنا مجلداً من قبل مدير الخزنة الحسنية مشكوراً على ذلك .

تعتبر الخزنة الحسنية أو الخزنة الملكية ، من أهم الخزانات بالمغرب على الإطلاق ومن أغنى المكتبات الخاصة في المغرب الإسلامي ، حيث تتوفر على ذخيرة هامة من المخطوطات النحوية والتأريخية التي تقدر بما يفوق 14 ألف مخطوط أو مجلد ، أي ما يناهز 20 ألف عنوان و 40 ألف مطبوع في مختلف المعارف والعلوم وبمختلف اللغات ، هذا إضافة إلى 150 ألف وثيقة موجودة حالياً بمديرية الوثائق الملكية . وينجأ إلى هذه الخزنة العديد من الباحثين المختصين من المغرب ومن مختلف البلدان العربية والأوروبية للاستفادة بالأساس من مخطوطاتها المهمة والتأريخية . وتشغل هذه الخزنة ، التي تقع في "المشور" بالقصر الملكي بالرباط ، مساحة مهمة ، حيث تنوزع إلى ثلاثة أقسام : قسم خاص بالطالعة ، وقسم خاص بالوثائق وقسم آخر خاص بالمخطوطات والكتب ، توجد جميعها داخل القصر الملكي تحت حراسة مشددة<sup>(1)</sup> ، كما يبذل القائمون على المكتبة ، جهوداً لرقمنة المخطوطات ، حتى تُسهل على الباحثين الوافدين إلى المكتبة من الحصول على مباحثهم بأسرع وقت ممكن<sup>(2)</sup> .

إن بحثنا هذا سيركز على ثلاثة عناصر أساسية ، نتناول في العنصر الأول نبذة تاريخية مقتضبة عن نشأة المكتبة المغربية ، التي تتصل في الأساس بالأسر الملكية المتعاقبة في حكم المغرب منذ العهد الإدريسي وإلى غاية حكم الأسرة العلوية بالمغرب ، وفي العنصر الثاني سنعرض عن التجربة التي مر بها المغرب في فهرسة مخطوطات الخزنة الحسنية منذ 1964 وهو تاريخ أول محاولة قام بها الباحث "محمد الفاسي" وإلى يومنا هذا ، وفي العنصر الثالث ، وبناء على المراجع التي أهديت لنا (30 مرجع ، 17 منها حول الفهرسة) ، سنقوم بمحاولة جرد أهم المخطوطات ذات الصلة بالمغرب الأوسط (الجزائر) ، أي المخطوطات التي ألقت من قبل علماء وكتاب جزائريين ، حتى تلخظ الباحثين ولئن يهمهم الأمر

لزيارة المغرب، قصد الإحلال عليها دون عناء، لنهي مداخلتنا بخاتمة برصد فيها استنتاجات وتوصيات قد تساهم في ترقية البحث العلمي في هذا المجال.

## 2- نشأة المكتبة المغربية

قبل الشروع في معالجة موضوع تجربة الخزائن الخسنية المغربية في فهرسة هبطوطياتها، ارتأيت أن من الأمور المنهجية، إعطاء نبذة تاريخية وجيزة عن نشأة المكتبة المغربية بشكل عام وأطوارها، الذي كان في أواخر العهد الإدريسي الأول، بفضل ملكها يحيى الرابع بن إدريس (المتوفى سنة 332هـ / 943م) المشهور بالتحرق في العلم والمشاركة في فتونه، إضافة إلى وجود أعلام تنشوا في المغرب، كما وفد إلى هذا البلد عدد غير قليل من رجالات العلم وأساطين الأدب، قادمين من الأندلس والمغرب، أضف إلى هذا وذاك أن الدولة الإدريسية قامت على منافسة الدولة العباسية في المشرق، والدولة الرستمية الجاورة بالمغرب الأوسط. ولكن وقع الدولة الإدريسية في قبضة القمحين (الفاطميين)، ثم دولة آل أبي العافية - والدولة الثانية للأدريسة، تتلوها دولة وثالثة من معاوية وبني يفرن - حيث صار المغرب الأقصى ميدانا فسيحا للعراك بين القمحين والأمويين من ناحية - ثم بين المغراويين واليفرنيين من ناحية أخرى. فكان هذا العراك الطويل الأمد حثا دون أن تقدم المكتبة المغربية خلال تلك المدة.

بعد ذلك تشكلت دولة المرابطيين، التي وحدت كلمة المغرب، وقضت على ملوك الطوائف بالأندلس، فكانت نصيب المكتبة المغربية من هذه النهضة الجديدة أنها بدأت تدخل في طور الإدهارها، وأخذت تعمر وتعمر بمكتب الذهب المائلي، فأسس ملوك المرابطيين خزائنهم بدار إليهم من ذخائر ملوك الطوائف، وبما اقتنوه بالمغرب وغير المغرب من كتب العلم والدين، ونشأوا في ذلك. وبما امتازت به المكتبة المغربية في هذا العصر تدور كتب الفلسفة والحكمة فيها، ما عرف من تداوم ملوك الدولة عن تلك العلوم، حتى أنهم أحرقوا كتاب "الإحياء" للإمام "الغزالي" - ثم جاءت دولة الموحدين تتلوها دولة بني مرين، وفي عهدهما - زدهت المكتبة المغربية، وبما امتاز به العصر الموحدي أنه فيه نشأت المكاتب العمومية والخاصة على حد سواء، كما أخذت الخزان من كل كتاب يرجع لنفسه المائلي - حيث أن الموحدين حلوا المدام على ترك كتب الفروع، وأحرقوا كتبها.

امتاز العصر المريني الأول بكثرة ما أوقفه ملوكه من كتب ومكاتب، أما في أواخر هذا العصر، وأيام الدولتين الوطنية والمعدية، فإن المكتبة المغربية قلما حظها من المحن التي تولت بالمغرب، جراء احتلال البرتغال والاسبان لتلك من شواطئ المغرب، فطال الكتب النهب وأحرق وتم إتلاف الكثير منها. ورغم قيام العلويين بتطهير شواطئ المغرب من الغزاة الأجانب، فإن المكتبة المغربية لم تابد لنفسها وضعها، لا يخص من أنفس الكتب، ثم انتقل النهب إلى أوروبا، فهبت أغلب دولها لإقتناء لغات وذاخير الخزانة المغربية، كان من نتائجها أن امتلأت الأولى بينما أفقرت الخزان المغربية. أما العهد العلوي فقد امتاز بكثرة ما جذب فيه من كتب الحديث من الشرق، وفي هذا العهد

ظهرت المطبعة الحديثة ، كما دخلت تطبيقات حديثة وبرامج عصرية ، مما ساعد الخزانة المغربية على التطور شيئا فشيئا وجعلها تحاكي في الجملة تقدم المكتاب في البلاد الراقية <sup>(3)</sup>.

### 3- تجربة الخزانة المصنفة في مدرسة المخطوطات العربية

إن الخزانة الملكية التي تعد أول مؤسسة تفصح عنها كتب التاريخ والمخطوطات قد عملت عبر التاريخ على نسخ المخطوطات واستنساخها وترجمتها إلى اللغة العربية ، فتجمع لديها ذلك الرصيد المائل من الكتب ، وإذا كانت الخزانة الملكية خزانة خاصة ، فإن الوضع الذي تتميز به من حيث محتوياتها وغناها واقتناؤها لتفان المخطوطات ونواذرها ، ودورها العلمي الكبير الذي أنطقت به نفسها منذ ظهور الملكية في المغرب جعلها تنبوء مكانة تميزها عن المكتبات الخاصة التي تميزت بها البيوت المغربية منذ القدم . إن أول محاولة وصفت لترتيب مخطوطات الخزانة الملكية وفهرستها ، جاءت على يد العلامة "محمد القاسي" ، من خلال البحث الذي نشره سنة 1964 بمجلة البحث العلمي بعنوان : "الخزانة السلطانية وبعض نقائنها" . فبعد مقدمة موجزة عن تاريخ المكتبات المغربية عموما ، والمكتبات الملكية خصوصا ، أشار المؤلف إلى الدور الرئيسي الذي لعبته هذه المؤسسات في حفظ التراث مع عرض لعدد من نواذر الخزانة ، محيلا على "كارل بروكلمان" و"ليفي بروكسال" و"حاجي خليفة" .

وقد كان الترتيب الذي وضعه "محمد القاسي" هذه الخزانة على الشكل التالي : وصف بعض النواذر والنقائش ، السيرة النبوية ، الجغرافية ، الرحلات ، الأنساب ، تاريخ المغرب العربي ، التراجم ، القرآن الكريم ، القراءات ، التجويد ، علوم القرآن ، التفسير ، الطب ، علم الفلك ، الفقه ، اللغة ، النحو والصرف ، العلوم الطبيعية ، الموسيقى . وقد نشر "محمد القاسي" عددا من المقالات في نفس المجلة وصف خلالها هذه المخطوطات ، ورثها حسب الفنون المشار إليها <sup>(4)</sup> . وتلا هذه الأبحاث كتاب "محمد المنوني" بعنوان : "مستحبات من نواذر المخطوطات" ، نشر عام 1978 بتقديم مدير الخزانة عبد الرحمن القاسي <sup>(5)</sup> . وحسب التقديم الذي حرره "أحمد شوقي بليين" مدير الخزانة الحسنية لنفس الكتاب المذكور (طبعة 2004) ، أن القصد من مصطلح النواذر ، تلك النسخ الخزانة الموشاة بأنواع الزخارف والمنسوخة بجيد الأقلام برسم خزانة ملكية أو ما يماثلها ، كما يعني بها النسخ الفريدة لولقد معين كطوق الهامة لابن خزم وكتاب البرصان والعرجان للحفاظ وغيرها <sup>(6)</sup> .

لقد اختار الفقيه "المنوني" من نواذر المكتبة بعض مؤلفات الملوك والسلاطين ، وما كتبه الأندلسيون والسودانيون والشارقة ، وما كتب بالخط الكوفي ، وقد ذكر بعض المخطوطات التي لها قيمة باليوغرافية <sup>(7)</sup> مع عرض موجز لمحتوى المخطوط . وتشكل الكتب المختارة الفنون التالية : المصاحف ، القراءات ، التفسير ، الحديث ، السيرة ، الفقه وملحقاته ، الكلام ، اللغة والنحو ، الأدب ، التاريخ ، الأنساب ، التراجم ، الجغرافية والرحلات ، السياسة ،



الرياضيات، الطبيعيات، الفلاحة، الكيمياء، الفلك والتنجيم، الطب، الموسيقى، علوم متنوعة. واستهل "المثنوي" هذا الكشف بمقدمة تناول فيها مجموعة من الوثائق، وهي عبارة عن بيعات سلطانية وظواهر ملكية أصلية ومكاتبات ورسائل وتقارير، ثم تناول الحديث عن الوثائق التي توجد في المكتبات<sup>(8)</sup>.

وقبل هذا العمل المتعلق بالمكتبات كان الفقيه "المثنوي" قد شرع في وضع فهرس شامل لمخطوطات الخزانة الحسنية حسب أرقامها على الرفوف، عالج فيه 438 مخطوطاً. بعد مقدمة عن المكتبات الملكية بالمغرب بدأ "المثنوي" فهرسه الطوبوغرافي للمكتبة الحسنية، حيث يذكر عنوان الكتاب، ورقمه، واسم المؤلف، وعدد أوراقه، وشكله، ووصف الخط، واسم النسخ-إذا وجد-ثم تاريخ النسخ، ويشير أحياناً إلى كتب الترجمة التي ترجمت للمؤلف، والفهارس والكتب البليغرافية التي ذكر فيها الكتاب، وكذلك إلى بعض الخزائن المغربية التي توجد فيها نسخة من المخطوطات، كالمكتبة العامة وخزانة القرويين. لم تحتوي الفهرسة على مسارد أو كشوفات لأن صاحبه لم ينته، وآخر كتاب ذكره "شرح الرسالة المسموعة في آداب البحث"<sup>(9)</sup>.

وفي سنة 1980 نشر "محمد بن عبد الله عنان"، أول فهرسة للمخطوطات التاريخية المحفوظة بالخزانة الحسنية<sup>(10)</sup>. بعد مقدمة تعرض فيها إلى حرص ملوك المغرب على جمع نقاش الكتب ونواحيها، أشار إلى أن عدد كتب التاريخ بلغ ألف مخطوط وأنها تعالج الموضوعات التالية: التاريخ العام، تاريخ الشرق العربي، تاريخ المغرب العربي، السيرة والأنساب، التراجم والمناقب، الرحلات، وآخرها مجموعة الوثائق، وهي عبارة عن رسائل سلطانية وإجازة العلماء وظواهر ملكية. ويضم هذا الفهرس كذلك ما وجد من مؤلفات تاريخية ضمن ما يسمى بالمجاميع<sup>(11)</sup>. وقد عرف المؤلف هذه المخطوطات، وذلك بوسيلتها وذكر وفاة مؤلفها واستعراض محتوياتها، وذكر ما يمكن ذكره من نظائرها الموجودة في المكتبات الأخرى مع إحالتها على مقاديرها في معاجم الفهارس العلمية، مثل بروكلمان، والمغزيري (الاسكوريال)، والمتحف البريطاني، والفاينكان وغيرها، ثم يختم بذكر تاريخ ومكان النشر. هذا إن كان الكتاب قد نشر. وقد سلك الم فهرس في الترتيب الفهرسي لأسماء الكتب على حروف المعجم الطوبوغرافية المغربية التي تقدم التكاف واللام والشين على الصاد والصاد والعين والسين والشين، جرباً على ما سار عليه الكتاب المغاربة منذ القديم في تصنيف فهارسهم الأجنبيّة<sup>(12)</sup>.

وفي سنة 1982 بدأت الخزانة الحسنية بإشراف محافظها آنذاك "محمد العربي الخطابي" بنشر فهرس الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات. بعد مقدمة تاريخية على غرار مقدمة للجلد الأول تعرض الم فهرس للحديث عن العلوم عند المسلمين، ثم ذكر السبب الذي دعا إلى تناول مخطوطاتها بالفهرسة، وهو حسب ما جاء في المقدمة تلبية لرغبة أكاديمية المملكة المغربية ومقررات مؤتمر الطب الإسلامي الذي انعقد في الكويت شهر يناير 1981،

وأوصى بتشجيع دراسة الطب الإسلامي، ونشر كتبه، وإنشاء منظمة إسلامية تُعنى بإحياء العلوم الطبية الإسلامية في مجال التراث والبحث العلمي.

ضم الفهرس 288 كتاباً، يمكن حصرها في ثلاثة مواضيع: كتب الطب والصيدلة والأغذية وحفظ الصحة، وأراجيز<sup>(14)</sup> ومنظومات في الطب والصيدلة، والبيطرة والحيوان والنبات. وفيما يخص وصف المخطوط فقد سنك الفهرس الطريقة الشرقية في ترتيب الحروف، فيذكر اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، وكل ما يدخل في ما يسمى بالمتواتر البليوغرافي، ثم يذكر بداية ونهاية المخطوط على ترار كشف العتقون لحاسي خليفة، ثم الترعة والتفسير<sup>(15)</sup>، وسم التاسخ وتاريخ النسخ إن ذكر، ثم التسطرة والقياس وعدد الأجزاء. وختم الفهرس بأربعة كشافات:

- كشافة عناوين المؤلفات.

- كشافة الأراجيز.

- كشافة أسماء المؤلفين.

- كشافة التاسخين.

كلها مرتبة ترتيباً "الفنيكياً". ويمكن اعتبار هذا الفهرس كتاباً في تاريخ الطب، لأن الخزنة الملكية تقسم عدداً من النصوص الطبية قُلت في العصر الوسيط من العربية إلى اللاتينية والعبرية، ودرست في جامعات أوروبا، مثل موبولي بفرنسا، وأتسغورد بالجلترا، وليدن بيوئندا<sup>(16)</sup>.

وفي سنة 1981 ظهر المجلد الثالث من فهرس الخزنة الحسية، وهو الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا<sup>(17)</sup>. أما المجلد الرابع من فهرس الخزنة الحسية بالقصر الملكي (بارباط)، فقد خصص به الفهرس مخطوطات الشطق وأتاب البحث، والموسيقى، ونظم الدولة والقنن الحربية وجوامع العلوم<sup>(18)</sup>. وقد خصص المجلد الخامس من فهرس الخزنة الحسية بمخطوطات الكيمياء وتعين الرقيا والعلوم الحسية<sup>(19)</sup> واعتد آخر فهرس للعلوم العقلية المحفوظة بمخطوطاتها بالطرانة. وقد وصف فيه 367 مجتداً، فيها العديد من التواتر التي يعر نظيرها، وكذلك ما تم استخراجها من المجلدات: آخر فهرس بفرجه "الحري الخطائي". هو ذلك الذي فهرس فيه مخطوطات علوم القرآن<sup>(20)</sup>، والذي كان يريد له أن يكون القسم الأول من فهرس العلوم

الشرعية، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام:

- التنبؤ والقراءات والرسم القرآني.

- التفسير.

- مباحث خاصة أو عامة شاملة لعلوم القرآن (الأحكام، الإعراب، شرح الغريب، آداب حل القرآن، أسباب النزول، النسخ والنسوخ، خواص القرآن...) <sup>(20)</sup>

في سنة 2000، صدر فهرس التاريخ في مجنتين، ثم فهرس مخطوطات الأدب في جزأين سنة 2001 من إعداد "محمد سعيد حشني" و"عبد العالي لمبر" بإشراف ومراجعة وتقديم "أحمد شوقي بنين" <sup>(21)</sup>، ضم الفهرس الأخير أكثر من 500 مخطوط <sup>(22)</sup>، كما نشرت في عام 2003 فهرس مخطوطات البلاغة والعروض من إنجاز الباحثين المذكورين وإشراف وتقديم مدير الخزنة <sup>(23)</sup>، وفي نفس السنة نشرت الخزنة الملكية فهرس مخطوطات اللغة العربية <sup>(24)</sup> الذي ضم حوالي 250 مخطوطا <sup>(25)</sup>، وفهرسا لمخطوطات النحو والصرف، الذي اشتمل على ما يزيد عن 1000 مخطوط، كلها من إعداد الباحثين "محمد زكري" و"مصطفى مربي" بإشراف ومراجعة وتقديم "أحمد شوقي بنين" مدير الخزنة <sup>(26)</sup>.

استمرت مجهودات القائمين على الخزنة الذكية، في عملية فهرسة المخطوطات المتبقية، حيث تم إصدار فهرس مخطوطات التصوف بجزأين سنة 2010 <sup>(27)</sup>، على ذلك إصدار فهرس للكاتب المخطوطة في السيرة النبوية من إنجاز "محمد سعيد حشني" و"عبد العالي لمبر" <sup>(28)</sup>، ثم صدر فهرس مخطوطات الحكمة والمنطق وأدب البحث والمناظرة والومض، سنة 2011، من تأليف خالد زكري و"عبد الحيد بوكاري" <sup>(29)</sup>.

أما ما يخص الوثائق بما في ذلك الكنائس <sup>(30)</sup>، فقد نشرت الخزنة الحسنية فهرسين، يخص المجلد الأول منها بالكنائس (أي السجلات الرسمية)، وإهتم الثاني بالمراسلات الملكية وغيرها، وقد وضعها موقوفون بالملكية الملكية تحت إشراف مديرها آنذاك <sup>(31)</sup>.

#### 4- المخطوطات الجزائرية الإرادة في فهرس الخزنة الحسنية

هناك عديد من المخطوطات في مختلف العلوم والفنون لكتاب ينحدرون من المغرب الأوسط (الجزائر)، محفوظة في الخزنة الحسنية بالرباط، ثم اكتشف عن بعض منها في فهرس خاصة، كنا قد تناولناها بالدراسة في العنصر السابق، وإليك بعض منها حسب الاختصاص:

#### 4-1- في مجال التاريخ والسياسة

حسب فهرس التاريخ بجزأيه الأول والثاني، ورد مخطوط بعنوان: "آثار الرياض في أخبار القاضي عياض" مؤلفه "أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرقي اللساني" (ت. 810/1411م)، نسخة تامة في جزأين، يقع المخطوط تحت رقم 784، وهو مؤلف جامع خصصه "القرقي" لترجمة حافظ المغرب، الفقيه مياض <sup>(32)</sup>، وكتاب "الروض المعطار وكتاب الأنوار في نسب آل النبي المختار"، الذي يقع بدوره تحت رقم 11328، وهو كتاب يبدأ

من أصل الخليفة لينتهي عند تاريخ بني زيان وبني حفص وبني مرين<sup>(33)</sup>، وكتبه "روضة الأسر العاطرة الأفاضل في ذكر من تليته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس"، الذي يقع تحت رقم 220، وهو عبارة عن سجل حافل لنقدهم "للغري" من أكثر علماء عصره وأدائه في مراکش وفاس<sup>(34)</sup>، و"زهرة الأخبار في كنز الأسرار ومعدن الأنوار في تعريف نسب آل بيت النبي المختار"، الذي يقع تحت رقم 1228/ مجموع، وهو مختصر من كتاب المقدمة لابن خلدون الحضرمي<sup>(35)</sup>، وكتابه "كنز الأسرار ومعدن الأنوار في آل بيت النبي المختار"، الذي يقع تحت رقم 632/ 36.

وهملوط بعنوان: "أسس الفقير وعز الحضر" لمؤلفه "آل العباس أحمد بن حسين بن الخطيب القسنطيني" المعروف بـ"ابن قفط" (ت. 810هـ/ 1407م)، يقع تحت رقم 2980، وهو عبارة عن تقليد عن العلامة الزاهد شبيب بن حسين الأنصاري الأندلسي، المعروف بأبي مدين<sup>(37)</sup>، وهملوط بعنوان: "تقليد من وفيات ابن قفط" نظير المؤلف السابق الذكر، يقع تحت رقم 13329/ مجموع، جمع فيه "ابن قفط" وفاة النبي<sup>(38)</sup> وبعض الصحابة والصحابات<sup>(39)</sup>، وهملوط آخر بعنوان: "شرف الطالب في أسس الطالب"، الذي يقع تحت رقم 13899/ مجموع، يبدأ الكتاب بتناول تاريخ الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين لينتهي بمعالجة مسائل مختلفة<sup>(40)</sup>.

وهملوط "تيب ذوي الألباب ليحذروا من تدليس عمر لو كس الكذاب" لـ"محمد بن عبد العزيز الموطئ الشافعي الجزائر" (كان حيا في القرن 12هـ)، يقع تحت رقم 5348، وهو عبارة عن قصة من دعي عمر لو كس الذي كان وأبنا لطهران، وحاول أن يدعو لنفسه بها وأبأولها، فعزله السلطان الولي عبد الله بن إسماعيل<sup>(41)</sup>، وهملوط "الصفحات القديمة" لأبي علي الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني (ت. 787هـ/ 1392م)، يقع تحت رقم 12241/ مجموع، والمخطوط منظومة في مدح مدينة بغداد وأولياؤها وعلمائها<sup>(42)</sup>، وله كتاب آخر بعنوان: "مختصر الروض الناضر في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر"، الذي يقع تحت رقم 5308<sup>(43)</sup>، و"فهرسة العناي" لمؤلفه "مصطفى بن رمضان العناي البوحي الجزائري" (ت. 1130هـ)، يقع للمخطوط تحت رقم 11447 مجموع<sup>(44)</sup>، ومخطوط: "المواهب القدوسية في مناقب السوسية" لمؤلفه "آل عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني الملاي" (ت. بعد 1482هـ/ 1487م)، الكتاب يقع تحت رقم 79447/ مجموع، وهو عبارة عن ترجمة مفصلة وإلمة، كتبها المؤلف لشبلة عالم تلمسان ومشتي معالم الطريقة السوسية "آل عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شبيب السوسية الحسني"<sup>(45)</sup>، و"النجم الثاقب في أولياء الله من مفاخر المناقب" ألفه "محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن محمد الأنصاري التلمساني" (ت. 1461هـ/ 1461م)، يقع الكتاب تحت رقم 2491، وهو عبارة عن مجلد في تراجم

الأولياء<sup>(46)</sup>، وبلغاضة الجراب في خلافة الأحراب " مؤلفه "سلان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب التلمساني" (ت. 770هـ/ 1374م)، يقع تحت رقم 11011، وهو عبارة عن مذكرات "أبن الخطيب" الشخصية<sup>(46)</sup>، و"واسطة السلوك في سياسة الملوك" مؤلفه "أبي حرم موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن زيان العبد الواهي" (ت. 791هـ/ 1389م)، يقع المخطوط تحت رقم 2235، وقد وضع المؤلف كتابه لترشيد ولده وزلي عهده "تاشفين" (47).

#### 2-4- في مجال الحكمة والمنطق وآداب العلم والتعلم

على غرار مجال التاريخ، زخرت الحركة الفكرية بالرباط، بعدد من المخطوطات في مجالات أخرى كالمنطق والحكمة وآداب البحث، حيث ورد: "تقييد على السلم المروني للأعصري"، مؤلفه "سعيد بن إبراهيم قدورة"، يقع تحت رقم 888/ مجموع، وهو كتاب في علم المنطق<sup>(48)</sup>، وكتاب "ربيع الأذهان في تحصيل علم الشرع" لشارحه "أبي عبد الله محمد بن خليفة الجبري"، يقع تحت رقم 12265/ ز/ مجموع، وهو شرح لأجزاء السلم المروني في علم المنطق للأعصري<sup>(49)</sup>، وكتاب "نهاية الأمل في شرح كتاب الجمل للحنفي" لشارحه "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني" (ت. 842هـ/ 1438م)، يقع الكتاب تحت رقم 1075<sup>(50)</sup>، وكتاب "جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرف بين المعلمين وآباء الصبيان"، مؤلفه "أحمد بن أبي جمعة المغراوي النوهري" (ت. 929هـ/ 1522م)، يقع الكتاب تحت رقم 1541/ مجموع، ويتناول موضوعه أحكام المعلمين والتعلمين وآدابهم وحقوق بعضهم على بعض وأمم الخدمة وأجرة الشهور والأحوام الخ...<sup>(51)</sup>، و"رسالة في العمل بالكرة" مؤلفه "عبد الرزاق بن محمد بن حادوش" (ت. 1195هـ/ 1781م)، يقع تحت رقم 1573/ مجموع، وهو عبارة عن رسالة في علم الفلك<sup>(52)</sup>.

وكتاب: "تحفة السالك بزيارة الخالك" للمشيخ "أبي زكريا يحيى بن محمد التناوي اللباني الجزائري" (ت. 1036هـ/ 1625م)، يقع تحت رقم 12265، وهو كتاب عن المنطق<sup>(53)</sup>، والكتاب الأصلي: "السلم المروني في علم المنطق" مؤلفه "أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأعصري الجزائري" (ت. 953هـ/ 1546م)، يقع تحت رقم 1615<sup>(54)</sup>، وهو مصنف عن المنطق الذي أصله "سعيد قدورة" السالف الذكر، و"منظومة في حكم الاشتغال بالمنطق" مؤلفه "أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغني التلمساني" (ت. 909هـ/ 1503م)، يقع الكتاب تحت رقم 5351<sup>(55)</sup>.

لقد حاولنا أن نلخص بكل أمانة وإخلاص، ما عايناه أثناء زيارتنا الأخيرة إلى المملكة المغربية، وما حصلنا عليه من مراجع، نكرم القائمون على الحركة الحسنية بمنهجنا، عائلتنا مشقة نقلها إلى الجزائر، كي هذا خدمة للعلم

وللمبحث العلمي، وتعتقد من خلال هذا البحث أننا ساهمنا في عرض تجربة المغرب الشقيق في مجال جمع المخطوطات وتصنيفها وفهرستها، وهي تجربة لا تترك ألبا استضاف إلى التجارب الجزائرية في هذا المجال، الذي نحميه ما يزال بحاجة إلى المزيد من الجهود للحاق بركاب دور المخطوطات العالمية.

إن هذا لا يعني إطلاقا نفوق هذا عن ذلك، فكل من العرب والجزائر، بحاجة إلى تسويق، وإلى تشجيع الجهود، ليس فقط في مجال الفهرسة فحسب وإنما أيضا في مجالات أخرى تتعلق في الأساس بالمخطوط، وعليه نقترح ما يلي: سيما أن كلا البلدين يجمعهما التاريخ الإسلامي المشترك (المرايطين مروراً بالموحدين ثم المرينيين والزيانيين والخلفيين)، ونضرباً من عامل الغزو الأوروبي، الذي أدى إلى تهيب وإتلاف المخطوطات، فإنه لا يخلو من التعاون المشترك لإعادة استرجاع ما يمكن استرجاعه من مخطوطات مفقودة، وهذا عبر تبادل المخطوطات أو نسخها واستنساخها كمرحلة أولى، وقد ورد في الفهارس التي أطلعنا عليها، أن الحزاة الحسنية تحتفظ بنسخ عدة لعنوان واحد، وقد يكون ذلك وازد بالنسبة للمكتبة الوطنية بالحمامة. تلي ذلك الخطوة الأكثر صعوبة وهي مطابقة دول أوروبا بترائنها المتهوب.

-التعاون الثقافي المشترك في هذا المجال، من خلال تكتيف التريضات واللقاءات العلمية.

-توحيد المصطلحات الخاصة بالمخطوط العربي.

-تبادل الخبرات.

**الهوامش**

(1) - مركز ودود للفهارس وكتب التحقيق:

<http://wadoud.net/bookshelf/book/2107>

(2) - عينت ذلك بقصي عبد زكري المكنية منتصف شهر مارس 2012.

(3) - محمد بن عبد الهادي المولي، دور الكتب في دواشي المغرب: تقديم: أحمد شوقي بدين، الطبعة والثالثة الوطنية أخي المجلدي، مراكش، 2005، ص.ص. 17-24.

(4) - أحمد شوقي بدين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي، الطبعة والثالثة الوطنية أخي المجلدي، مراكش، 2004، ص.ص. 47-51.

(5) - نفس المرجع، ص. 51.

(6) - محمد بن عبد الهادي المولي، مقتطفات من تاريخ المخطوطات: تقديم: أحمد شوقي بدين، الطبعة والثالثة الوطنية أخي المجلدي، مراكش، 2004، ص. 7.

(7) - بانيو عراقية هو العلم الكتابات القديمة، ويطلق في مرعالم المخطوطات.

(8) - نفس المرجع، من ص. 11 إلى ص. 200.

(9)- أحمد شوقي بين: المرجع السابق، ص 32.

(10)- محمد سعيد حسني، محمد علي تقي، فهرس خطوط الأدب والأجزاء، جزء 1، (الشرقية ومراجعة أحمد شوقي بين)، الطبعة الثالثة، الرباط، 2010، 253 صفحة.

(11)- المصاحف، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم، (الأجزاء)، أو الرسائل بخطها كتاب واحد، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(12)- أحمد شوقي بين: المرجع السابق، ص 32-33.

(13)- حسن الطريحي، ص 34-35.

(14)- أبو بكر: جمع أو جزء من نسخة من نسخة من نسخة.

(15)- محمد العربي الخطي، فهرس الوثائق المخطوطة، (الشرقية والأجزاء)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(16)- سليمان بن: هو التعليل في التصحيح، ص 34.

(17)- محمد العربي الخطي، فهرس الوثائق المخطوطة، (الشرقية والأجزاء)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(18)- محمد العربي الخطي، فهرس الوثائق المخطوطة، (الشرقية والأجزاء)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(19)- محمد العربي الخطي، فهرس الوثائق المخطوطة، (الشرقية والأجزاء)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(20)- أحمد شوقي بين: المرجع السابق، ص 34-35.

(21)- محمد سعيد حسني، محمد علي تقي، فهرس خطوط الأدب والأجزاء، جزء 1، (الشرقية ومراجعة أحمد شوقي بين)، الطبعة الثالثة، الرباط، 2010، 253 صفحة.

(22)- أحمد شوقي بين: المرجع السابق، ص 37.

(23)- محمد سعيد حسني، محمد علي تقي، فهرس خطوط الأدب والأجزاء، جزء 1، (الشرقية ومراجعة أحمد شوقي بين)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(24)- محمد سعيد حسني، محمد علي تقي، فهرس خطوط الأدب والأجزاء، جزء 1، (الشرقية ومراجعة أحمد شوقي بين)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(25)- أحمد شوقي بين: المرجع السابق، ص 37.

(26)- محمد سعيد حسني، محمد علي تقي، فهرس خطوط الأدب والأجزاء، جزء 1، (الشرقية ومراجعة أحمد شوقي بين)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

(27)- أحمد شوقي بين: المرجع السابق، ص 37.

(28)- محمد سعيد حسني، محمد علي تقي، فهرس خطوط الأدب والأجزاء، جزء 1، (الشرقية ومراجعة أحمد شوقي بين)، الطبعة المصورة، 2010، 253 صفحة.

- (29) - محمد زكري، عبد المجيد بركاتي، فهرس الكتب المخطوطة في المملكة المغربية وأبواب البحث والمطالعة والوضع، (مجمع المصنفين والمخطوطات)،  
أحمد شوقر دبين، دار أبي رقيق للطباعة والنشر، الرباط، 2011، 259 صفحة.
- (30) - (تكملة نيش: جمع نخاش، وهو تكملة يسجل فيه صاحبه شؤونه الخاصة، في إظهاره في الكتب التي كراماً أو راسداً أو غيرها لولا بعض  
الأحداث التي لا يُعبر عنها في كتب التاريخ.
- (31) - أحمد شوقي دين، المرجع السابق، ص. 57.
- (32) - محمد عبدالله علان وأخرون، المرجع السابق، ص. 46-47.
- (33) - نفس المرجع، ص. 604.
- (34) - نفس المرجع، ص. 611.
- (35) - نفس المرجع، ص. 641.
- (36) - نفس المرجع، ص. 375.
- (37) - نفس المرجع، ص. 126-127.
- (38) - نفس المرجع، ص. 128.
- (39) - نفس المرجع، ص. 384.
- (40) - نفس المرجع، ص. 382.
- (41) - نفس المرجع، ص. 672.
- (42) - نفس المرجع، ص. 920.
- (43) - نفس المرجع، ص. 287.
- (44) - نفس المرجع، ص. 1034.
- (45) - نفس المرجع، ص. 1241.
- (46) - نفس المرجع، ص. 1083.
- (47) - نفس المرجع، ص. 1111.
- (48) - محمد العربي الخطيب، المرجع السابق، ص. 22.
- (49) - نفس المرجع، ص. 31.
- (50) - نفس المرجع، ص. 45.
- (51) - نفس المرجع، ص. 144.
- (52) - نفس المرجع، ص. 193.
- (53) - محمد زكري، عبد المجيد بركاتي، المرجع السابق، ص. 14.
- (54) - نفس المرجع، ص. 94.
- (55) - نفس المرجع، ص. 174.



## الحوار المتوسطي خلف الستار الأطلسي

1/ حوار متعدد المستويات

جامعة السليمانية

ينطلق الحوار بين حلف الشمال الأطلسي NATO ودول المتوسط من مفهوم ارتباط أمن أوروبا بشكل وثيق بأمن واستقرار منطقة المتوسط، الأمر الذي تبلور بين الطرفين عام 1994، حيث يعد هذا الحوار دلالة على تأقلم الحلف مع أجواء ما بعد الحرب الباردة، كما أنه يشكل عنصراً هاماً في سياسة الانفتاح والتعاون التي يتبناها الحلف في هذه المرحلة من تاريخه. ويمكن القول بأن نجاح برنامج الشراكة والتعاون لمنظمة حلف الشمال الأطلسي مع دول أوروبا الشرقية والوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وبداية تشكل فضاء التعاون الأمني الأوروبي-متوسطين في تشجيع هذه المنظمة الأطلسية على إيجاد إطار خاص للحوار والتعاون مع دول جنوب وشرق المتوسط. وإطلاقاً من تحديد الهدف العام للحوار بين الحلف ودول المتوسط والمتمثل في المساهمة في أمن واستقرار المنطقة، والتوصل إلى تفاهم متبادل بين الأطراف المتحاورين، وتأمين صورة الحلف لدى شركائه في هذا الحوار، يمكن التوصل عن خلفيات وركائز الحوار المتوسطي لحلف الشمال الأطلسي، ومكنة الخوازم منه.

### 1- أهمية البحر المتوسط

يعتبر البحر المتوسط مساحة مائية كبيرة تتوسط القارات الثلاث: إفريقيا، آسيا، وأوروبا، ومن هنا جاء اسم

المتوسط، أو البحر المتوسط لأنه يتوسط الأرض، فالبحر المتوسط Mediterranean Sea مشتق من كلمتين

لاتينيتين هما: Terra Moduis، أي Terra بمعنى الأرض، Meduis بمعنى المتوسط، أي البحر الذي

يتوسط الأرض<sup>2</sup>. لقد لعب البحر المتوسط دوراً أساسياً في نشر الحضارات القديمة: المصرية، اليونانية، الفينيقية،

الرومانية، والإسلامية، ثم حضارة الاكتشافات الجغرافية التي اعتمدت على القوة البحرية، إذ توضع البحر المتوسط كل

هذه الحضارات والاكتشافات الجغرافية والاستعمارية، مما جعل الأوروبيون يطلقون عليه في القرنين 18 و 19 تسمية

La Méditerranée.

واعتبر مورتون كابلان Marton Kaplan أن مستقبل السياسة العالمية سيعتمد على الأقل في العقد القادم

واحتمالاً للجيل القادم أيضاً، على تطور المنطقة المحيطة بحوض البحر الأبيض المتوسط، إذ يحوي الربع الشمالي منها

(أوروبا الغربية) على أكبر تركيز للقوة البشرية المعاصرة في العالم التي تقارب مثيلتها في الولايات المتحدة الأمريكية،

ويملك الربع الجنوبي الشرقي من تلك المنطقة مصادر واسعة ورخيصة للطاقة، ويعد تدفقها المستمر في العقود

القادمة من أوروبا للصحة الاقتصادية والسياسية للربع الشمالي الغربي، ويحوي الربع الشرقي الشرقي على المنطقة

السوفياتية من أوروبا بما فيها روسيا الأوروبية وأوروبا الشرقية بالإضافة إلى روسيا الآسيوية. كما قال الجغراف

Buis

في هذا الميثاق ما يلي: "يظهر المتوسط، مع نهاية هذا القرن العشرين، قضية ذات أهمية حيوية"، ويضيف: "و... نجد فيه المغرب حارساً على مضايق جبل طارق، بينما تهب من الجزائر بسواحلها على الممرات البحرية نحو مطنين صقلية، أين تحرص تونس على ضمان أهميتها وموقعها الاستراتيجي طيلة قرون، بينما تحرص ليبيا في إطار هذا الحيوي الاستراتيجي جزءاً كبيراً من السواحل الشمالية للمتوسط الممتدة من إيطاليا إلى اليونان"<sup>28</sup>.

وتقول الباحثة إيدن لاسبيون من جهة أخرى: "إن معظم الناس يتكبدون في البحر الأبيض المتوسط ككتلة من الماء تفصل بين مساحات الأرض الواسعة لكل من أوروبا، إفريقيا، وآسيا، وأنه بحر تحيطه دول ذات هويات ومصالح مختلفة تماماً، مع ذلك فإن البحر يوجد بالقدر ما وقد جاء الوقت لأن لنسأ التفكير في البحر الأبيض المتوسط كمنطقة لها وضع خاص، كوحدة جغرافية تربط الدول باعتبارها مشاركة لها ميزات تتنافس على الموارد، ولديها الحق في إيجاد حلول مشتركة لمشكلاتها التي تزداد اتساعاً"<sup>29</sup>.

## 2- تحديات الدور المتوسطي لبلد شمال الأطلسي

إذا كانت مرحلة الحرب الباردة قد شهدت تحولات أمريكية أوروبية عديدة حول إستراتيجية الحلف العسكرية، وتقاسم الأعباء والتكاليف الخاصة بالاتفاق العسكري، إضافة إلى تحولات حول قضايا عديدة مثل تحالف الأمريكي مع إيطاليا ولم يرسأ بسبب عدوان عام 1956 على مصر، فإن انتهاء الحرب الباردة جاءت مصحوبة بالعديد من القضايا، منها ما يتعلق بقضايا أوروبية كالتوقف في البوسنة، ومنه ما يتعلق بقضايا التعديلات المطلوب إدخالها على هيكل حلف الشمال الأطلسي، وحدود الدور الأوروبي في صنع قرارات الحلف، وبرز في هذا الإطار الجوهري<sup>30</sup>.

أ- الفريق الأول أكد بأن انتهاء الحرب الباردة يمثل بداية مرحلة الانحراق في العلاقات وظهور علاقات لا تعتمد أن تكون داخل إطار التحالف، مستنداً على المعطيات التالية:

- إذا كان الخطر السوفياتي قد دفع الولايات المتحدة لأن تكون قوة أوروبية تلحق وتتعهد بالأمن الأوروبي ضد عدو مشترك على نحو يمكن من استيعاب كافة المشاكل والأزمات التي شهدتها العلاقات، فإن انتهاء الحرب الباردة سوف يزيل عامل توحيد قوي كان كديلاً بوضع سقف ملدّي تصاعد الخلافات.

- إن انتهاء الحرب الباردة أدى بالولايات المتحدة الأمريكية إلى انغماسها أكثر في قضايا الداخلية، وهو ما عرّضه نائب مساعد وزير التجارة الأمريكي لأمس جيفري جارتن Jeffery Garten بقوله: "إن الأيام التي كنا نخضع فيها مصاحفنا الاقتصادية للاتلاف السبامية والامية قد انتهت، ولم يكن مهملون عسكرياً بشكل مباشر"<sup>31</sup>. وقد

انعكست تلك سياسة الأمريكية أثناء النزاع في البوسنة، حيث أحجمت عن التدخل العسكري تاركة المهمة للسكان الأوروبية.

ب- يؤكد الصريق الثاني عن أهمية العلاقات الأوروبية الأمريكية، حيث يعتبر انتهاء الحرب الباردة فرصة لتقديم العلاقات الثنائية. لأن إذا كانت أوروبا غير مستقرة وضعيفة، فهي تشكل مصدر تهديد حقيقي -لا محال- للتصالح الأمريكية.

جها يمكن الأمر- يمكن القول بأن نهاية الحرب الباردة عملت على انحطاف الأطلسي مقارنة جديدة تركت على الفرص التي تتيح نزاعات إقليمية في مركز إستراتيجية، مع جعل الوقاية من الأزمات ومكافحة الإرهاب في قلب اهتماماته، إذ أنه في قمة رؤساء الدول والحكومات المنعقدة في لندن في جويلية 1991، ظهر المفهوم الاستراتيجي للحلف من أجل الانتقال إلى منظمات قرحلة ما بعد الحرب الباردة.

ويتركز المفهوم الاستراتيجي للحلف على فكرة الأمن التي تقوم على ميكانيزم الوقاية عن طريق الحوار والتعاون والإبطاء على قدرة وإفاعة جماعية، والتي تستجيب إلى أربع مهام رئيسية:

أ- ضمان أمن أوروبا.

ب- تقليص النزاع في حالة خطر أو تهديد خطير.

ج- دفع أي تهديد خارجي.

د- الحفاظ على التوازن الاستراتيجي.

يلوم المفهوم الجديد على افتراض أن التهديد واسع المدى قد انتهى بصورة كاملة ومن ثم لا تعد هناك حاجة لتخطيط الحلف على هذا المصهوم الفخاضي، كذلك اعتمد هذا المفهوم على ما يسمى بالأرضية الأمنية الجديدة في أوروبا، والتي تساعد بدرجة أكبر على تحقيق أهداف الثاق الأصلية من خلال الوسائل السياسية، وهي الأهداف التي أشارت إليها اتفاقية واشنطن إجمالاً بتطوير الاستقرار في منطقة شمال الأطلسي، والمساهمة في تطوير العلاقات السلمية مع الضعيف الدولي<sup>9</sup>.

وخلال اجتماع مجلس الحلف في واشنطن بتاريخ 23 و24 أبريل 1999، صدق رؤساء الدول والحكومات على المفهوم الاستراتيجي الجديد للحلف<sup>10</sup>، الذي يعبر عن التغيرات الجيو بوليتيكية المعقدة التي حدثت في العشرة الأخيرة والذي يعترف بالأهمية المتزايدة لشركاء الحلف فيما يخص مواجهة تحديات المستقبل في مجال الأمن.

والملاحظ أنه خلال الاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس منظمة حلف الشمال الأطلسي، تم الاتفاق على

الطرق لأزمة كوسوفو، دراسة سبع ملفات تتعلق بـ

- المفهوم الاستراتيجي الجديد لحلف الشمال الأطلسي.

- الأفاق التي يعمل من أجلها الحلف.

- مسألة توسيع الحلف.

- أخطار الانتشار النووي.

- الاستراتيجية النووية للحلف.

- بناء القوة الأمنية والدفاعية الأوروبية المسطرة فيما سبق<sup>12</sup>.

ولمّا يخص توسيع الحلف، صرحت مادلين ألبرايت كاتبة الدولة السابقة للخارجية الأمريكية، أن هناك ثلاثة أسباب لتوسيع الناتو، حددتها في:

- ضرورة تعزيز المنظمة ببلدان أخرى لتقاسم معنا نفس القيم.

- أن التوسيع كفيل بأن يقلص احتمالات تدخل عسكري أمريكي في أوروبا<sup>13</sup> وأخيراً.

- ضرورة إدخال تعديلات على المنظمة لتجاوز النظرة الخاصة بالحرب الباردة<sup>14</sup>.

بالإضافة إلى نشاط الحلف في أوروبا فإن المنظمة تعمل على تطوير الحوار مع بلدان حوض المتوسط، التي تراها أو تعتقد أنها قادرة على المساهمة في أمن المنطقة، وفي هذا الإطار ومنذ 1994 جرى حوار مع دول متوسطية من بينها الدول الغارية: موريتانيا، المغرب، تونس، الجزائر.

شكل يوضح الحوارات المختلفة لحلف الشمال الأطلسي NATO



Source : OTAN, Division des affaires politique, Institutions se renforçant mutuellement. Dans le site : <http://www.nato.int/multi/slides/pres-fr.ppt#262,5>, Diapositive 5, consulté le 1 Juin 2004.

ويعد اهتمام الحلف بالمنطقة المتوسطية عامة والغربية خاصة، نتيجة لتغير التحديات الأمنية

للإتحاد الأوروبي حسب خبراء الحلف الأطلسي، حيث أصبحت منذ بداية التسعينيات لخص قوسين من الأزمات<sup>14</sup>

• الأول هو القوس الشرقي الذي يمتد من شرق أوروبا إلى منطقة البلقان مروراً بألمانيا وروسيا.

• الثاني يتعلق بالقوس الجنوبي الذي يحد شمال إفريقيا وجنوب البحر المتوسط إلى غاية الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا.

وبعد اجتواحه لجزيرة وسط وشرق أوروبا من خلال توسيع شراكة الحلف مع هذه المنطقة في إطار ما يعرف بـ

"الشراكة من أجل السلام"، بدأ الحلف الأطلسي تكيف إستراتيجيته مع مفاهيم الخطر والتهديد الجديدة التي انبثقت

من محور صراع شرق-غرب إلى محور شمال-جنوب، باعتباره التحديات الإستراتيجية المحتملة على المدى البعيد

التي قد تعترض دول الشمال في جنوب البحر المتوسط وفق منظور إطاره الأمن البحري الموسع الممتد من جبل طارق

غرباً إلى البحر الأسود شرقاً.

ويمكن حصر التهديدات للحرقة لتحويل إستراتيجية حلف الشمال الأطلسي لبحر محور الجنوب وفق المنظور

الأمريكي - الأوروبي على النحو التالي<sup>15</sup> :

• تضيق الحدود التقليدية بين الأوروبي وأمن دول حوض المتوسط بحكم شاعلات الهجرة والاتصال من جهة

وتطور التكنولوجيا العسكرية من جهة أخرى.

• احتمالات بروز اضطرابات سياسية، اقتصادية واجتماعية في دول جنوب البحر المتوسط، وإمكانية تأثرها من أمن

واستقرار الإتحاد الأوروبي عبر قنوات الاتصال الناجمة عن عامل الهجرة وتواجد الجاليات الجنوبية في أوروبا.

• آثار التطور التكنولوجي الذي يجعل العواصم في الإتحاد الأوروبي عرضة لهجمات محتملة بصواريخ بالستية ذات

التدمير الجوي من شمال إفريقيا.

• التحولات الإستراتيجية الجديدة التي فرضتها أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي جعلت تحدي مكافحة

الإرهاب الدولي تحدي الأول في سلم الإستراتيجية الدولية الأمريكية الجديدة، والتي يعتبر الحلف الأطلسي أحد

أدواتها الرئيسية. وإحداً مع دول البحر المتوسط تطور قدراتها ونجاح. حسب تصريح مدريد حول الأمن والتعاون

الأوروبي-الأطلسي"، التي تبنى في 4 جويلية 1997 من طرف مجلس حلف الشمال الأطلسي، ومن أجل ترقية هذا الحوار لم تلجأ إلى إنشاء مجموعة التعاون المتوسطي في 1998<sup>16</sup>، التي لها المسؤولية الكاملة للحوار حول المتوسط. ويمكن القول بأن نجاح برنامج الشراكة والتعاون لمنظمة حلف الشمال الأطلسي مع دول أوروبا الشرقية والوسطى، ومداية تشكل قضاء التعاون الأمني الأوروبي والمتوسطي الذي جاء نتيجة الحوار الأمني الذي تأسس اتحاد أوروبا الغربية مع الجزائر والجزيرة والبرتغال في 1994 والذي كان يهدف إلى إيجاد مناقشة القضايا (الأمنية، إدارة الأزمات وشبكات المخابرات ووضع آليات تبادل الثقة بين دول الحلفين الشرقية والغربية للبحر المتوسط، كل ذلك ساهم في تشجيع المنظمة الأطلسية على إيجاد إطار خاص للحوار والتعاون مع دول جنوب المتوسط. حيث كانت البداية في جانفي 1994 في قمة بروكسل بتصريح مشترك لثلاثة دول وحكومات الحلفاء والذي يؤكد أن التطور الإيجابي للسلام في الشرق الأوسط سمح للحلف الأطلسي بمبادرة إجراءات لثقة الحوار والتعاون وتدعيم الثقة بين دول المنطقة المتوسطية، مع تشجيع كل الجهود التي تساهم في تدعيم الاستقرار الإقليمي<sup>17</sup>.

لذا وجه مجلس حلف الشمال الأطلسي في 8 فيفري 1998 دعوة رسمية إلى ست دول<sup>18</sup> في المنطقة للمشاركة في البعثة التمهيدية للحوار حول البحر المتوسط فكانت ميلاد الحوار المتوسطي تحت إشراف المنظمة التي صمدت إلى تكملته التعاون الإقليمي للاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي OSCE في المجال الأمني لمنطقة البحر المتوسط. وتم إعادة تنشيط الحوار في قمة مدريد في جويلية 1997 بإنشاء مجموعة التعاون المتوسطية GCNE<sup>19</sup>، وهو الإطار الذي يسمح لأعضاء الحلف الأطلسي بإجراء حوار سياسي مباشر مع الدول المتوسطية حول الأبعاد الأمنية للمنطقة.

### 3- إطار الحوار المتوسطي لحلف الشمال الأطلسي

يرتكز الحوار المتوسطي لمنظمة حلف الشمال الأطلسي على مجموعة من الخصائص التي تميزها حيث تورد Jean Nordam فيما يلي<sup>20</sup>:

- يتعامل الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي بتابع ثانوي مع دول جنوب المتوسط، كأطراف منفردة لا كتجموعات إقليمية سياسية وأمنية موحدة، وهو ما تلمسه مع دول المغرب العربي: الجزائر والمغرب وتونس، الذي تم التفاوض معها بصفة إنفرادية.
- يقوم الحوار المتوسطي على مسار مرحلي تدريجي، من حيث عدد الدول المشاركة ومضمون القضايا المطروحة.

يرتكز الحوار المتوسطي على أساسين، الأول أعني يتعلق بالتعاون وتبادل الآراء والنقاش حول قضايا الأمن والاستقرار في منطقة البحر المتوسط بكل ألياته العسكري، والثاني سياسي يتضمن وضع إطار دائم للتشاور والمباحثات السياسية الثنائية حول تطورات الوضع في المنطقة وكل ما من شأنه التأثير على استقرار المجال المتوسطي. لهذا تم حلف الشمال الأطلسي في 1 جويلية 1997 عن وضع برنامج جديد للتعاون العلمي بينه وبين الدول الشريكة بها فيها دول المغرب العربي، سمي البرنامج بـ "العلم في خدمة السلام - La science au service de la paix"، حيث تم السماح لرجال العلم من الدول الشريكة للمشاركة مع زملائهم من دول الحلفاء في برامج البحث التطبيقي والتنمية، ويهدف برنامج STP من جهة إلى ترقية وتطوير مشاريع البحث التطبيقي والتنمية فيها لمجالي المشاكل الصناعية أو المرتبطة بالبيئة أو الأمن، ومساعدة رجال العلم من الدول الشريكة في اكتشف انصلاصهم مع المجموعة العلمية لدول الحلف<sup>22</sup> مع تدعيم الهيكلية العلمية في الدول المعنية. وقد جاء هذا البرنامج تبعاً لبرنامج "العلم في خدمة الاستقرار La science au service de la stabilité".

هذا وقد أكد نائب الأمين العام السابق لمنظمة حلف الشمال الأطلسي السيد كلوس بيتر كلايبيرت Klaus Peter Klaibert خلال محاضرة ألقاها بالمعهد الوطني للأبحاث الاستراتيجية الشاملة بالجزائر يوم الثلاثاء 13 مارس 2001، أن الحوار المتوسطي الذي بعثه حلف الشمال الأطلسي سنة 1994 يتدرج في سياق الشراكة والتعاون، فالأمن بأوروبا - أضاف المحاضر - مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستقرار والأمن المتوسطي، وبوجود هذا الارتباط فتمتد لا تكون نفس الشراكة ونفس التعاون الذي حدث من قبل في كامل أوروبا ولاقى النجاح المطلوب، فالحوار المتوسطي وصل إلى درجة جد متقدمة، إذ أنه وعلى الرغم من حداثة اندمجت إليه في أول الأمر خمس دول ثم ست ثم سبع دول بالشمال الجزائري<sup>23</sup>.

#### 4- مبادرة حلف الشمال الأطلسي للتعاون في مجال التدريب

أطلق رؤساء دول وحكومات بلدان حلف الناتو، خلال قمة ريفر التي عقدت في نوفمبر 2006، مبادرة الشراكة للتعاون في مجال التدريب كإطار لإشراك خبرات الحلف التدريبيه مع شركاء الناتو في الشرق الأوسط الكبير والمتوسمين إلى كل من الحوار المتوسطي ومبادرة استنبول للتعاون، ويسعى الناتو، من أجل تحقيق هذا الغرض، إلى بناء شبكة واسعة من الأنشطة التدريبية التي ستحدث البنى الدفاعية وتدريب قوات الأمن وذلك في إطار توجهاً تطويري ومرحلي.

ولقد هذه المبادرة جزءاً من عملية التحول المستمرة التي تخضع لها قدرات الناتو وعلاقاته، وذلك وداعاً على بيئة الأمن المعقدة على الدوام، فقد باتت حلف الشمال الأطلسي اليوم مرتبطاً بعدد كبير من العمليات والمهام عبر ثلاث

قدراته، تشمل عمليات لرفع على الأزمات والمجهرات التدريبية، إضافة إلى عمليات الإغاثة الإنسانية، ولا سيما عند حدوث الكوارث. يُضاف إليها أن التحالف يقيم شركات وحوارات وتعاوناً مع ما يقرب من أربعين دولة، ولكن أبرزجات متفاوتة، جاعلاً بذلك عائلة حلفائه وشركائه مجموعة من الدول تحتل ثلث الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. كما أن الناتو يحصل مشاوراته وتعاوناته المباشر مع منظمات أخرى دولية وغير حكومية، على السويين الاستراتيجي واليومي.

ويؤدي حلف دولاً متزايداً في المقادرات التعليمية والتدريبية التي تساعد الدول غير المتحالفة مع الناتو عن إصلاح بنيتها الدفاعية، ولتحسين قواتها المسلحة أكثر قدرة على تلبية التشغيل مع جوائز التحالف، ويمكن للناتو أن يدمج مساهمة البناء مستنداً إلى التجارب والخبرات الكبيرة التي اكتسبها من تدريبه وتعليمه جيوش الدول الشريكة له وقررت أمنها، وذلك ضمن سياق شركائه ونشاطاته التعاونية المختلفة، مستفيداً من المنشآت المراسحة والميرة التي يمتلكها أو يمتلكها حلفاؤه وشركاؤه.

وأصبح التعليم والتدريب، في الوقت ذاته، جزءاً من نشاطات الناتو العملياتية. للتحالف، على سبيل المثال، يشارك مباشرة في تدريب قوات الأمن العراقية من خلال مهمة الناتو التدريبية في العراق. كما أنه يقدم تدريب قوات الأمن الأفغانية من خلال قوة المساعدة الأمنية الدولية (إيساف)، وعن نطاق أوسع أيضاً من خلال برنامج كبير يتضمن تعاوناً عبر القس، تم الاتفاق عليه مؤخراً بين الناتو وأفغانستان. وأخيراً، ساهم حلف الناتو في بناء قدرات وإمكانات قوات الاتحاد الإفريقي في السودان، وذلك من خلال تدريب ضباطها ومسؤوليها، ومساهمات أخرى.

وفي هذا السياق، بدأ الحلفاء بالتفكير في طرح مبادرة تدريبية خلف الناتو، لتدريب القوات العسكرية التابعة للدول غير المتحالفة مع حلف الناتو، ومطارات دولية في مناطق أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا. ونظراً إلى التزام الحلف بتوطيد علاقته مع الشرق الأوسط الكبير، وهو ما تم طرحه في قمة اسطنبول في عام 2004 كأساس للعمل الاستراتيجي، فقد صوّت في قمة حلف الناتو وحكومات الحلف في قمة ريفر على تأسيس شبكة واسعة للأنشطة التدريبية للمساعدة في القيادة بين الحلفاء من جهة، وشركاء الناتو في كل من الحوار المتوسطي ومبادرة اسطنبول للتعاون من جهة أخرى.

وتتضمن أحد الأهداف الرئيسية لتلك الأنشطة بمساعدة الدول المهتمة على تعزيز قدرات وإمكانات قواتها العسكرية، وجعلها أكثر قدرة على تلبية التشغيل مع قوات الحلفاء. وهناك أهداف همتلة أخرى يتم العمل على تحقيقها بناء على رغبة الطرفين، وتتضمن مساعدة تلك الدول على مكافحة الإرهاب وعلى تحديث بنيتها الدفاعية. ومن وجهة نظر حلف الناتو، فإن هناك عدداً من المبادئ التي تركز عليها هذه الأهداف. فيجب أن تكون هذه الأنشطة ذات منفعة متبادلة بين الحلفاء وشركاء الناتو، وأن تكون في إطار الملكية المشتركة، وبحسب الطلب والرغبة.



كما يجب أن تكون هذه الأنشطة بمنزلة تكملة للبيئة التي تم بناؤها وتلتزم مع المجموعة، وأن نحسن من الترامج الثنائية والمتعددة الأطراف الحالية، وأن تتحدى تكرار الترامج، وتكثف هذه المبادئ الثقافية ونسبها مع الدول الأخرى ومع الهيئات الدولية كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي. كما تتضمن المبادئ الأخرى، في ما تتضمن، الشمولية وعدم التمييز والتفاضل الذاتي.

### 5- الجزائر والحوار المتوسطي لحلف الشمال الأطلسي

وجه مجلس حلف الشمال الأطلسي دعوة إلى الجزائر في 8 مارس 2000 للحوار المتوسطي، وقد جندت هذه الدعوة في وقت متأخر نسبيا مقارنة بالدول المتوسطية الأخرى، ولعل أهم الأسباب الظاهرية التي أحرزت ذلك هي موجة العنف السياسي التي تهددتها الساحة السياسية الجزائرية، والتي وضعت أمريكا وأوروبا والحلف الأطلسي أمام خيارات صعبة لفترة طويلة إذا ما قبلناها بمستوى العنف الذي مرت به الجزائر<sup>25</sup>.

لم تتردد الجزائر في قبول الدعوة التي وجهت إليها من قبل أمانة الحلف الأطلسي، وعممت منذ ذلك الوقت على توسيع الحوار واقضي به إلى مكانة أعلى قد يتم خلالها ارتباطها بالمنظمة الأطلسية باتفاقيات أمنية، بالتالي أصبحت الجزائر البلد الثالث الذي يوقع على إطار للاتصال الأمني مع الحلف الأطلسي في جنيف 2003، بعد إسرائيل والفيليبين 2001 والأردن.

وبالرغم من التأخر في التحاقها بالحوار، وصلت الجزائر بعلاقاتها مع الحلف الأطلسي تقريبا إلى نفس المستوى الذي بلغته علاقات الدول المتوسطية الأخرى مع المنظمة، وبرز ذلك من خلال التبادل المستمر للزيارات بينها وبين المنظمة والمشاركة في المناسبات والمؤتمرات التي تجمع بين دول الحوار عن الضفتين من المتوسط. وفي هذا الإطار تم إجراء مناورات مشتركة بين وحدات من القوات البحرية الجزائرية مع المدمرة أوتو و. راو فوره من الأسطول الأيمن في السادس من الفترة الممتدة من 6 إلى 9 ماي 2000 بأعالي البحار<sup>26</sup>.

وفي هذا الإطار تلتحق المدمرة الأمريكية مينستر التابعة إلى الأسطول السادس بيميناء الجزائر في الفترة الممتدة من 4 إلى 8 فيفري 2001، للمشاركة في تمارين مشتركة مع القوات البحرية الجزائرية<sup>27</sup>.

كما قام أركان القوات الجزائرية السابق السيد محمد العمري بزيارة مقر القوات الأمريكية بشتوتغارت، وشاكت الجزائر لأول مرة كدولة ملاحظة في التمارين العسكرية "أوسبيري 2001" التي أشرف عليها القائد الأعلى للحلف الأطلسي الجنرال وليام كيرنان، بمشاركة 150 ضابطا عسكريا من 19 دولة، وسمحت التمارين التي امتدت ما بين 1 و9 مارس على مستوى مركز التكوين حول حفظ السلام الدولي أتكندي إيستر بيرسون بكلمينسبورغ للمشاركة بالاصطلاح على الأماليب والتقنيات المستخدمة في مجال دعم عمليات حفظ السلام ومهام عسكرية أخرى.

ومن ناحية أخرى، الخطرت الجزائر من تحول مشاركتها في مبادرة حلف الشمال الأطلسي للحوار المتوسطي، في عملية "المسعى الشدا" التي هدفت إلى مكافحة الإرهاب في المنطقة.<sup>26</sup>

وفي 10 جوان 2001 حل بالجزائر وفد عسكري بقيادة الأميرال لويجي لينو Luigilillo قائد القوات البحرية الحليفة في جنوب أوروبا في زيارة دامت ثلاثة أيام، ودارت المحادثات حول العلاقات بين البحرية الجزائرية والقوات البحرية للحلف وإمكانية تدعيم هذه العلاقات.

وفي 21 أكتوبر 2001 التقى نائب أمين عام الحلف كنودير بيسونيدو Claudio Bisogniero قائدة رأي رابعي المستوى من الجزائر، حسن برناميع نظمة قسم الديبلوماسية العامة في مقر قيادة الحلف، وتناول النقاش قمة حلف شمال الأطلسي في ليشونة، وإستراتيجية الناتو الجديدة والتغيرات في منطقة المتوسط والشرق الأوسط، والتعاون العسكري لشتو ضمن احوار المتوسطي، ودور الناتو في محاربة الإرهاب والعصيات التي يقوم بها جندبا، والتعاون مع الناتو في المجالين العنمي والبيئي، كما أبحثت الفرصة للمشاركة في مناقشة هذه المواضيع وغيره مع ممثلين الدائمين لتركيا وإسبانيا والنجر والمملكة المتحدة والبرتغال في مجلس شمال الأطلسي.

أشاد حلف الشمال الأطلسي وقوات عسكرية أثناء الحرب الباردة من أجل تسييط وتضليل استراتيجية في الدفاع الجهاهي ضد تحديات القوة العسكرية للاتحاد السوفياتي وحلف وارسو الستين لأمن غرب أوروبا ومنطقة الأطلنطي، وبقيت تلك التوقعات ما دامت تلك القوة موجودة ومؤثرة، أما اليوم ويعدز وال تلك القوة وتكادها، فإنه أصبح من الصعب على الحلف حصر هدفه في حدود دفاعية عسكرية، فبعد الحرب الباردة وتغير معالم النظام الدولي الجديد، وتطور الإفرازات، ظهرت مواضيع جديدة تهدد ما يعرف بالأمن بصفة عامة، وخاصة في البحر المتوسط، كالإرهاب والانتشار النووي، وأجهزة غير الشرعية والجريمة المنظمة. ويمكن القول بأن مبادرة حلف الشمال الأطلسي بشأن الحوار المتوسطي، هي مشروع أحادي البصير والبناء، يهدف أساسا إلى محاولة تحقيق أمن دول الشمال في شكل سياسة استباقية للأخطار والتهديدات المحتملة، حيث أظهر الواقع لكثير من الحلفيات التي كان يصممها، فهل يمكن للشرق المتوسطي بناء استراتيجية أمنية نابعة من متطلبات البيئة الداخلية وليس تابعة لما يحدث في المحيط الخارجي؟

#### المصادر والمراجع

1. أسامة دايوق محبس، "التعريف بالنقطة المتوسطية، دراسة لتحديد المكان الاجتماعي والاقتصادي"، السياسة الدولية، العدد 29، ص 29.

- 2- إميليو موني، السياسة الأمريكية في منطقة شمال إفريقيا بعد الحرب الباردة، (مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2002/2001، ص. 43).
- 3- الفيدي بين، "المن لبحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط"، السياسة الدولية، العدد 118، أكتوبر 1999، ص. 37.
- 4- Philippe Gordon, "Recasting The Atlantic Alliance", in Survival, Vol 38, N°1, Spring 1996, p.p.41-42.
- 5- مرياس مزيان، الحلف الأطلسي كآلة لتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة حالة حرب الخليج الثانية. (مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، دائرة: قسم العلوم السياسية، 2004-2005، ص. 48).
- 6- Philippe Gordon, Op.Cit. p.35.
- 7- Benfriha Nouredine, « Les missions de l'OTAN à l'ère du nouvel ordre international », Dans IDARA, N°9, N°2, 1999, p.137.
- 8- Jan Petersen, « Le prochain Concept Stratégique de L'OTAN », Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°2, Été 1998, p.18.
- 9- محسن أبو طالب، "توسيع الناتو ومستقبل الأمن الأوروبي"، في السياسة الدولية، ج. 129، جريدة 1987، ص. 102.
- 10- Javier Solana, « Sommet de Washington : une alliance résolue entre dans XXI siècle », Dans Revue de L'OTAN, Vol°47, N°1, Printemps 1999, p.3.
- 11- Isabelle François, « Le partenariat constitue l'une des tâches de sécurité fondamentales de l'OTAN », Dans Revue de L'OTAN, Vol°48, Printemps-Été 2000, p.28.
- 12- Karl Heinz Kamp, « L'OTAN après Kosovo : ange de paix ou gendarme du monde », Dans Politique étrangère, Vol.64, N°2, Année 1999, p.246.
- 13- Conseil de l'Atlantique Nord en session des ministres de défenses, « Communiqué final 2 Décembre 1997 », Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°1, Printemps 1998.
- 14- إبراهيم نعمون، المغرب العربي في ظل التوازنات الدولية بعد الحرب الباردة. (مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة الجزائر: قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جوان 2003، ص. 38).
- 15- أنيس المرجع، ص. 39.
- 16- Nicola de Santis, « L'avenir de l'initiative méditerranée de L'OTAN », Dans Revue de L'OTAN, Vol°46, N°1, Printemps 1998, p.35.
- 17- إبراهيم نعمون، مرجع سابق، ص. 47.
- 18- الدول التي كانت معنية بالحوار هي: مصر، إسرائيل، موريتانيا، المغرب، تونس، الأردن. أما الجزائر فقد التزمت رسمياً بإطار الحوار المتوسطي للحلف في مارس 2000، حيث كانت الجزائر البلد الثالث الذي يوقع على إطار للاتفاق الأمني مع الحلف الأطلسي في جانفي 2003 بعد إسرائيل في أبريل 2001 والأردن. وتعتبر الجزائر من أقطاب دول الحوار المتوسطي للحلف الأطلسي، حيث قطعت خلال أربع سنوات فضاء 2000-2004 كشوافاً كبير ليرتقي موقعها من مستوى الحوار المتوسطي إلى الشراكة الاستراتيجية.
- 19- Jette Nothmann, « Le dialogue méditerranéen: dissiper les malentendus ettablir la confiance », Dans Revue de L'OTAN, Vol°45, N°4, Juill-Août 1997, p.p.26-29.
- 20- Chef de la section Affaires multilatérales et régionales des affaires politiques de l'OTAN.
- 21- إبراهيم نعمون، مرجع سابق، ص. 42.
- 22- Jean-Marie Cadiou, « La science au service de la paix: le nouveau programme OTAN de coopération avec les pays partenaires », Dans Revue de L'OTAN, Vol°40, N°6, Nov-déc 1997, p.p.30-33.

- 23- ميمونة رشيد، "حلف الشمال الأطلسي... من أجل حوار متوسطي"، في مجلة الجيش، ع. 434، الجزائر: مديرية الإحصاء، الإعلام والتوجيه، ماي 2001، ص. 34.
- 24- Fritz Radschacher, « L'Initiative de coopération en matière de formation de l'OTAN ». Dans Revue de l'OTAN Printemps 2007.
- 25- حسين سلطوح، "الحوار الجزائري الأطلسي: من أين وإلى أين؟"، في دراسات استراتيجيّة، ع. 2، جوان 2006، ص. 42.
- 26- معنوي بومالي، "التاورية البحرية الجزائرية- الأمريكية: اكتساب خبرات وتجربة"، في مجلة الجيش، ع. 443، الجزائر: مديرية الإحصاء، الإعلام والتوجيه، جوان 2004، ص. 77.
- 27- سطحة صفار، "تفريق بحرية جزائرية- أمريكية مضادة للقوات"، في مجلة الجيش، ع. 452، الجزائر: مديرية الإحصاء، الإعلام والتوجيه، مارس 2001، ص. 8.
- 28- M'hamed Berkouk, "Le Maghreb dans les constructions stratégiques en Méditerranée: analyse prospective", Dans Séminaire International sur Méditerranée: tendances géostratégiques et questions Internationales, Alger: IDRI, 9 - 10 avril 2005.
- 29- معنوي، "وقد عسكري من حلف الشمال الأطلسي في زيارة إلى الجزائر"، في مجلة الجيش، ع. 458، الجزائر: مديرية الإحصاء، الإعلام والتوجيه، جويلية 2001، ص. 2.

## العقلي والتقلي عند المتكلمين

د/ سرحي ربيع

جامعة قسطنطينة

لقد ساد الاعتقاد منذ القديم وحتى يومنا هذا بأن العلوم العقلية تنتمي في الفلسفة و للطق، باعتبارهما يشكلان ثنائيا لن أداء البحث في الميثاقين أو العلوم العقلية، وهذا ما يذهب إليه الكثير من المستشرقين في هذا المجال، وكان الفلسفة الإسلامية هي الفلسفة المثالية لا غير... إلا أن هذا الرأي يتمحي ويتلاشى من أذهان مروجيه إذا هم أقبلوا على دراسة الفكر الإسلامي، حيث يظهر أن الفلسفة الإسلامية الحقيقية يعود تاريخها إلى بداية ظهور الإسلام وهي مستمرة إلى يومنا هذا، وتمثل هذه الفلسفة في الآراء الكلامية، وفي بحث القضايا ذات الطابع الفكري والفلسفي، وذلك قبل أن يكون للمسلمين أي اتصال بالثقافات غير الإسلامية، ونلمس في هذه الفلسفة بحث في القضايا المتعلقة بالإنسان، وحدائق هذا الوجود، وحرية، وجزاء، وإمامة، وقضاء وقدر، وصفات الخالق...

و غير هذا من القضايا الفكرية المستمدة من الشريعة الإسلامية والتي تختلف بشأنها المتكلمون، مما أدى إلى استعمال أداة تثبت موقف في مقابل موقف آخر، فكان للدليل النقل والدليل العقلي حضور في معالجة هذه القضايا. ومنه فإن يمكننا طرح الإشكال الآتي: هل النقل لوحده كاف في إثبات تلك القضايا؟ أم لابد من وجود المنهج العقلي، خاصة ونحن نعرف أن بعض القضايا متعلقة بالخالق أو بالإنسان تحتاج إلى دليل عقلي لا ثباتيا، ليس فقط على مستوى الرقعة الإسلامية، وإنما يتعدى إلى خارج الرقعة الإسلامية، في حضارات كان الإسلام قد وصل إليها، وبالتالي ضرورة معالجة هذه بنظر منبهم حتى نثبت الحجة عليهم وقبول ما جاء في الشريعة الإسلامية، من وحدانية وتوالت وإيمان بالكتاب والملائكة... وغيرها وهي موضوعات علم الكلام. أم نرى أن النقل لوحده غير كاف والعقل لوحده غير كاف، وبالتالي ضرورة الجمع بينهما لتكون القضايا تختلف في طرق البرهنة عليها، ذلك هو الإشكال المطروح والذي نحاول معالجته في هذه الورقة.

بداية التفكير لدى المسلمين:

لقد ارتبط علم الكلام بالمشكلات الدينية والسياسية والثقافية التي نشأت عن واقع إسلامي لم يرض عنها، وبالتالي لا متص من البحث في هذه المشكلات التي صارت تؤرق الفكر الاعتقادي لدى المسلمين، فوجب البحث عن حل لهذه المشكلات، تارة مستخرجة من القرآن وتارة باستعمال العقل في الإثبات أو النفي، هذا الأخير الذي كانت له مكانة كبيرة خاصة إذا اعتمد الأمر بالدفاع عن العقيدة الإسلامية في مقابل العقائد الأخرى. ويتضح بصورة جلية حينها تطور علم الكلام.

فكان علم الكلام هو أحد الفروع الفكرية التي ساهمت بشكل كبير في عتق فلسفة إسلامية جاءت نتيجة اجتهادات في العقيدة بما يمكن أن نسمي ذلك فلسفة العقيدة، حيث سمت بالمطالعة في كثير من مناحيها مما جعلها تكون بداية لتأسيس فلسفة إسلامية إلى جانب علم أصول الفقه، وذلك قبل أن تفعل الفلسفة اليونانية فعلتها في الفكر الإسلامي.

فلو أردنا أن نبدأ في تتبع ظهور بعض الآراء التي أدت فيما بعد إلى ظهور الكلام كعلم لقلنا أن ذلك يرجع إلى أيام الرسول (ص) وما عاصره، وما وقع بعده، من اختلافات أدت إلى نشأة علم الكلام، فأعترض عبد الله بن الحنفية على قصة الغنائم والتشكيك في عدل محمد، حتى رد عليه هذا الأخير بقوله "مبيخر من شطشي هذا الرجل قوم يعرفون من الدين كما يعرف السهم من الرمية". كما كان هناك اختلاف بين المسلمين في حال مرضه، فقال "أقول بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا من بعدي" وقد اختلف الصحابة بين أن يعطى له ما أمر أولاً، حتى قال عمر بن الخطاب لقد غلب عليه الوجد بكفينا كتاب الله. وكان الخلاف أيضاً وقع في عدم التصديق بموته، ثم في كيفية الصلاة عليه وأين يدفن، ثم كانت الامعة أحلك المشكلات الرئيسية التي جعلت المسلمين يقفون حيالها متسببين إلى من يدعو إلى الأضمار وإلى من يدعو إلى المهاجرين. وتوالى الأحداث في عهد الخلفاء الراشدين وصولاً إلى آخر خليفة (علي بن طالب)، أدت هذه الأحداث إلى انقسام المسلمين إلى شيع وفرق. كل هذه القضايا خللت نواحيها من الكلام، ولكن ليس بالمفهوم الذي صار عليه علم الكلام فيما بعد، حين جدت على المسلمين قضايا ومشكلات مستخرجة من الفرق ولم يجدوا من يلهم على مفهومها الصحيح فكانوا إما عليهم أن يجتهدوا في تأويل وفهم هذه الآيات، التي تبدو متعارضة ومتناقضة في بعض الأحيان، ولذلك وجب الرجوع إلى العقل إلى جانب النقل للخروج من هذا الإشكال.

#### الدليل العقلي

إن التريفة الإسلامية جاءت حادة على استخدام العقل بفرض فهم مقاصد الشارع ومراييه، بل أكثر من ذلك نقول أن النصوص الدينية التي هي منبع التشريع بينت مكانة العقل وأهميته، فالحديث القدسي الذي يقسم به الخلق بالعقل حين قال "أرحمني ورجلاني ما خلقت شيئاً أعظم منك" كما أن بعض الآيات القرآنية تشير إلى ذلك (1). فعن طريق العقل يصح وتأكيد العقيدة، وتؤدي الأوامر والنواهي على حقيقتها، فالعقل "هو السبيل إلى فهم الدين ونصوصه، وهو السبيل إلى الاجتهاد فيها لم يرد فيه نص فطعي الثبوت والدلالة، وهو أدلة المواجهة مع المخالفين، فليس من سبيل إلى دعوة المخالفين أو المواجهة إلا بدليل العقل، ولا ردة على الشكوك إلا بجواز عقلي مقنع" (2).

فقد بدأ العمل بالعقل من خلال الاجتهاد أو ما يعرف بالرأي أو القياس بعد ذلك، لأن هذه المصطلحات ترمز في معنى واحد، قد تطور عبر العصور "فالرأي والقياس انبثقا من جهة واحدة، فعملتا ضبط للرأي وحددت قوانينه مسمى بالقياس" (3) وقال الشافعي في بيان العلاقة بين القياس والاجتهاد ما نصه "إن القياس والاجتهاد بمنزلة لغز واحد" (4). وإذا كان كذلك فإن الاجتهاد هو منهج عقل يتبع في الكشف عن الحقيقة ونقصها عنه مثل الرأي والقياس، لأن الأخير قد استعمله علماء الإسلام أصوي منه أو غير، ويظهر هذا الدليل في بداية التشريع الإسلامي في حياة الرسول (ص) حين كان يدعو أصحابه إلى الاجتهاد، حيث تذكر عائشة أن جبريل كان ينزل على الرسول (ص) آيات محركات وأخر متشابهات، حيث الأولى هي أمثلة أما الثانية فهي قضايا غير مخصوص بحكمها، ليعمل المسلمون معهم (الرسول (ص) على إعداد حكم ما قيسا على تلك المخصوص عليها (5). وقد أيد الرسول (ص) هذا حين بحث إلى اليس واليمين أن الأحكام يكون القرآن أو بالسنة أو القياس (6). وكذلك رسالة عمر بن الخطاب إلى بني حنينة الأشجري، وهي رسالة طويلة تذكر منها ما يدل على استعمال العقل "العمم الفهم فيما يختص في صدرك مما لا يملك في الكتاب والسنة اعرف الأمثال والأشياء لم قم الأمور عند ذلك وأصعد إلى أحبا حذاته وأصحبها بالحق ثم روي" (7).

وعلى الدليل (العقل) ينظر إليه أنه يأتي تأكيداً لما ذهب عليه التشريع\* إن المشككيين اعترضوا قواعد الأوامر وأقروا بصحتها وأمنوا بها ثم الحدوا أدلتهم العقلية للبرهنة عليها... أما الفلاسفة فهم يحتلون المراكز الجيدة ويعرضون أدلة لهم حالية من مؤثرات ومن اعتراضات، ثم يبدأون النظر مستقرين ما يؤدي إليه البرهان (8) ويرى ابن خلدون قد ذكر هذه الفكرة في كتابه المقدمة فقال "إن نظر الفلاسفة في اللاهيات لم هو نظر في الوجود الظاهر وما يقتضيه لاهاته. ونظر المشكك في الوجود من حيث أنه يدل على الموجد وبالجملة فهو مبدع عنه الكلام عند عمله إما هو العقائد الإلهية بعد مرفها صحيحة من التشريع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية (9) و يظهر جليا أن الاعتزلة هي أهم مرفة استعملت العقل وأعطته التقديرات الكاملة في معرفة ما يمكن معرفته، إلا أن هذا الأمر لم يكن منذ ظهور المعتزلة على يد واصل بن عطاء، حيث أنه (واصل) جعل إلى جانب العقل النقل كغيره في الاستدلال على القضايا "إننا نرى خلال النقد الداخلي لنصوص هذين الشيخين (10) أن ليس هناك أثر حاسم من مسألتين المرتكبتين، وفي مسألة الخلاف بين علي وأبياته، ثم أننا نرى بوضوح كيف تمسكت واصل بن عطاء بالفكر والنسب، وكيف عاب على عمرو بن عبد حين خلا هذا الأخير في التأويل العقلي دون سند من النبوة" (11).

فالإنسان لن يحصل العلم وأن يتعلمه إلا بالفكر والنظر والتدبر وفق ما دعا إليه الشرح كما في كونه تعالى "إن شر الثواب عند الله القسم الحكم الذين لا يعقلون" (12) أهله الآية نصف من لا يستعمل عقله فهو في مصاف المذمومين

التي لا عقل لها، ولذلك فإن الشارع قد ميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بعقله، وما وجود العقل في الإنسان إلا لأن يستعين به في الوصول إلى الحقائق، كما أن القرآن قد سعى عن التقليد كطريق للعلم، وإثباته على الاجتهاد لأن فيه الدليل.

وقد تنبأ القرآن الكريم بحسنه على ياله لائق التي تنس على استخدام العقل وذلك كما في قوله تعالى "أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء" (13) فهي آية صريحة دالة على استخدام العقل (14) وذلك من أجل التفكير والتدبر والاستدلال على عظمة الخالق من خلال عظمة مخلوقاته وكثرها وتعددتها، أي أن العقل يربط بين المشاهد وغيرها المشاهدة ليعرف الخالق من خلال المخلوق وفكرته وأحكامه في مخلوقاته، فالله هو الحكيم لا يفعل ولا يخلق شيئا دون حكمه لأن ذلك يتناقض مع ما وصف به نفسه.

ومن طريق العقل يستطيع الإنسان أن يكشف قوانين المخلوق وكيف جعل الأشياء في ترويض فيها ينهها إلى أكثر من ذلك نمو بعض الآيات فيها ذلك الترويض والتتابع وعدم التداخل فيها ينهها وهذا دليل كاف على أن الذي خلق هذا المخلوق إنما فيه من ترتيب واستقرار واتقان لدليل على قوة وعظمة خالقه، فقد قال تعالى "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" (15)؛ "أفلم ينظروا إلى السماء فوليه كيف يسجد وزيده، وما من فروع والأرض جردناها وألقينا فيها روائنا وأنتنا فيها من كل زوج هيج نعصرها ونذكرها بحر عبد متب" (16) كل هذه الآيات وغيرها تدل وتحث على استخدام العقل. وذلك للدفع عن العقيدة الإسلامية وعن وسادية الخلق في مقابل العقائد الأخرى غير الإسلامية مساوية كانت أم وصعوبة. وهكذا فالقرآن يوجه العقل البشري إلى خطوات التأمل والتفكير من لدن الأفكار الفلسفية وجعلها جانب وتحرير الفكر من التبعية لأراء المذاهب السابقة على الإسلام والمذاهب المغايرة له أيضا، واتساع المعرفة بالموسمات المتاحة له من حسن وعقل حتى يسي فلسفة قائمة على النظر والاستدلال.

لقد جاء هذا المنهج تفكيراً تكبيرة العقل في أن يؤدي غايته في الوصول إلى المعرفة التي يؤسس عليها الأيمان الصحيح. حيث لا يمكن أن تغفل أو تتعامل بما في القرآن الكريم من حروب الاستدلال القائم على البحث من العقل من الفكر من قواها واعتبارها صحيحة، وهي كلها تذهب إلى إنشاء وجهة نظر عن الذات الإلهية وعن الإنسان وعن الكون وأحياء بصفة عامة في كل ما يتعلق بها (17).

وعلا لهذا فإن مصدر التشريع الأول لا يخالف ولا ينفي العقل، وإنما يدعو إلى اعتباره أحد الأدوات الصحيحة التي يركن إليها الاستدلال خاصة ما يتعلق بالأمور العامة والبنائية، فهو يدعو للتفكير وأنه قابل لما هو حق من الأراء، وقد حاول صاحب مذهب كلامي أو فلسفي أن يتضمن مذهبه هذا (18).



الطلاق من هذا كان كعدمه في الدور الكبير في إبراز دور وأهمية العقل في الاستدلال والبرهنة على القضايا والمشكلات المستعصية من القرآن الكريم، كالدفع عن التوحيد وما يتصل به من الصفات التي ليس للشرع عليها، وحتى لا يكون هناك دفع في النصيب أو التجسيد فقد ذهبوا إلى تأويل هذه الآيات حتى يتوافق مع فكرهم المتأخر في عدم الرؤية يوم القيامة، وهي أيضاً من نزاهتهم الكلامية إضافة إلى ذلك أن فكرة القرآن كلام الله القديم هي الأخرى أخذت بتطور عقل، وهي أن كلامه لا يستقر وصفه قديم لأن القدم هي إحدى الصفات التي يستأثر بها وحده، ولذلك لما قيل هو على حسبه من قوله "ليس كمثلته شيء" وبالتالي فالكلام في هذه الحالة يكون محسباً حيث يذكر عليه الشهرستاني ربيعاً أصح هذه الفكرة في طلب تطورات يقول "القول ينبغي صفات انساني تعالى من بعده والقدرة والإرادة والحيثية وكانت هذه الخلق في بدائها غير واضحة، وكان وحسب يشرح فيها على قول متأخر، وهو الاتفاق على استحالة وجوده في قديم الزمان، ومن أثبت معنى صفة فقد أثبت الخلق" (19) فهذا النص يدل أن وحسب رفض القول بقدم الكلام حتى لا يكون إثبات إلهي، وهي فكرة يدرجها الأول من وحسب من نظرية العقلية وهو أن من أهم المسئلة في تحقيق هذه الفكرة وأعطت لها بعداً فلسفياً "وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة، وانتهى بقرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالماً قادراً ثم انعكس بأنهم صفتان ذهنيان، مما اعتبر أن يثبت المثلثة كما قال الحاشي، أو حالات كذا قال أبو هاشم" (20).

والاعتقالات التي يرى بوجوب النظر العقلي والاستدلال بالعقل فقد ذهبوا إلى البحث في مسألة التصديق والظن حيث جعلت هذين الأمرين مصدران من الأيمان أي ذاتيان، فالأيمان ظناً أن له عقل وأنه القدرة على تغيير الخير من الشر أو الحسن من القبح فهو لا يحتاج إلى تثبيت دليله من الشرع، حيث يذكر عنهم "أن العقل اقنعني بكونه قبل الرسل صلوات الله عليهم ولا ينظر معرفته إلى الشارع" (21) غير أن المعتزلة جعلوه من ثلاثة أقسام هي:

- قسم علمه العقل الكذب الضار
- قسم علمه العقل نفع الكسب
- قسم علمه العقل كوجوب صيام آخر يوم من رمضان
- قسم علمه العقل كوجوب صلاة يوم من شوال.

وبالتالي فإن الأولين ورد الشرع مؤكداً لما علمه العقل فيها، والثالث ورد الشرع فيه مظهراً لما يصل إليه مع أنه حسن جميعها، وقبحه كان ثابتاً لها من قبل الشرع (22).

غير أن هذا الاصطلاح في فكرة المعتزلة، كما يذكر ذلك الجوهري، يدل على عدم ثبات الاعتقالات على رأي واحد.

وألقى ذلك في اضطراب الثقل عليهم " فوهم يبيع الشيء بعينه أو بحسن، فقلل عنهم أن الحسن والقبح من المعنويات من صفات أنفسها، ونقل عنهم أن القبح صفة النفس، وأن الحسن ليس كذلك، ونقل ضد هذا عن أرسطو، وكل ذلك جهل بمنهجهم (23) .

#### الدليل العقلي

الدليل العقلي هو أحد الأدلة المستعملة في علم الكلام، وللاحظ هذا الأمر منذ بدأ علماء الإسلام في بحث قضايا متعلقة بالكلام، حيث حدد الاشتغال به قبل المعتزلة من أمثال الحسن البصري وجعفر الصادق وأبي حنيفة والثوري وغيرهم، واستند هؤلاء في بيان الأحكام الاعتقادية على الكتاب والسنة أولاً ثم على العقل والشرع ثانياً. ولما جاء المعتزلة حاولوا أن يجعلوا العقل مكانة مرموقة إلى جانب النقل، وكادوا يسوون بينه وبين النقل، وهكذا سلبوا المعتزلة في اعتبار الدليل العقلي أقوى من الدليل النقل حتى جعلوا معتزلة تعالي عن منزلة النقل، وقد ذهب المعتزلة إلى تحديد الدليل العقلي إلى ثلاثة أنواع: القرآن، الإجماع، غير الجمع عليه (استورا).

والقرآن هو المصدر الأول الذي يحتسبون عليه الآن نزولهم العقلية جعلتهم يتجهون إلى التأويل وفي سائر النصوص الطبرية كالباء والنوح والاستواء وغيرها، بينما يحتفلون في الإجماع حيث شكلت فيه النظام من حيث حجية ودفعه ورأى جواز إجماع الأمة على الباطل حيث يقول البغدادي " فأنكر لأجل ذلك حجية الإجماع وحجة القياس في تفروع الشريعة، وأثّر الحجة من الأخبار التي لا توجب العلم الضروري... ونحن في فتاوي أعلام الصحابة رضي الله عنهم (24) .

أما الأحاديث فقد كان فيها اختلاف بين أهل الاعتزال، فذهب واصل إلى قبول المتنوات منها، بينما شكك عمرو بن عبيد في الرواية والرواية، أما أبو الطيب العلاف فقد اعتبر المتنوات حجة بينما للشهور وخبر الواحد فلا يتساده العلم. بينما شكك النظام في المتنوات، إلا أن هذا القبول والاعتراض في العقل في مرحلة الأولى، لعدم يغطي نوعاً ما، ذلك حجج، القاضي عبد الجبار، حيث مال إلى الاعتدال هو وتلامذته وكان ذلك من ناحية نظرية، فقد جمعوا على الأدلة الأربعة التي أقرها شيخهم الأول، حجة عقل، الكتاب، السنة، الإجماع.

أما الأشعرية والتي يظهر من خلال تاريخها فإنها ترى في الدليل العقلي هو ذلك الدليل الذي يتكون من الكتاب والسنة والإجماع، وعند البعض الآخر أحد المراتب القياسية والاستدلال بعن هذا الأخير فإن الأشعرية لا تفرق بين العقل أو الاستدلال به على صحة مسألة من المسائل المتعلقة بالشرح.

وعن هذا الأسس فإن مذهب الأشعرية الكلامي يقوم على دعائين هما العقل والنقل، ولا عجب في ذلك خاصة وأن الشيخ أبو الحسن الأشعري مؤسس المذقة قد عاش في تلك الفترة وشرع من موردهم مدة أربعين سنة

ثم خرج عنهم، كما أن خروجه كان بسبب ما تراهي نه، من كونه جاء لتوسطه بين العقليين في العقل والمغاليين في النقل. فهو بهذا لا ينكر العقل، وإنما يجعله إلى جانب النقل. ويتجلى هذا الأمر فيما كتبه الأشعري من كتب خاصة بكتب "الإبانة" وكتاب "المنع" حيث يظهر في الأول أميل إلى النقل كثيراً، بينما في الثاني عقل في كثير من الأحيان. ونعل السبب في ذلك يعود إلى أن "الرجل كان همه في الكتاب الأول موجه إلى تحديد مواقف الجديلة إزاء الخصوم (المعتزلة) بينما كان يهدف في الكتاب الثاني إلى تأييد مواقف تلك بما انتدفع له من أدلة، ومن ثم جلب عليه قطائع العقل" (261) من هنا نرى أن الأشعري قد استعان بالعقل إلى جانب النقل وذلك حين الحديث في مسائل الكلام كلها كسألة وجود الله وغيرها، وهذا الكلام يشته الأشاعرة أمثال الجويني والغزالي، وغير الأشاعرة كإبن تيمية وابن القيم (27).

ويشير ابن تيمية إلى أن بعض الأشعرية نشت الصفات بالعقل والبعض الآخر بالنقل، "وأما من فس هؤلاء فيثبتون جميع هذه الصفات بالعقل كما كان يسلكه القاضي أبو بكر ومن قبل أبو الحسن الأشعري وأبو العباس الفلاسي ومن قبهم كإبن محمد بن كلاب والحارث الحناسي وغيرها، وهكذا السلف والأئمة كأحمد بن حنبل وأمثاله فيثبتون هذه الصفات بالعقل كما تسب بالسمع. وهذه الطريقة فعل وأشرف من طريقة هؤلاء المتأخرين" (28). وبالتالي تبيين الأزواجية في الظاهر هو أن بعض المسائل يعمل فيها العقل، والبعض الآخر يكون للنقل فيها دور كبير فلا تحتاج إلى العقل.

إلا أن هذه الأزواجية بين العقل والنقل تجدنا تقل عند المتأخرين خاصة عند الجويني والبغدادي والشعر الرزازي، حيث يرى الجويني أن مدارك العلوم ثلاثة: إما بالعقل وإما بالسمع وإما بها معاً، حيث يقول "فما يدرك بالعقل لا غير، وفيما يدرك بالسمع لا غير، وفيما يجوز إدراكها بها جميعاً" (29) فالمدى يدرك عن طريق العقل هي حقائق الأشياء، ودرك استحالة المستحيلات ووجوب الحقائق ووجوب الواجبات العقلية لا التكليفية الضرورية منها والظرفية، وأما من يدرك بالسمع فهو وقوع الحوادث وإنتفاؤها. أما فيما يجمع فيه العقل والنقل فهو كل مدرك يقدم على ثبوت كلام صدق يستحيل دركه من سمع، فإن استند السمعيات كلها الكلام الحق المصدق (30). وهذا التقسيم هم نفسه الذي دأبت المعتزلة عن ذكره، وبالتالي فهو يسجل إلى المعتزلة في الأخذ بالعقل أو جعل العقل ذا أهمية في كثير من المسائل خاصة المتعلقة بالباري لأن العقل أصل للنقل.

فلما جاء الرزازي فقرر نفس الأفكار التي قال بها سابقه من كون أن العلم يعرف إما "أن يكون عقلياً محضاً أو سمعياً محضاً أو مركباً منهما، أما العقلي فلا بد أن يكون بحيث يلزم من وجوده وجود المدلول، فالضرورة حاصل لا محال من هذا الطرف، فإن لم يحصل من الطرف الآخر فهو الاستدلال بالمشروط عن الشرط كالاستدلال بالعلم عن

أخيرة وإن حصل من الآخر فهو الاستدلال بالعلة المعنية عن العلول للعين (317) وينتهي في معرض كلامه إلى تشكيك في الدليل السعي إلا أن توفرت فيه شروط عشرة هي التي "عصبة رواية مفردات تلك الألفاظ وإخراجها وعرضها، وعدم الاشتراك والتميز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمنة وعدم الأضرار والتأخير والتسليم والنسج وعدم التعارض العقلي الذي لو كان ترجع عليه، لما ترجيح النقل عن العقل يقتضي القدرح في العقل لمستند به لنسج في النقل لاكتفاره اليقـ" وإذا كان المنهج طيباً، فما تلك النتيجة؟ (321).

من خلال عرض هذا بين أن الفكر الإسلامي الأصوبي هو فكر منعه ومصدره الشريعة الإسلامية دون أن يحس الثقافات والخضارات التي سبقت الحضارة والثقافة الإسلامية. إن اعتماد المسلمين عن اجابات العقلي في الفهم أو الاستدلال عن بعض القضايا أو المشكلات المطروحة في القرآن لدليل عن وجود فلسفة إسلامية متكاملة سابقة عن الفلسفة المثالية. إن العقل إلى جانب النص يشكلان طريقة فريدة قليلاً لجدها في الحضارات السابقة عن المسلمين. حيث لا نجد هناك إقصاء لدليل عن آخر، ولها وجود التامين هو قوة الفكرة وتأكيد ما بحسب ثقافة الآخر. إن النصوص لا تنهض بوجود ما ينك وما يرشد إليها، وهو الجانب العقلي، كما أن العقل ينفي بالقضاء أو شكوك في أسكاته إلا بوجود نص يؤكد صدق ما انتهى إليه من حقائق.

#### المواضع

- 1- "وذلك الأمثال نظراً بما اندس وبمعناها إلا العلول" سورة العنكبوت آية 13
- 2- "فمن به الأرض بعد موتك في تلك آيات لقوم يعقلون" سورة الروم آية 24
- 3- "أقدم ينظروا إلى السماء فرأوا فيها سحاباً، وبناها" سورة في آية 6
- 4- محمد صالح عبيد، مدخل إلى علم الكلام دار فضاء للطباعة والنشر، 2001، ص: 11
- 5- ربيع موسى، العقل دراسة في علم أصول الفقه، رسالة ماجستير جامعة القاهرة 2004، ص: 9
- 6- الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، دار الثقافة القاهرة 1979، ص: 77
- 7- جلال قاسبي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكرها، دار القواعد 1974، ص: 88
- 8- رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري
- 9- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين ج: 1
- 10- أحمد أمين، فصحى الإسلام، ج: 1، ص: 18
- 11- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب العربي، لبنان، 1982، ص: 236
- 12- محمد وأحمد بن عطاء بن عبد الله
- 13- علي بن أبي شيبة، نشأ الفكر الفقه في الإسلام، ج: 1، دار الفكر مدني، ط: 1، ص: 487
- 14- سورة الأعداء آية 22
- 15- سورة الأعراف آية 83

- ١٤- أحمد صالح حمد، مدخل في علم الكلام ص: ٤٩.
- ١٥- سورة يس آية ٢٩.
- ١٦- سورة ق آية ٥-٨.
- ١٧- حمد صالح حمد، مدخل في علم الكلام ص: ٤٥.
- ١٨- يوسف موي، القرآن والفلسفة، دار المعارف القاهرة ط٤، ١٩٥٨، ص: ٥٩.
- ١٩- أنور ساني، نقل والتعليل، ج ١، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفه لبنان، ١٩٨٤، ص: ٤٤.
- ٢٠- أنصهر، ص: ٢١٢.
- ٢١- أبو القاسم بن حري، تقريب الوصول إلى علم الأصول تحقيق محمد عمار الشطيحي، مكتبة ابن تيمية ط١/١٤١٤، ص: ٢٤٢.
- ٢٢- أنصهر، ص: ٢٤٢.
- ٢٣- الجوهري، الزهد في أصول الفقه ج ١، تحقيق عبد العظيم الديب، دار الفوائد، دمشق ط٣/١٩٨٢، ص: ٥٥.
- ٢٤- البغدادي، المعنى من الترتيب، تحقيق عبد الرزاق (وهد سعد)، شركة المطبعات، ص: ٢٢.
- ابن قتيبة، تأويل معاني الحديث، تصحيح محمد (هري البحر)، دار الخليل، ص: ١٥.
- ٢٥- حسن الشافعي، المدخل في دراسة علم الكلام، مكتبة واحة ط٢/١٩٩٢، ص: ١٥٥.
- ٢٥- المرجع نفسه.
- ٢٦- كتب الاقتصاد للفرازي، كتب الشافعي للجمهور.
- ٢٦- ابن تيمية، شرح العقيدة، للاستبصار في مسائل من حسن الشافعي، ودخل إلى دراسة علم الكلام، ص: ١٩٥.
- ٢٧- الجوهري، الزهد، ج ١، ص: ١٦٥.
- ٢٨- أنصهر، ص: ١١٨-١١٧.
- ٢٩- أنور بن، تحقيق أفكار الفقهاء والمفسرين، تحقيق مسيح دليم، دار الفكر اللبناني ط١، ١٩٩٢، ص: ٤٩.
- ٣٠- أنصهر، ص: ٤٣.

## الايكولوجيا: الأسطورة والواقع

عمى يوسف

جامعة سيدني بريس

لقد أثارت الطبيعة مخاوف الإنسان الأول، وأدعته وخرج العديد من التساؤلات. وبحث عن التصديقات لقائه حياله إلى الاعتقاد بوجود كائنات جديدة لملا الكون تحكمه وتسيطر عليه وتتحكم فيه وتضعه لمشيئها. ويزادها فاليئة الاحتمالية تتكون [أذن من البيئة الأساسية المادية التي شيد بها الإنسان، ومن النظم الاحتمالية ومن المؤسسات التي أقامها فهي الطريقة التي ظلمت بها المجتمعات البشرية حياتها والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة حاجات الإنسانية. إن الحياة الطبيعية لذلك الإنسان أتاحت له فرصة التأمل في مظاهر الطبيعة وتغير قواها وعناصرها وخصائصها ونظامها، كما أثارت انتباهه التعبيرات الجوية وتأثيراتها المختلفة في مظاهر عالم الأرض والسماء. مما طرح أمامه سلسلة غير متناهية من الأسئلة المختلفة المتعلقة بالبدائية، والخلق والاصحاح والكبر والركون، الوجود والوجود، فأخذ ذلك الإنسان يحاول التفسير صعب حدود إمكانياته الفكرية وفرداته العقلية مساهمة في أفق التأملات وعلم السحت والطقسات "لتصور أدنى ما في الكون يفسر بالحياة وأن لكل منها قصة أسطورية تصور العالم تموج بالآلهة المتجسدة في قوى الطبيعة ومظاهرها المتخلل (1).

فاعمل العقل يؤثر في مزاج الإنسان ويطبق مدى لونه وجعله في طريقة التفكير، ومعروف أن الحرارة تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الحياة الإنسانية فالدماغ المعتدل هي التي تكثر فيها التجمعات البنية ويقام فيها العمران وتزدهر فيها الحضارة وذلك يكون سببا في رقي أعلاها وتوفر شروط الحضارة فيها بالإضافة إلى ذلك أنهم يكتسبون من حيث الخلق (بفتح الخاء) والخلق (بضم الخاء) مختلفهم. المحيط الجغرافي والطبيعي من مناخ وموقع وغيرها له تأثير فعال في حياة الأفراد ومن ثم في حياة الجماعة والقوام التي تحلها هي نتيجة لتفاعل الأفراد الذين يكونون المجتمع، وللمناخ دور كبير في اختلاف وتباين الامور وبذلك يكشف لنا حتما إلى صنائع أدب، حكايات وتقاليده الشعوب من منطقة لأخرى فالطبيعة والإنسان كل يتفاعل يؤثر الواحد في الآخر.

ولقد حظيت الأسطورة باهتمام بالغ في التفكير الوجودي لأن مشكلة عبور الإنسان على غربة نفسه هي مشكلة كائنة في فهم الوجود نفسه حسب تعبير جون مكالوري الوجودية، والخلق والتفكير

الأسطوري من عصر آخر بعد المصري القديم بدأ عندما أخذ بالزراعة الدورية المنظمة حسب الفصول، وورثوا الكون أنه نشأ من ناء (أمير النيل) ، وظلت الأسطورة المبينة عن الشعائر والطقوس الدينية متحلية في مختلف أنواع تفكير المجتمع الهندي القديم ولا زال وهو الشيء نفسه في الصين القديمة (يحكم النسق الاجتماعي والنسق الأيكولوجي والنسق الديني) من خلال فلسفة كونفوشيوس معتبرا أن الشعائر الدينية والطقوس هي أساس النظام الكوني، هذا الفكر الذي كان وحيه انصورات الطبيعة القديمة التي نشأت عن قلب النيل وأشهر وفقا لثقافة "الطائر"، وفي اليونان القديمة تعتبر الأساطير الإلهامات الأثرية لبلاد الفلسفة اليونانية، هذا ما تبرره أساطير هوميروس وهو مبرور... كما كانت الأسطورة أيضا حاضرة في الفكر العربي القديم من خلال تعابير الشمس والرياح وحيثوا القمر والكواكب. وعلى ضوء هذه الوثيقة التاريخية للأصول التاريخية للأسطورة يمكننا القول أن الأسطورة ظهرت من أجل تفسير الكون وطبيعته وتبحث عن مفسر الإنسان المجهول، فكان يصارع من أجل كشف الغموض وفك الألغاز والأسرار الطبيعية.

يتحدث العلامة ابن خلدون عن تأثير العوامل الجغرافية على الحياة الإنسانية فيقول: "إن المعتبر من علم المتكشفين من الأرض إنها هي وسط لأفراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال، ولما كان الجبالان من الشمال والجنوب متصادمين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكثيفة من كليهما إلى الوسط فيكون معتدلا... فلهذا كانت العنوم والصداعة والمياه والخلجان والأقوات والقوات بين والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتمسكة بمحيط مالا غندال، ومكانها من الشر معدل أجسامها والولاء وأخلاقها وأديانها حتى البصائر وإنما توجد في الأكثر فيها، لم تقف على جبهة في الأقاليم الجنوبية والشمالية وذلك أن الأقاليم لم تصل إليها بعض بهم إزال النوع في خلقهم وأخلاقهم" (2).

وحسب رأي محمد الخطيب أن التفكير الأسطوري بدأ يبرز للوجود لحظة ازدياد حد التألم والبرهنة حد العلاقة بين الإنسان وذاته وبين الطبيعة، فهو حسب رأي هذا التفكير ما هو إلا رد فعل ذهني تلقائي، على ثقافة السلاوات التي آثارها الوجود البشري (3). - لقد واجه الإنسان الأول أفق قدر الغد المحترم والنصر المميز - ودور المفاجآت في تغير الوقائع، وكان مفهوم الخط من المفاهيم التي ظهرت في عملية فراع يستلها في صور إنسانية وبمنحها كل الاحترام والتقدير وينسب إليها أسباب النجاح وعوامل الفشل في مختلف مبادير الحياة، وقد تصور بها في صورة امرأة معصومة العيون وذلك ابتداء إلى قبحها يستلح السعادة يشاقق انبساطي وذهبي.

كما لا يمكن فصل المعنى الجغرافي الطبيعي عن الأدوات والآلات والوسائل التقنية التي تتوفر للجماعات الإنسانية من استعماله وتحريكها، بحث يرتب عن وجود الإنسان في هذا النسق البيكولوجي ظهور أنماط وأساليب للتفكير والعمل تهدف إلى استغلال العناصر الطبيعية، وتحسين الوسائل وتطويرها لتصبح هذه الأساليب والأنماط قاعدة للثابت الثقافي، والأصول الأولى لقوانين الحضارة التي تتطور من أجلها التشريعات والقوانين، والتي تنعكس في نظم لتقسيم العمل وتوزيع الاختصاصات وتنوع الوظائف التي يتعين على أعضاء المجتمع القيام بها في نوع من التكامل والتنظيم، مما يحفظ الثبات والاستمرار في بناء المجتمع وينسق العلاقات التي تقوم بين الأشخاص والجماعات (5)، وفي حدوده المتغيرات المعروفة البيكولوجية أو النسق البيكولوجي (ecosystème) الذي يعتبر الإنسان جزءاً من هذا النسق، تدرس البيكولوجية الوسائل التي من خلالها تتفاعل كل الكائنات الحية داخل البيئة كما تدرس علاقات تأثير الكائنات مع وسط الذي تعيش فيه. (6)

يرتبط المجتمع الإنساني ارتباطاً وثيقاً من خلال عملية تبادل للمواد الإنتاجية والاستهلاكية حيث لهذه البيئة الطبيعية بكل العناصر والظروف الملائمة لاستمراره وبفضل الإنسان عن هذه المستلزمات عن طريق استخدام أعضاء جسمية يدوي وسيط خارجي التي يرتب عليها شكل معين من العلاقة بين الإنسان بوسائله البيكولوجية والبيئة الطبيعية وما تفرضه تلك البيئة الطبيعية من أنماط معينة من العلاقات بين الأشخاص والجماعات في المجتمع، مما يجعل استمراريته من قيم ومعتقدات، والآن ذلك في تكوين أنساقها السياسية وتحدد في هذا أن الظروف البيكولوجية تلعب دوراً على درجة عالية من الأهمية في تشكيل فكر أسطوري وبناء مجتمع واقعي وفي تكوين بناء سياسي خاصة في المجتمعات القبلية، كما هو الحال لدى مجتمع طوارق الاهغار (الساحل المغاربي)، هذه الأسطورة، الظاهرة الإنسانية والثقافية والتي تروي تاريخاً وحداثاً في زمن غير الزمن الخالي وتتمتع بسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم، والاعتقاد فيها وتحولت إلى حقيقة يؤمن بها الأفراد وأصبحت مصدراً لتبع العلاقات الاجتماعية والعظم للثقافة حيث تحظى بالاحترام والقداسة.

لقد ركزوا الأنثروبولوجيون الأوائل على عملية التكيف البشري مع البيئة الطبيعية وأجابوا عن الكيفية التي قامت بها عناصر الثقافة داخل بيئة ثقافية وطبيعية معينة، وعن أهم العناصر التي ساعدت الإنسان على اكتشاف بيئته من الجمل إن<sup>1</sup> حاجاته الأساسية من الطعام والدأوى، والآن حسب رأيهم كلما تطورت الأدوات المستعملة التي ابتكروها كلما صارت قدرة الإنسان على استغلال بيئته الطبيعية بدرجة أكثر كفاءة (7)، حيث ترتبط ممارسة الأنشطة الاقتصادية بالدورة البيكولوجية حيث أنهم يقسمون السنة إلى فترات تعرف بالمواسم هذا النشاط الذي



يقتصر في أصل نشأة في صناعة الجين والسمن المستخرج من لبن الأغنام وصناعة بعض الأدوات اللازمة للحيلاب من جلود الحيوانات. «الواقع في الأسطورة حسب أحمد كمال زكي "قد يبدو خارقاً، إلا أنه يظل شيئاً قام حقيقة ويظل في الوقت نفسه يحكي تاريخاً مقدساً، ويصور مواقع تضرب في العصور المرافقة معاشة إله أو كائنات أو مفكرين حاول أن يفسر ظواهر الطبيعة ويضع أوليات المعرفة" (8).

وجاء في تعريف الأسطورة "إنها حكاية إله أو كائن خارق، تفسر بمطلق الإنسان البقائي ظواهر الحياة والطبيعة والكون، والنظام الاجتماعي، وأوليات المعرفة. وهي ترجع في تفسيرها إلى التشخيص والتشثيل والتحليل. وتشترب الكلمة والحركة والإشارة والإيطاع، وقد تسوجب لتشكيل الذابة، وعند الإنسان البدائي عقيدة لها طوقسها" (9).

فبالأسطورة هي محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له، إنها إنتاج ولبد الخيال، ولكنها لا تحتم من منطق معين ومن فلسفة أولية، وعن هذا فإن الأسطورة الكونية شأنها شأن الفلسفة تتكون في أولى مراحلها عن طريق التأمل في ظواهر الكون المتعددة والتأمل بنجم عنه التعجب كما أن التعجب ينجم عنه التساؤل، فإذا تسائل الإنسان، طلب الإجابة في إصرار عن سؤاله، حتى إذا وجد الجواب سؤاله قوت نفسه، لأن الإجابة حينئذ تكون حاسمة بالنسبة إليه، فإذا لمثل لكون للإنسان بهذه الوسيلة عن طريق السؤال والجواب فإنه يتكون بذلك شكل نسبية الأسطورة الكونية، فالأسطورة إذن ليست خيال ذلك الإنسان البدائي وتخل فكره وتقل على أوله محاولات في فهم القوى الطبيعية المختلفة التي تأمل الإنسان فيها طويلاً محاولاً تعليلها وتفسيرها وشرحها وتبريرها فترامت له في لحظات كالغسوبة أفكار توارثتها الأجيال المتعاقبة.

إن العواض البلية والاجتماعية تحت مع زمن التخيلات الإنسانية لتؤديها إلى تقبل الأسطورة أولاً ثم إلى انتسب بها كحقيقة من حقائق الوجود والبحث الدواب عن هوية والدفاع المستبث عنها هو الذي فجر إنتاج الأساطير وبخاصة أساطير التكوين. ويظهر الإنسان ككائن اجتماعي داخل جماعة معينة هدفها تحقيق أقصى إشباع ممكن لاحتياجاته عن طريق العملية الإنتاجية، ويستخدم في دوراته الطبيعية دون فصلها عن البيئة الطبيعية. ففي المناطق الجبلية كما هو مثلاً الحال عند طوارق الأمازيغ ارتبطت الأسطورة لدى هذه القبائل بالجمال سلسلة جبال الأمازيغ يستراست تترجى بها أهل قمة جبلية في الجزائر قمة ضامعات، وأصبح تفسير الظواهر الطبيعية بالأساطير حيث كل جبل يحمل أسطورة فالجبل قيمة خاصة في هذا المجتمع المحلي فهو ليس مجرد جبل بل يرمز عادة إلى

الحكمة والخلود، وفي مسار التكوين القديم، تشير الأسطورة الجبل أحد محاور الكون، والأداة التي تسبح لإنسان الأرض الاتصال بالكائنات أو بالكائنات العليا، فهل معنى هذا أن الجبال، تستمد قداستها من ارتفاعها مثلاً ؟  
يعبر الإنسان الأسطوري أن جبله - هو بالذات - أكثر ارتفاعاً (حتى إذا لم يكن كذلك جغرافياً) من جبال

الآخرين، وهو بالتالي أقرب ما يكون إلى السماء. (10) كانت الأسطورة العربية تعبّر أن الأماكن المقدسة هي في أعز من تعلقت العالم (عالمها طبعاً)، وأن جبل أبي فريس في الحجاز ليس جبلاً عادياً؛ أنه مسئول، ناقص أمين مقدس.  
وهذه الحكاية الأسطورية لكشف لنا صر الجبل وخروج الحجر الأسود منه (الحجر المقدس بدوره كما سترى): "يبلغ إبراهيم يني البيت إذ ناداه جبل أبي فريس: يا إبراهيم أن لك عندي وديعة فخذها، فلما دنا منه انشغل الجبل وخرج منه الحجر الأسود". كما أن الجبل يتحول إلى شيء ثمين ومقدس بمجرد أن يلامسه كائن قديم: "ولما صعد موسى الجبل لحاجته إليه، صدر طبقاً، فلما نزل موسى جاء إلى حاله الأولى". ارتبطت الأسطورة أيضاً بالتاريخ والأسطورة

والتاريخ يتشأن عن التوفيق إلى معرفة أصل الحاضر فهي وسيلة يفهم الإنسان من خلالها نفسه وهي شريطة (11).  
أقولنا الآن لقراءة وفهم التاريخ عن ذات الموقف القديم الذي كان يذلل أسلافنا لتلاوة الأساطير والاستماع إليها. لما الصلة بين الأسطورة والتاريخ فهي نوية جداً فالأسطورة مصدر هام للمادة التاريخية، ولهم حقيقة العالم القديم، فقد كانت الأسطورة هي النواة الذي وضع فيه الإنسان القديم خلاصة فكره وأحداث حياته ومضمون حركته. إن العواض البيئية والاجتماعية نحت مع الزمن المشيولات الانسانية لتوحيها إلى تقبل الأسطورة. أوتواش إلى التشتت بها حقيقة من حقائق الوجود والبحث الدءوب عن هوية والدفاع المستبث عنها هو الذي فجر إبداع الأساطير وبخنة أساطير التكوين، لاشك أن الأسطورة من حيث هي فلسفة كشف يصيح عن طريقها الكون معروفاً لدى الإنسان، هي أشبه بالشهوة عند الإغريق، إذ أنها تشتهان إلى مجال واحد من الاهتمام اليوناني الشعري، يدفع الإنسان إلى طلب المعرفة، أو إلى الإجابة الفاصلة عما يجهله، أو الفرق بين الشهوة والأسطورة تختص بالظواهر الكونية" (12)

فبالأسطورة رمز للتفكير والتداول فهي تعبر واسع عن علاقة الإنسان بمحيطه، بحيث حاول الإنسان الأول لفهم هذه الظواهر الطبيعية. هذه الأساطير التي تحولت مع مرور الزمن إلى معتقدات فكرية تتحدث عن أصل العالم. فهي تعبر عن نظرة الإنسان البدائي لما وراء الطبيعة، بحيث وقف الإنسان عاجزاً عن تحليل أسرار الطبيعة، فكانت بالنسبة للإنسان الأول واقع معاش، يعكس البيئة المعاشة. فالأسطورة عند ليفي ستراوس هي عنصر أساسي مكون للفكر الإنساني قديمه وحديثه. فهي تاريخ الإنسان والكون معاً، وعند فرانس السواح هي حكاية مقدسة ذات

مقسمون صديق يشق من معاني ذات صلة بالكون والوجود وحيلة الإنسان، فهي قصة عراقية لها تصور شامل عن العالم وعن مكانة الإنسان (13).

ترتبط جميع الكائنات الحية ارتباطاً وثيقاً بالبيئة الطبيعية بما في ذلك النباتات، وتتشكل طبيعة المجتمعات الصحراوية وفقاً للموارد الطبيعية المتاحة لها، كمجتمع الطوارق المتميز بعدم الاستقرار، وهذا المجتمع الذي له نمط خاص يميزه عن المناطق الأخرى في الجزائر فهو مجتمع متهاك، حيث يقوم بين هؤلاء الرجال الملتصين نوعاً من التخطيط أو التسق، حيث جاع في بعض تفسير الأسطورة بأنها تستند بدرجة كبيرة على الواقع الملغوس فكان اليقين "بأن الآلهة هم في الأصل فئة من الملوك، بلغوا من القوة والتأثير جعل الناس ترتفع بهم فوق حدود الواقع إلى عالم الخارقة ثم توهمهم" (14).

يتجسم هذا الموقف أن الأسطورة على الرغم مما تحتويه من عنصر الخرافة، تصبح في مجمل الموقف الذي تعرفه ومن خلال شخصيات تنمو يحمل هذا الموقف أكثر فعالية في الكشف عن الوضع الإنساني في مرحلة من المراحل "إنها تمكس آميلاً وأفكاراً ومؤسسات كانت في وقت ما من الماضي" (15). إن انحرال المنطقة جغرافياً والقروية الطبيعية القاسية هي التي أدت إلى ديمومة التراثات الاجتماعية والثقافية الرمية التي أفرزها تلك العلاقات والتي كونت المخيال الجماعي، فقدم تشكيل البنية الاجتماعية من التي كانت أساس استمرارية هذا التراث الثقافي، فالأسطورة ما هي إلا وسيلة من وسائل صراع الإنسان مع المحيط الطبيعي والاجتماعي والتكيف معه من أجل بقاءه واستمراره في الحياة. لذلك خلق رجل الاهقار صورة أقرب إلى الطبيعة منها إلى الصورة الواقعية أي الصورة التي تنبش من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه.

إن هناك علاقة جدلية بين الأسطورة والطبيعة، وعلاقة دائمة ومستمرة بالمحيط الاجتماعي والنفساني الذي دفع هؤلاء إلى إنتاج هذه الأساطير لأنها تتكرر بها وتؤثر فيها، فهي جزء من البنية الأساسية من الفكر الإنساني. إن تصورات المجتمع التاريخي لا تحصل في ذاتها الصراع والتنافس إنها علاقة ميكانيكية تتحكم فيه مواقف وعادات الشخصية الرمزية الأسطورية. إن هذا الاعتقاد هو الذي خلق مسألة استمرارية هذه الثقافة السياسية وارتسمت عبر مجال الخيال الجماعي للأمة إذ خاصة النشأة الأسطورية للبيئة على شروط القوى الغيبية المرافضة للإدارة المتدخل الإنساني كطرف فاعل قادر على التأثير على عناصر بيئة العام، فغريب الماضي يؤدي إلى فقدان المجتمع مصدر ومؤشر لتحقيق هويته والتراث الاجتماعي كما أنه يؤدي إلى فقدان عامل التواصل والاتصال.

- 1- صلاح أبو فليح، الأسطورة، مدار، حفص تونس، ص 27.
- 2- مقدمة ابن خلدون، مدار، الكتاب الليتاني، بيروت، ص 141، 1986.
- 3- محمد، الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، ط 1، 1999، ص 12.
- 4- بشر، زهدي، مقدمة في ليتولوجيا عالم المعرفة، عدد 96، ص 22.
- 5- مصطفى، الحشاش، الاجتماع المصري - القاهرة، ص 31، 1982.
- 6- عجب، - موسوعة أساطير العرب من الجاهلية ودلائلها - دار الفرائي، بيروت 1994، ص 97.
- 7- محمد، حسن خمري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة علم الإنسان، د. م. ج. الجزائر، 1991، ص 45.
- 8- محمد، عجب، - موسوعة أساطير العرب من الجاهلية ودلائلها - دار الفرائي، بيروت 1994، ص 97.
- 9- أحمد كمال، زكي، الأساطير، دراسة مقارنة مقارنة، بيروت لبنان، ص 129، 1979.
- 10- صلاح، أبو فليح - الأسطورة - مرجع سابق ص 29.
- 11- ABD Elrahim, Lanchil, Algérie en crise, éd Harmattan, 1991, P. 183.
- 12- مليسيا، إيلاند - الأسطورة في القرنين التاسع عشر دار الطباعة للطباعة والنشر ط 3 - 1985 - ص 40.
- 13- فرانس، السواح، الأسطورة وللمنى، دراسة في ليتولوجيا، دار علاء الدين 1997، ص 16.
- 14- أحمد، أبو زيد، الرمز والأسطورة وإنشاء الاجتياحي، عالم الفكر، ج 3، ص 19-20.
- 15- أحمد كمال، زكي، الأساطير دراسة مقارنة للمرجع السابق، ص 127.

## موقف الرأي العام العالمي من الحكم بالإعدام على المعاهدة جميلة بوحيرد 1957 - 1958

د. نصر جابر

جامعة معسكر

يعبر الحكم بالإعدام على جميلة بوحيرد<sup>(1)</sup> من طرف للحكمة الاستيعابية من أهم القضايا التي صنعت تاريخ الثورة التحريرية في الجزائر بالنظر إلى مخلفاتها المتمثلة أساساً في إطلاع الرأي العام العالمي على ثقاف الشعب الجزائري، ودور ثورته للجميلة من جهة، وشاعة الاستعمار الفرنسي من جهة ثانية. إن كانت الدراسات التاريخية قد ركزت على دور بوحيرد البطولي، والعمليات الفدائية التي قامت بها في الجزائر العاصمة خلال سنتي 1956 و 1957، فإنها أهملت إلى حد كبير موقف الرأي العام العالمي من قضيتها.

لواقع أن أهمية الموضوع الذي نحن بصدده تناولته لا تكمن في بعده الدولي فحسب، وإنما أيضاً في الدور الذي لعبته المرأة الجزائرية التي اقتضعت للجمال العسكري، وصارت تشارك في العمليات الفدائية داخل المدن ولا تكتفي بالعمل في المجال الصحي، والمجال الإداري. بعد انتقال الثورة إلى المدن الجزائرية من أهم الأحداث التي أعطت مؤامر الصومام المتعقد في 20 أوت 1956، و جعلت الثورة تستقل إلى الأماكن الخطيرة، والأحياء التي يقطنها الأوروبيون. ومن بين المدن التي شهدت أكبر معركة، مدينة الجزائر، وذلك خلال الفترة ديسمبر 1956 - ميسير 1957<sup>(2)</sup> حيث تمكن قادها من أمثال باصف معدي من الإشراف على الكثير من العمليات الفدائية، وتأطير العديد من المظاهرات الثلاثية فمن بتفلية تلك العمليات من خلال وضع القنابل داخل المقام، والمخانات التي يتردد عليها الأوروبيون.

### شهر العمليات الفدائية في معركة الجزائر

على الرغم من أن معركة الجزائر بدأت في شهر ديسمبر 1956، فإن العمليات الفدائية انطلقت في 30 سبتمبر من نفس السنة، حيث انفجرت قنبلتان في نفس التوقيت تقريبا أي في حدود الساعة 16 ما 40 وبعدها "كافتريا" Cafeteria في شارع ميشل Michelet (ديدوش مراد حاليا)، وحانة "ميلك بار" Milk bar بشارع "إسلي" Isly - (العربي بن مهيدي حاليا). أما بخصوص الحسائر التي خلفتها العمليتان فإنها غشلت في 15 جريغ بالنسبة للأولى، وفاة امرأة، و 36 جريغا من بينهم 19 شخصا جرحهم خطيرة في العملية القنبلية.<sup>(3)</sup>

و بالإضافة إلى العمليتين السالفتي الذكر هناك عمليات أخرى ألفت بظلالها على معركة الجزائر، و أحدثت الفرع، و الارتباك لدى الاستعمار الفرنسي الذي أوردتها في مصادره كالآتي<sup>(49)</sup>

عملية 9 نوفمبر 1956: التفجار في بيو أحد البناي بشارع ميشل خلف حسان مادية.

عمليات 26 جوافي 1957: بلغ عددها ثلاثة، وقعت في حدود الساعة 17 سا 30 د حيث انفجرت ثلاث قنابل في حادثة كافيتريا Cafeteria، فوتوماتيك L'otomatiك، و كوك هاردي Coq Hardي خليفة 4 قتل، و 4 شخصاً جرحوهم خطيرة. و حول شرعية العمليات القتالية التي يعتبرها الاستعمار الفرنسي أعمالاً إرهابية تستهدف مدنيين أوروبيين لكثير من الليرة كتشيد الجهاد باسم سعدي في حوار لجمعية الشروق الجزائرية أن الثورة لجأت إلى ضرب الأهداف المدنية للاستعمار إلا بعد أن قام المعمرين و خاصة منظمة اليد الحمراء الإرهابية بتفجير 35 قنبلة في العاصمة كانت أغلبها تلك التي استهدفت سيارة في القصة في 20 أوت 1956 و أدت إلى حلاك 75 جزائرياً<sup>(50)</sup>.

#### احتلال جيلة بوجيرة

في ظل العمليات القتالية التي تعرضت لها مدينة كالجيرات التي تعد معقلاً لأنصار "الجزائر فرنسية" من الأوروبيين، و مقراً للوزير الفرنسي للقيم، شهدت السلطات الفرنسية الحقائق عن ماضلي جبهة التحرير الوطني، و تمكنت من إلقاء القبض على جيلة بوجيرة يوم 09 أبريل 1957 بعد إصابها برصاصة اخترقت كتفها الأيسر أطلقتها فورية عسكرية في حي القصبة. إن توقيف المجاهدة بوجيرة قد مكن الفرنسيين من الاستيلاء على مخفلة كانت بمرزها و قصوي على مايلي<sup>(51)</sup>.

و تائق لتعلق بنشاط جبهة التحرير الوطني

800 ألف فرنك

طوايع عمالة و بلدية الجزائر.

و حسب المصادر الفرنسية إن عملية القبض على بوجيرة مكنت أيضاً من التعرف على غايين اكتشف فيها 29

سداساً، 13 قنبلة Bombes Explosives، 7 علب صواعق 4 Boîtes de détonateurs قنابل يدوية

Grenades و لوازم مختلفة، و 3 قطع من متفجرات قوية ميلينيت Pains de Mélinite.

و على الرغم من سقوطها بيد الجيش الفرنسي، و إصابها برصاصة اخترقت كتفها و ركبها، فإن بوجيرة لم تتأثر برا حدث لها و راحت لتتجه على الممرضين في مستشفى مايو Maillot العسكري قائلة لهم: "إنكم جنود فرنسيين نسبح عن عدم بالسبب الذي أنتم هنا من أجله، أما نحن فإننا نقاتل من أجل غاية"<sup>(52)</sup>.

تصور النظم في حق بوجيرة

صدر الحكم بالإعدام من طرف المحكمة الاستعمارية يوم 15 جويلية 1957 حيث أقر تورط بوجيرة في عمليات شارع مشتل، و كوك هادي، في الوقت الذي يذكر فيه الكاتب الفرنسي بير بيليسير Pierre Peléssier أن بوجيرة تعرضت لاستنطاق واحد فقط ليلة 17 - 18 أبريل 1957 دون عطف، و دون تعذيب تذكر مصادر أخرى أن محامي المناهضة الجزائرية طالب تعليق الاستنطاق، و أن المناهضة أودعت شكوى تحت عنوان "تعذيب و حجز تعسفي" و رفضت الإجابة هل الأمثلة المطروحة<sup>(8)</sup>، وفي دراسة أشرف عليها الكاتب الفرنسي كلود ليزو و تلاحظ أن محاكمة بوجيرة كانت متعيزة، و أن المحامي جاك فرجيس Jacques Vergès أصدر مع جورج أرنو Georges Arnaud في خريف 1957 أول كتاب يندد بممارسة الجيش الفرنسي للتعذيب بعنوان "من أجل بوجيرة" عن دار النشر مينيوي Editions de Minuit.<sup>(9)</sup>

مؤلف الرواية العام العالمي من العلم بالإنسان على صيغة بوضوح

أخذت لقضايا شعوب العالم مع قضية بوجيرة أشكالاً متعددة كما تشمل مختلف بقاع العالم، و عليه كان لزاماً علينا الاعتراف على نطاق من الدول فقط لإبراز مواقف شعوبها كما يتضح من خلال مايلي:

لبنان

كان الشعب اللبناني من أكثر الشعوب العربية التي تأثرت بقضية المجاهدة بوجيرة خاصة إثر الأخبار التي نشرتها الكثير من الصحف اللبنانية، و أعلنت من خلالها أن إعدام المجاهدة الجزائرية سيتم قريباً و سيكون يوم الجمعة 07 مارس 1958.<sup>(10)</sup>

و قد ذهبت تلك الصحافة إلى أبعد من ذلك حيث أعلنت عن انتقام اللبنانيين في حالة إعدام "جان دارك الجزائرية" الأمر الذي دفع بالسفير الفرنسي في بيروت لويس روشي Louis Roché إلى اعتبار الإعدام على إعدام بوجيرة إعطاء كبيراً في رسالة وجهها إلى حكومة بلاده، و هي الرسالة التي تضمنت أيضاً الطلب تقدم به وزير خارجية لبنان من أجل وساطة بلاده.<sup>(11)</sup> و من المواقف التي عبر فيها اللبنانيون عن مساندتهم القوية للقضية تلك المظاهرات التي شارك فيها حوالي 3 000 طالب مسلم، و أعداداً من تلاميذ المدارس الإسلامية الذين جنوا شوارع بيروت، و تجمعوا أمام إقامة الصنوبر حيث قد أعلنت الشرطة، لتفريقهم، و دعا وزير الاقتصاد كاظم الحلبي من شرت إلى الحكومة و أعطاهم ضمانات تتعلق برفض الحكم.

و لإجبار حكومتهم والحكومة الفرنسية على إيجاد حل لقضية يوسف براد لجمهور المتظاهرون أمام السفارة الفرنسية، وكذلك في ساحة القصر حيث وجه رئيس مجلس الوزراء سامي الصلح كلمة حيا فيها المتظاهرين، وطعنهم قائلا: "لقد قمنا بمساعي لدى السلطات الفرنسية و تلقينا من سفارتنا في باريس بريقة تجعلنا نأمل بالعفو من بوجيرة" (12)

وبالإضافة إلى التجمعات، والمظاهرات التي حدثت أمام مقر رئاسة الجمهورية و تمت تفرقتها من طرف قوات الأمن التي اعتقلت عشرين شخصا، وحللت عددا من المصابين في صفوفها عرفت النواقب اللبنانية أشكالاً أخرى قتلت أساسا في إضراب التجار المسلمين من الحبل في بيروت، و تجمعهم أمام المسجد الكبير يوم 7 مارس 1958<sup>(13)</sup>، والاحتجاجات التي قدمتها بعض الشخصيات العامة، والجمعيات إلى السفير الفرنسي تذكر منها:

مفني الجمهورية

رئيس جمعية العلماء

بعض النواب المسلمين

جمعيات الطلبة، الأطباء، والحقامين اللبنانيين، والأرمن، والسوريين<sup>(14)</sup>

و كما كان للقضية بعداً إنسانياً طلب بعض المثقفين، والأساتذة غير العرب من الأوروبيين في لبنان، وسوريا من رئيس الجمهورية الفرنسية العفو عن بوجيرة، ومن بين هؤلاء نذكر:

روين Robin مدير المدرسة العليا للأدب

فوفي Fertet الأمين العام لمعهد الجغرافيا للشرق الأوسط، والشرق الأدنى.

لاوريفر Law Rider أستاذ بالمدرسة العليا للأدب.

وفيير Lefevre، ولمان Lemoine : أستاذان بالمركز للتخصص في دراسة الرياضيات.

فاي Fayet، فليل Gavillet، جوبيل Genesle، و غلمان Glaymann من مكتب جمعية الأساتذة.

بربريس Barharis، سيليه Selier، كور Corre، دوتور Duteur، ديمون Dumont، ديرون Durand من مكتب الفرع السوري لجمعية الأساتذة<sup>(15)</sup>.

أما بخصوص رسالة طرابلس التي تعتبر عاصمة لشمال لبنان، ومعدلاً لكثرة البلاد فقد شهدت خروج 300 طالب حاملين راية الجمهورية العربية المتحدة الجديدة العهد (مصر، وسوريا)، و تجمعوا أمام القنصلية الفرنسية حيث هتفوا بابتغاف معاذية فرنسا، والولايات المتحدة ومؤيدة لجمال عبد الناصر<sup>(16)</sup>.



الواقع أن الحكومة الفرنسية لم تكن الوحيدة التي أخرجتها قضية بوحيرد بل أن هناك أيضا الحكومة اللبنانية التي شرعت من الفئات الوضع بعد تعدد المظاهرات التي أعقبت في الانتفاضة. ولعل تدخل الأمين العام لوزارة التربية اللبنانية شخصيا لدى رجال الدين الفرنسيين من أجل تنحية اسم "جان دارك" من مدرستهم لتفادي معاناة المتظاهرين استبدال اسم المدرسة باسم جميلة بوحيرد يؤكد ذلك. وفي ظل قلقها من تطور الأحداث، وتعرض مدرسة "جان دارك" إلى وابل من الحجارة اضطرت السلطات اللبنانية إلى إغلاق المدرسة، والاستعداد بالجيش السوري لضمان حراستها وحماية كل المؤسسات الفرنسية.<sup>(17)</sup>

## 2. سوريا

تعددت أشكال موقف الرأي العام السوري من ذلك العرائض التي قدمها آلاف السوريين إلى مثل للصالح الفرنسية في دمشق وهي السفارة السورية من أجل العفو عن بوحيرد<sup>(18)</sup>، والمظاهرات التي شهدتها مدينتي دمشق وحلب بالإضافة إلى إضراب الطلبة عن الدراسة لمدة 48 ساعة، بغلق اللاهية والأبعاد التي اتخذها موقف السوريين، فإن الممثل السوري في دمشق قرر خلق معهد الفرنسيين، وثلثوية الفرنسية العربية في دمشق إلى غاية 3 مارس 1958 كإجراء احتياطي.<sup>(19)</sup>

## 3. ليبيا

احتل تضامن ليبيا حكومة وشعبا مع ثورة التحرير الوطني الجزائري مكانة متميزة خاصة بعد تأسيس لجنة شعبية تضامنية باسم "اللجنة الليبية لإعانة جيش التحرير الوطني الجزائري" في منتصف الثاني من سنة 1956.<sup>(20)</sup> وهي اللجنة التي أعقبت على عاتقها كسب التضامن المالي، والمعنوي للثورة الجزائرية على مستوى المدن، والقرى البعيدة.

وفي ظل اشتداد سياسة الاستعمار القمعية التي شملت أساسا خلال سنتي 1957 و 1958 في إصدار حكم الإعدام في حق بوحيرد، وتعاقد أساليب التعذيب، والقصف الفرنسي للقرية ساقية سيدي يوسف التوسية زادت قوة التضامن والتعبئة الجماهيرية في ليبيا. وعن الأمثلة التي تدل على قوة التضامن الليبي مع الثورة الجزائرية للدعاية التي قام بها الفنان الأخر الليبي عبد فرسان للدارس، والإدارة، والشوارع مستعملا الصحافة، ومكبرات الصوت لنفض بشاعة الاستعمار الفرنسي.<sup>(21)</sup> الواقع أن دور الهلال الأحمر لم يتوقف عند مسألة الدعاية التي تجلت أيضا في نشر صور توضيح بشاعة النزع الفرنسي في الواجهات غرب مدخل مفرق في مدينة بنغازي بل شمل كذلك جمع التبرعات،

والفلاس، والأغلبية لصالح الجزائريين.<sup>(22)</sup> الملاحظ أن الموقف الليبي المساند لتكفاح الشعب الجزائري وقضية بوحيرد قد تجسدت في كل المجالات، وشمل كل فئات الشعب، والمؤسسات التابعة للدولة كمدرسة المعلمين للبيات في بنغازي التي بعثت برسالة إلى رئيس الحكومة الفرنسية رولي كوفي René Coty، والأمين العام للأمم المتحدة هر شيلد تندد فيها بمهجية الفرنسيين.<sup>(23)</sup>

الجدير بالذكر في هذا الشأن أن العائلة الليبية هي الأخرى تحركت وشرقت بلدها لما احتضنت الياس من أبناء الشهداء وقامت بالكفيل برعايتهم، وتعليمهم في مدارس داخلية مثل المدرسة التي أسستها يوسف عادي بمدينة طرابلس وأبوي أكثر من 50 يتمة جزائرية وسُميت ليها بعد بمدرسة جميلة بوحيرد.<sup>(24)</sup> هكذا يبدو مما سبق أن « رفق الليبيين من قضية بوحيرد خاصة، والثورة الجزائرية عامة لم تكن سطحية ومحدودة بل كانت فعالة وقوية.

#### 4. اندونيسيا:

عرفت عاصمة البلاد جاكرتا مظاهرات عنوية بالقرب من السفارة الفرنسية حيث تم إيداع مذكرة من طرف وفد من لجنة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة التي تضم كل المنظمات النسوية الاندونيسية<sup>(25)</sup> وذلك من أجل إصدار قانون العفو في صالح المجاهدة الجزائرية التي تجمعها والشعب الإندونيسي الكثر من القواصم المشتركة من بينها الإسلام، والقيم الإنسانية.

#### 5. الولايات المتحدة الأمريكية:

اعتد صدى الحكم الصادر في حق المجاهدة بوحيرد إلى القارة الأمريكية عامة، والولايات المتحدة الأمريكية وذلك رغم بعد المسافة، والتأين الخطاري بين الشعبين الأمريكي والجزائري. نذكر المصادر الفرنسية أن سفارتها في واشنطن تلقت مرسلة من كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، ومن مختلف المجموعات الاجتماعية، والعرقية تطالب فيها العفو عن الشابة الجزائرية. إن السفارة الفرنسية لم تتوقف عند حد الطلب الليبي تقدم به الأمريكيون، بل راحت تعبر عن لسان سفيرها ألفوند Alfand عن الموجة العاطفية، والانفعالية التي يثيرها تنفيذ حكم الإعدام في الولايات المتحدة، وصعوبة العمل الإعلامي للسفارة.<sup>(26)</sup>

#### 6. هولندا

لتعبير عن موقفه بعث الرأي العام الهولندي حوالي 200 بطاقة إلى السفارة الفرنسية بلاهاي يطالب من خلالها السفطات الفرنسية بإعادة النظر في الحكم الصادر في حق بوحيرد، وذلك بمبادرة من حركة «العمل من أجل السلم» « Action pour la paix » التي تجمع مختلف الجمعيات المحبة للسلام، وتلك، جريدة « UREDE Axes » « إنسان حالمها والتي تُسحب 12 ألف نسخة منها في كل عدد.<sup>(27)</sup>

## الاتحاد السوفياتي

شأنها شأن فترة في مختلف بقاع العالم استغلت المرأة السوفياتية اليوم العالمي للمرأة ووجهت نقداً من خلال لجنة النساء السوفيات نشرته جريدة البرافدا Pravda في عيدها ليوم 06 مارس 1958 حيث جاء فيه ما يلي: "سخط لجنة النساء السوفيات ضد لية السلطات الفرنسية في تنفيذ حكم الإعدام ضد الشابة الجزائرية"<sup>(29)</sup> يتضح مما سبق أن الحكم بالإعدام على جميلة بوحيرد والموقف الذي اتخذته الرأي العام العالمي يجعلنا نستخلص جملة من الاستنتاجات، والملاحظات من هذه الدراسة المتواضعة وهي كالآتي:

أولت قضية بوحيرد الانتباه إلى التعذيب الذي مارسته المؤسسات الرسمية الفرنسية في الجزائر وذهبت به إلى أبعد الحدود لما استعملت أشنع الطرق، وأخطر الأساليب في حق قادة الثورة ومجاهديها من أمثال العربي بن مهيدي الذي امتنعه عن إثر العمل الإجرامي الذي قام به ضباط الجيش الفرنسي على رأسهم الجنرال أوسايس

Aussaresses، إذا كان التعذيب قد سبق للاستعمار الفرنسي أن مارسه قبل معركة الجزائر أي طيلة أيام الثورة فإن الرأي العام العالمي لم يبدأ أبعداء الخطيرة، وتطور أساليب والتجسيم الذي أعده إلا بعد الحكم بالإعدام على بوحيرد وذلك رغم عدم اعتراف السلطات الفرنسية بوجوده سواء أثناء الثورة، أو غداة استقلال الجزائر، ولما كان التعذيب

مسألة تنافي وحقوق الإنسان وكرامته، وظاهرة ظلت تلاحق أصحابها بعد عقود من الزمن فإن ضباط الجيش الفرنسي اعترفوا بوجوده دون ندم كما جاء على لسان الجنرال ماسي Massu في جريدة لوموند Le monde الفرنسية في سنة 2000 حيث قال: "[.....] لا التعذيب ليس ضروريا في زمن الحزب يمكننا تجاوزه، عندما أفكر بحسنة في الجزائر أتأسف لأن ذلك كان جزءا من أجو المسألة [.....] كان بإمكاننا القيام بالاشياء بطريقة مختلفة [.....]"<sup>(30)</sup>

إن المساعدة التي لقيتها المجاهدة بوحيرد من طرف مختلف شعوب العالم لم تكن تعبر عن موقف تجاه المجاهدة، والمقاومة الجزائرية فحسب، وإنما كانت تعكس كذلك تضامن تلك الشعوب مع الثورة الجزائرية، ذلك لأن بوحيرد تحولت إلى رمز وحشي يلمس فيه كل المناهضين الجزائريين، اللذين تعرضوا للتعذيب من أمثال طالب عبد الرحمن، وجميلة بوعزة، وجميلة بوباشة...

- لم تكن الأسباب الكامنة وراء حقن فرنسا الاستعمارية عن جهة بوعيرد ناجمة عن تسامح قادميا أو إنسانيهم وإنما بسبب جلة من العوامل ترجعها فيها إلى:

- عدم تعبئة حكم الإعدام في حق امرأة في فرنسا منذ 1900<sup>100</sup>
- حيلة الكذبة التي شهدتها دون العلم بالتوقف إلى جانب قضية بوعيرد التي لقيت تجويزا من طرف بابا الفليكان في روما بيوس الثاني عشر<sup>101</sup>
- الضغط الذي تعرض له رئيس الحكومة الفرنسية في غوي Guy Mollet على المستوى الدولي و أجبره على الالتزام أمام الأمم المتحدة لإيجاد حل للقضية الجزائية خاصة مع القرب العقارب الثورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في حريف 1957<sup>102</sup>

في ختام هذه الدراسة التوضيحية يمكن القول أن العفو الذي أصدره الاستعمار الفرنسي في حق المجاهدين بوعيرد لم يكن كحدث تأثير الرأي العام العالمي فحسب، وإنما أيضا بسبب إنجازات الثورة الجزائرية وهي الإنجازات التي لدعمت تأسيس حكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة واستمرار العمل لتسليم.

### المراجع

عن رواية عمرات العاصفة سنة 1945، انضمت إلى حاضري جهة التحرير الوطني في حق القضية بقيادة مصطفى بعلمي، وأصبحت من العناصر التي جعلت عليها في معركة الجزائر إلى نصيبه. في ذاكرة جليل عبد الرحمن، صبح شرابا لدمع عمر، مجلة بوعزة، وإعزها خريصا، وحسنية بن بوعلي وعبرهما.

انضمت معركة الجزائر إلى سلسلة أحداث فرنسا لشهد. حد ريتق، والرائد فراس، بورقا على العقارب أدى إلى سقوط عشرات الجزائريين في شارع باب Thebes بأحلى إلى القضية العز. Yacel Saadi: La Bataille d'Alger. Editions Publisud, 2002 Paris. (2 p 47).

Archives Diplomatiques - Quai D'Orsay Paris, AG 5-7 Afrique Levant Algérie 1953 - 1959 Canon 24 - Note relative à la condamnation de Djamil Boshroud. Ibid.

الشرقية، 19 ذي 2011

Archives Diplomatiques- Quai D'Orsay Paris, op.cit.  
Pierre Pellissier, La bataille d'Alger, Editions Perrin Paris, 2001, p 213.  
Archives Diplomatiques - Quai D'Orsay, op.cit.  
Dictionnaire de la Colonisation Française, SD de Claude Lussu, Editions Larousse à present, Paris 2007, p.646

Archives Diplomatiques - Quai D'Orsay - Paris op.cit - Rapport de Louis Roche Ambassadeur de France au Liban, Beyrouth 5.3.1958 - 300/302.

Ibid.

Ibid. Beyrouth 12.3.1958 - 377/AL.

Ibid.

(11).

(12).

(13).

- Ibid – Rapport de Louis Roche – ambassadeur de France à Beyrouth 5.3.1958 – 300/302 (18)
- Ibid – Beyrouth 10.3.1958 – 335 (19)
- Ibid – Beyrouth 12.3.1958 – 377/AL (20)
- Ibid – Beyrouth 8.3.1958 – 44 (21)
- الفرمان هو أيضا نظام آخر القى إلى جان الصالح الفرنسي في القاهرة، وهي السفارة السورية. (22)
- Archives Diplomatiques – Quai D'Orsay Paris op.cit – Rapport de Etienne Demery – ambassadeur de France en Suisse – Berne 6.3.1958 – 893/AL (23)
- الصيديق محمد الصالح، الشعب اللبناني، الصيديق في جود الخوازم، دار الأمة، الجزائر 2004، ص 146. (24)
- Archives Diplomatiques – Quai D'Orsay Paris – op.cit – Rapport D'André Jaubert consul de France à Benghazi, Libye – 11.3.1958 – 43 (25)
- Ibid (26)
- Ibid (27)
- الصيديق محمد الصالح، نفس المرجع، ص 132. (28)
- Archives Diplomatiques – Quai D'Orsay Paris – op.cit – Djakarta 7.3.1958 – 44. (29)
- Ibid – Washington 5.3.1958 – 1248. (30)
- Ibid – Rapport de Beauvoisier Ambassadeur de France en Hollande – La Haye 24.4.1958 – 349. (31)
- Ibid – Rapport de Dejean Ambassadeur de France en URSS, Moscou 6.3.1958 – 782 (32)
- Le Monde du 20.6.2000 (33)
- Archives Diplomatiques – Quai D'Orsay Paris – op.cit – Beyrouth 6.3.1958 – 315/6. (34)
- Ibid – Vatican – Rome 7.3.1958 – 69 (35)
- Ibid – Belgrade 4.6.1957. (36)

## حرب التحرير و تكوين الدولة الجزائرية

د. نبوي محمد

جامعة سيدي بلقاسم

إن واقعنا اليوم، والذي يتميز سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، بكل موصفات المجتمع المتحضر أو من الأقر المجتمع الغني، منحصر، يفرض علينا مجابهة جديدة و صريحة ذاتية، فالتساؤل عن حاضرنا بلوننا إلى التراجع إلى التاريخ باعتبار أن حاضرنا وورثه من ماضينا فلا نستطيع أن نفصل كل الأفعال عن هذا الماضي. فاليوم و أكثر من أي وقت مضى مدعو إلى الوعي التاريخي هذا الوعي الذي يجب أن يكون صحيحا، مفتوحا مستورا حتى يكون لنا مصدر قوة دائمة و عامل من عوامل البناء و الإنتاج و الإبداع لا قوة نحرمنا إلى الوراء فتعيق سيرنا و نحول دولنا ما تسعى من تقدم ثابت و انطلاق حيز. للتطرق إلى حرب التحرير يمكن القول : هذا حسب الحلب للمتخصصين عن أنها من أكبر الظواهر الاجتماعية التي أثرت مباشرة على تاريخ الجزائر المعاصر. هذه الحرب التي امتدت ما بين 1954 إلى 1962 كانت نتيجة مباشرة لعاملين أساسيين :

- صغر الاستعمار الفرنسي حل دمج كل الطاقات الجزائرية ضمن نظامه الكاوتالي<sup>(1)</sup> رغم السياسات الإصلاحية التي حاول تطيلها طول فترة الاستعمار، بعد أن الشعب الجزائري عان من أزمة متعددة الجوانب انعكست مباشرة على بناء الاجتماعية و السياسية و الثقافية.

- عدم قدرة الحركة الوطنية بكل الأحزاب المكونة لها، من تحقيق مطالب الشعب الجزائري خاصة الاستقلال بالوسيلة السياسية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية و حيث آمال الجزائريين و تأكدتهم من أن الحل السياسي لا يمتع إضافة إلى أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD) و تكوين إثر ذلك المنظمة السرية (OS) ثم اللجنة الثورية للوحدة و العمل (CRUA) و أخيرا جبهة التحرير الوطني التي اختارت للتاريخ 01 نوفمبر 1954 كتاريخ انطلاق الحرب المسلحة ضد الاستعمار<sup>(2)</sup>.

هذه الحرب أقررت بعد الاستقلال عدة نتائج على كل المستويات و خاصة على المستوى السياسي فبه اليوم من خلال هذه المداخلة إلقاء القليل من الضوء على جانبها. غنونا مداخلتنا بحرب التحرير و تكوين الدولة الجزائرية مستقلة، و ليس بناء الدولة، لماذا؟ لأن في نظرنا الدولة الجزائرية الحالية هي في جانب كبير نتيجة إقرارات و أوضاع غير عادية (فترة الحرب) عاشتها الجزائر ما بين 1954 و 1962 و ليس بناء الدولة لأن البناء هو عملية واحدة تاريخية (C'est un acte conçu historiquement) يأتي في فترة سلام و أمن و يكون كمنطلق بهدف كالدخول إلى

الحداثة السياسية باعتبار أن الدولة وهذه حسب الموسيولوجي "أرتوند بادي" كأكبر ابتكار سياسي شهدته المجتمعات الإنسانية.<sup>(3)</sup>

هكذا، بيان أول، نوفمبر صرح القادة التاريخيين على بناء دولة جزائرية مستقلة ذات مبادئ إسلامية<sup>(4)</sup> لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف تكونت هاته الدولة الدولة المستقلة، ما هي مبادئها على أي أساس ترتكز في درجتها، ما هي طبيعة الفاعلين السياسيين. خاصة محاولة معرفة ما الذي يمكن أن يجمع بين الحرب وتكون الدولة هذا من جهة الثانية محاولة معرفة ما علاقة الأوضاع التي نعيشها اليوم خاصة على المستوى السياسي بهذه الفترة، فترة الحرب. فتاريخ 54-62 لم يكن يمثل حرباً تقليدياً بين دولتين قائمتين بل كان بين دولة مستعمرة وشعب مستعمر ينظر إلى مؤسسات مستقلة لثمة.

لذا بدأت هاته الحرب وبعد مرور سنتين من عمرها أي بداية من سنة 1956 نعي ذابها وترسم هدفها عن طريق إنشاء مؤسسات سياسية عسكرية "تستطيع بواسطتها ليس فقط الاستمرار في الحرب ولكن قري تمثل كذلك نواة لدولة مستقلة. جاء مؤتمر الصومام: "إن الثورة الجزائرية تناضل من أجل بحث دولة جزائرية على شكل جمهورية اشتراكية وديمقراطية...". هاته الدولة استمرت بينها ونظامها السياسي بعد الاستقلال إلى اليوم سواء في شكل الساطة أو علاقة هاته الأخيرة مع المجتمع (شرعية تاريخية) أو مع المؤسسات المختلفة السياسية والاجتماعية فالأمة التي لم تكن من تحقيق صورة من أروع صور الانبعاث التي سجلها التاريخ المعاصر يجب أن تطور قاعدتها النظامية وتترجمها حتى تتأكد من الاستمرارية الثورية...<sup>(5)</sup> فتنتيجة لظروف موسيولوجية لم يحاول القادة السياسيين (الثوريين) أنذاك الدولة الأمة (L'état Nation) كما حاول بعض الكتابات سواء السياسية أو التاريخية<sup>(7)</sup> بل الدولة الوطنية (L'état Nationaliste)<sup>(8)</sup> التي لا تتركز على الأمة كمنبع سياسي بل على الوطنية التي ترتكز بدورها على الأيديولوجية الشعبية (L'idéologie populiste). هاته الشعبية التي نشأت في مطلع القرن العشرين وازدادت دورها أثناء الحرب. كان هنري أ. إيديولوجي ثقافي يهدف إلى التحرر من الاستعمار عن طريق محاولة خلق وحدة وطنية شعبية ومن جميع القوى الاجتماعية والسياسية تتجاوز بها الاختلافات المتعددة سواء السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية<sup>(9)</sup> وأمام هذا الوضع قرر نفر من الشباب تجاوز أزمة الحركة الوطنية والإعلان عن تشكيل جبهة التحرير الوطني مهبتها خلق وحدة وطنية تلب إلى محاولة العدو الاستعماري<sup>(9)</sup>.

بعد الاستقلال أصبح محتوى هذه الشعوبية سياسي<sup>(10)</sup> إذا نجد أن القادة السياسيين واصلوا الارتكاز عليها في تعاملهم مع المجتمع، بمحاولة عدم تفرقت الشعب وخلق التشتت، عن طريق عدم الاعتراف بالتناقضات الاجتماعية و عدم بلورها سياسيا وبالتالي عدم فتح المجال السياسي و خلقه أمام المنافسة، دائما باسم الخطر الخارجي تارة أو من أجل البناء و التشييد أو من أجل عدم إعطاء الفرصة للقوى الاجتماعية الرابعة أو تارة أخرى تجدها من أجل تسير الأزمة الاقتصادية في الثلاثينات أو باسم التصدي للإرهاب و القضاء عليه.... إلخ. فاجتماعيا، التاريخ يعلمنا أننا لا نستطيع بناء دولة قوية عصرية حديثة بدون وجود للأمة<sup>(11)</sup>، إذ تعتبر الأولى كتعبير قانوني و سياسي للثانية. ففي الجزائر توجد الأمة كمعطى تاريخي ثقافي فقط، وليس كمعطى سياسي، لماذا.

لأنه إذا أردنا التكلم عن العناصر الأمة الجزائرية كمعطى تاريخي فهي موجودة إذا اعتبر مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون في رقعة جغرافية واحدة و لو جتمع مجموعة من العناصر منها اللغة الدين المشترك... إلخ، و لكن هن يوجد هيكل (الدولة) مهمته تركيز كل معطيات الأمة بها فيها الإحساس بالوحدة (Le sentiment d'unité) و الشعور المشترك، و تساعد على لونه و تسير هذا الإحساس و هذا الشعور للصالح العام. فالأمة كمعطى سياسي هي القاعدة و المرجعية و المنبع السياسي للدولة عليها تركز و تغذي شرعيتها، و بالتالي بظهور الأمة سياسيا، يظهر و يشكل المجال السياسي المستقل (L'espace politique Autonome) ترجع بواسطة السياسية إلى طبيعتها العمومية، و يرتقي بواسطة الجزائري من الفرد إلى المواطن الفعال، لكن الطبقة الحاكمة بعد الاستقلال بارتكازها على الإيديولوجية الوطنية ذات المحتوى الشعبي في تكون الدولة لم تربط هاته الأخيرة بقاعدتها و أساسها، لأن الأمة هي القاعدة الاجتماعية للدولة و هي منبع الإجماع و أصل الإنتاج السياسي، بل ربطتها بفترة تاريخية غير زائلة، و رابقتها بمتناقضات هذا الوضع على كل المستويات، هي تحاقم الارتباط بين أوصال التركيبة الكلية للدولة لتصل هذه التركيبة من نظام عضوي لا ينمو من خلال جذلية القوى و العلاقات الداخلية، إلى نظام مجزأ يستند ديماميكية الجدل فيه من الماضي (فترة الحرب)<sup>(12)</sup>، من الخارج بشكل أساسي<sup>(13)</sup>.

هذا خاصة وإذا علمنا أن الدولة في الجزائر الآن و بعد مرحلة ما بعد الإرهاب أصبحت عطلت مسؤوليها بعد ما كانت طرح سياسي إيديولوجي لا نجد إلا في المناسبات و الخطب الرسمية. فالمجتمع أصبح اليوم يعال بالتعليم، التطوير الحديث، الرقي، المشاركة السياسية المشاركة في صنع حاضر و مستقبله، أصبح يطلب الشفافية في تسير دواليب الحكم، يطلب العدل، المساواة، التقسيم العادل للمخيرات<sup>(14)</sup>، هذه المطالب لا تتجسد حسب الأشخاص خارج بناء الدولة. فروح العصر اليوم لم تعد تسبح باستمرار التي السياسية السائدة فقد ماتت الإيديولوجيات التي كانت تبرز الامتداد جزءا من صياغتها النظرية و التي استفاد منها الملوك شرعيتهم و عروا جدا



من ثقافة العصر وحياته (15). فالتطور الاجتماعي يضغط الآن نحو الانفتاح السياسي و العدالة الاجتماعية والقبول بالتعددية السياسية والعرقية والثقافية، فلم يعد أمام الحكومات سوى التكيف مع المعطيات الجديدة. فحركة التاريخ لا يمكن إيقافها، لكن يمكن توجيهها والتأثير عليها (16). وحركة التاريخ الآن تدفع إلى الحركة والتعددية وبالتالي تدفع إلى بناء الدولة هاته الأخيرة وهذا حسب وليم كانت نعتهم "كأحسن جهاز نستطيع بواسطته على الأمراض المتجمعة المختلفة" (17) فأصبح من مسلمات العلوم الاجتماعية اليوم أن الدولة القوية العصرية التي تحسد العلامات والتطور والرفي، وتتجعد قوة العمل وتجسد التنظيم والتأطير، وهي من أهم الأسباب الاستقرار وعامل أساسي للدخول إلى الحداثة بكل جوانبها فكل مجتمع نامض لم يحقق نهضته وتقدمه إلا بعد أن استتب لديه "قيم" و "مؤسسات" و "منظم" تسمح بهذا التقدم واستقراره على أساس متين (18).

## الخلاصة

1) - M. Bensaada, le régime politique algérien, enal - Alger 1992

2) - M. Guentari, organisation, Politico - Administrative et militaire de la révolution, TOME1 ed OPU, 2000.P79.

3) - S. Dahlab, mission accomplie ed sahlab 1990 P 231.

4) - Ibid p 43.

5) - SAAD. DAHLAB, Mission Accomplie ed DAHLED 1990 P435

6) - الميثاق الوطني 1976 - ص 7.

7) - A Yafish la question du pouvoir en Algérie Ed Enap 1990 P 305.

«اجتمعت الوطنية ارتباطا إلى فكرة الوطن، فقامت الثورة القومية فقامت بشعار "بما الوطن" بدلا من شعار بما للكل. فأصبح هناك ارتباط مقدس بين الفرد والوطن، ففكرة الوطنية تركت على الرقعة الزاوية للسكان

8) - بيان أول نوفمبر النص المسمى الرسمية للجهة ص 5

10) ASSI Lahouari , L'algerie et la démocratie, ed la se couverte 1995 p 100

11) - محمد محفوظ الأزمة و الدولة المركز الثقافي العربي 2000. ص 12.

2) ASSI Lahouari , L'algerie et la démocratie, ed la se couverte 1995 p 100

12) - محمد محفوظ الأزمة و الدولة المركز الثقافي العربي 2000. ص 12.

13) - الدولة الجزائرية المستقلة وهي ولادة تاريخ الاستقلال الفرنسي من خلال المرجعية الديمقراطية ومن خلال استمرار النضال الإغاثي

15) بمسبانيا الدولة الجزائرية تركز دائما على السيادة الخارجية و اقتصادها تعتمد على إستاد المواد الاستهلاكية المختلفة بنسبة 96 ٪ من الخارج.

16) قدوسي محمد، الدولة الوهمية في الجزائر / مجلة الآدب و العلوم الإنسانية، جامعو سيدي بلعاس - الجزائر

العدد 02 لسنة 2003 ص 200

17) - أصبح العالم اليوم قرية صغيرة من خلال المعلوماتية التي كسرت كل الحواجز و أصبح الشعوب العربية مفتوحة عليه من خلال السؤائل المتعددة ( الإعلام ، المواصلات، الانترنت ) و بالتالي أصبحت هذه الشعوب ترى ما يجري هناك في الدولة لتتطور و من هنا أصبحت تقارن و من ثمة تطالب.

18) W.B quant société et pouvoir en Algérie éd cashal. 1998 p 13

## المراجع

### بالعربية

⇨ عداة العربي، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي 1998

⇨ محمد مخلوف، الأمة و الدولة، مركز الثقافي العربي سنة 2000

⇨ الأمة و الدولة و الاندماج في الوطن العربي لجموعة من الباحثين نشر مركز الدراسات الوحدة العربية سنة 1989.

### المجلات

⇨ مجلة المستقبل العربي العدد 384 مركز الدراسات الوحدة العربية

⇨ مجلة الآدب و العلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعاس العدد 02 لسنة 2003

### بالفرنسية

- ✓ M.Bensaada, « Le régime politique algérien », enz° Alge. 1992
- ✓ M. Guentari, « Organisation politico-administrative et militaire de la révolution », tome I , éd OPU 2000
- ✓ B. Badie, « Les deux états , pouvoir et société en occident et en terre d'islam », éd librairie Fayard 1986.
- ✓ S. Dahlab , « Mission accomplie », éd Dahlab 1990
- ✓ A. Yahsah, « La question du pouvoir en Algérie », éd ENAP 1990.
- ✓ Addi Lahouari, « L'Algérie et la démocratie », éd la découverte 1995.